كتاب الهلال



سلسلة
ثقافية
شهرية

أيامه الأخيرة

قصة ملك باع نفسه للشيطان

حلمي سلام

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL
سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : يوسف السباعي

رئيس التحرير : صالح جودت

المشرف الفني : جمال قطب

سكرتير التحرير : عايدة عياد

العدد ٢٦٣ - رمضان ١٣٩٢ - نوفمبر ١٩٧٢
No. 263 — Novembre 1972

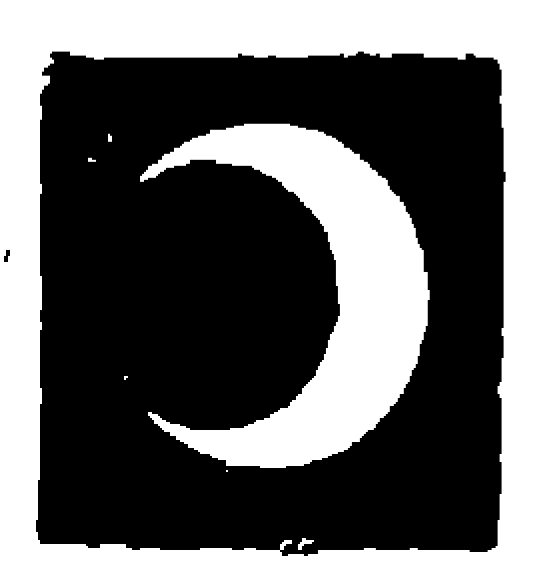
مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب
تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ - فى سائر انحاء العالم ٥ر٥ دولارات أمريكية أو ٢ جنيه - والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية · فى الخارج بشيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية - والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى - وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل عند الطلب على الاسعار المحددة ··

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـــــلاف بريشة
الفنان جمال قطب



بقلم حلمي سلام

دار الهلال

إهداء ...

الى ابناء الجيل الذى يتقدم ، الآن ، ليحمل العلم ...

« ح . س »

كلمة من الكاتب

صديقى القارىء ...

حين جلست الى القلم والورق ، لأكتب لك هـــذا الكتاب ـ بمناسبة اكتمال عشرين سنة على ثورة ٢٣ يوليو ـ كان فى نيتى أن اسميه : « **كلمات هزت مصر** »، وأن أجعله مقصورا على تلك الكلمات التى كانت ماضية كحد السيف ، مدوية كطلقات البنادق ، والتى كان عدد من الكتاب الأحرار تنقصهم الكثرة ، ولا تنقصهم قوة الايمان ، ولا شجاعة القلب ، ولا مضاء القلم ، قد راحوا! ـ خلال السنتين العاصفتين السابقتين على الثـــورة ـ يوجهونها ، بكل الجرأة والعنف ، الى « الملك » .. والى اتباعه ، واشياعه الذين كانوا قد بلغوا من الفســـاد ، ومن الطغيان على الدستور ، وعلى حقوق الشعب وكرامته حدا تجاوز صبر الصابرين .

فلقد كانت تلك « الكلمات » التى كان فى نيتى ، أصلا ، أن أقصر هذا الكتاب عليها ـ كانت ، ومازال ، وسوف تظل ـ جزءا لا يتجزأ من تاريخ مصر فى تلك الحقبـــة الحالكة التى اشتد فيها الصراع بين الخير والشر ، بين الظلام والنور ، على نحو لم تعهده مصر من قبل .. فكانت معركة بالغة العنف بين قوى الطغيان ، وبين هذه القلة القليلة من الكتاب المؤمنين بوطنهم ، وبحقه فى أن يعيش عزيزا ، كريما ، مبرءا من تلك الوصـــمات التى راح

« الملك » ، ومن ورائه أشياعه وأتباعه ، يلطخون بها وجهه ، ويسودون بها سمعته ، ويضعون بها رأسه فى الوحل ، أو فيما هو أسوأ من الوحل بكثير !

غير اننى ما لبثت ـ بعد اذ أدرت بصرى فى الأمر قليلا ـ حتى تبينت أن تقديم تلك « الكلمات » ـ على الرغم من كونها جزءا لا يتجزأ من تاريخ مصر فى تلك الحقبة ـ مجردة من تفاصيل الأحـــداث المريرة التى فجرتها من قلوب أصحابها ٠٠ومجردة من صور الرجال الذين صنعوا تلك الأحداث ، وكانوا سادتها أو خدامها ، سوف يكون عملا ناقصا ٠٠ سوف يجعلها تبدو وكأنها فروع على غير شجرة ٠ خاصة وأنا أستهدف بكتابى هذا جيلا جديداً لم يعان تلك الأحداث ، ولم يعشها ، ولم يعش تلك الأيام القاسية التى كانت بالنسبة لنا ، نحن الذين عشناها ٠٠ وقاسيناها ٠٠ أياما ذات لون ، وطعم ، ورائحة ٠ لانها ، من ناحية ، كانت بالغة القسوة والمرارة ٠٠ ولاننا ، من ناحية أخرى ، كنا نحـاول ـ بكل ما كان بين أيدينا من أسلحة ـ أن نقضى على هذه القسوة ، وعلى تلك المرارة ٠

وعلى ذلك ، وجدتنى مطالبا ـ أمام نفسى ، وأمام الجيل الذى استهدفته بهذا الكتاب ـ بأن أقدم لك ، جهد استطاعتى ، صورة متكاملة لذلك المسرح الكبير الذى كنا نعيش على خشبته ، منذ عشرين سنة ، مأساة حياتنا ٠٠ بكل الأحداث التى كانت تجرى فوقه ، وبكل العمالقة والأقزام الذين كانوا يتحركون عليه ، وبكل الـــكلمات النارية التى كانت تدوى فى جنباته ٠

واذ تراجعت « الكلمات التى هزت مصر » فى مرحلة حاسمة من تاريخها ، عن مكان الصـــدارة الذى كنت قد أعددته لها ، متخلية عنه لتلك الأحداث المريرة التى كنا نعيشها ، ولأولئك العمالقة والأقـــزام الـــذين كانوا

يصنعونها .. فقد وجدتني - مدفوعا بالمنطق الاقوى - أمضي في رسم صورة « للملك » الذى تبلورت فى « أيامه الأخيرة » جميع الأسباب التى فرضت الثورة فرضا .. كما وجدتني - مدفوعا بنفس المنطق الاقوى - أمضي فى رسم صورة أخرى ، ضرورية ومكملة ، لأولئك الرجال الذين أحاطوا به ، ووقفوا حوله ، ومن ورائه .. يؤثرون فيه ، ويؤثرون عليه ، ويمهدون أمامه طريق الطغيان التى ظل يمشي عليها ، حتى ألتقى ، عند نهايتها ، بتلك الهـوة السحيقة التى حفرها بنفسه لنفسه ، وحفرها له الآخرون .. ولم يكن أمامه مفرّ من السقوط فيها .

ولقد كان طبيعيا، بعد ذلك كله ،أن أتبين أن « **كلمات هزت مصر** » - وهى أول تسمية للكتاب وردت على خاطرى، مصاحبة لفكرته - لم تعد هى أنسب التسميات له ، بعد اذ تحول موضوعه فصار تصويرا لحقبة حاسمة من تاريخنا .. طغى فيها الشر على الخير ، وحجب فيها اليأس الأمل ، وأوشك فيها النور أن يولى مهزوما أمام جحافل الظلام .

ومن هنا ، أخترت للكتاب تسمية أخرى .. اخترت أن أسميه : « أيامه الأخيرة » . اذ وجدت هاتين الكلمتين أكثر شمولا ، وأكثر دقة في التعبير عن موضوع الكتاب على الصورة التى تحول اليها ، والتى اشتملت - فى وحدة واحدة - على أحداث حياتنا فى مرحلة حاسمة من تاريخنا .. وعلى صورة أولئك العمالقة والأقزام الذين صنعوا تلك الاحداث .. وأيضا ، على تلك الكلمات التى كانت ماضية كحد السيف .. مدوية كطلقات البنادق ، والتى راح كتابها يوجهونها - بكل الجرأة والعنف - الى رأس الملك .. والى رؤوس أعوانه ، وأتباعه ، وعملائه .

على أننى أحب أن أصارحك بأن هذا العنـوان الذى انتهيت اليه ، ليس من ابتكارى . وانما هو عنوان واحد

من تلك المقالات التى كان كتابها يوجهونها كطلقات البنادق الى رأس الملك • وقد نشره كاتبه الاستاذ احمد شـوقى المحامى •• فى صحيفة « اللواء الجديد » فى ٧ أغسطس سنة ١٩٥١ ـ أى فى قلب تلك الايام التى كان «فاروق» يسرع فيها الخطى نحو نهايته ـ وقدم فيه الكاتب صورة للايام الاخيرة •• لملك فرنسا : « لويس السادس عشر » الذى أعدمته الثورة الفرنسية • وترك لذكاء القارىء ان يدرك القصد من مقاله ، وهو أن ملكا آخر فى مصر ، يجتاز أيضا « أيامه الاخـــيرة » •• وأن ثمة ثورة تتقـــدم على الطريق وقد جعلت فى أول أهدافها •• أن تسقطه •

ولأن مقال : « ايامه الاخيرة » ، كان واحدا من مقالاتنا •• ولان كاتبه كان واحدا من رفاق الدرب الواحد •• نحو هدف واحد ، فاننى لم أشعر ـ اذ استعرت عنوانه عنوانا لكتابى ـ بأننى استعرت شيئا لا أملكه • كل الذي شعرت به هو أننى نقلت شيئا من يدى اليمنى الى يدى اليسرى •• ولعلى لم أتجاوز •

وبعـــد •••

فلقد قصدت ـ « صديقى القـــارىء » ـ وبمناســبة اكتمال عشرين سنة على ثورة ٢٣ يوليو ـ أن أجعل جيلا بأكمله يعيش ، من خلال هذا الكتاب ، أياما وأحداثا •• لم يعاصرها ، ولم يعشها ، حتى يصبح حاضره موصولا بماضيه •• موصولا ، فى نفس الوقت ، بمستقبله الذى لن يكون ، فى نهاية الأمر ، سوى المحصلة الطبيعية ، والحتمية أيضا •• لماضيه ، وحاضره •

ولست أطمع فى شىء ، قدر طمعى فى أن يحقق الكتاب ما قصدت اليه •

والله ولى التوفيق •

مايو سنة ١٩٧٢ — حلمى سلام

الفصل الأول

أيامه الأخيرة

٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ـ ٢٣ يوليو سنة ١٩٧٢ :

عشرون سنة كاملة مرت بين هذين التاريخين • شب عن الطوق ، خلالها ، جيل جديد تماما •• جيل لعله يتأهب ، الان ، لاخلاء مواقعه فى ساحات العلم •• متقدما نحو الحياة بعزم ، ليدق أبوابها بقوة ، وليحمل العلم ببسالة •

وأحسب أن معظم أبناء هذا الجيل الجديد ـ ان لم أقل كلهم ـ كانوا فى الثانية ، أو فى الثالثة من أعمارهم، حين جاءت الى وجودنا « ثورة ٢٣ يوليو » التى احتضنها الشعب كله بملء جوانحه ، وأحاطها بكل حبه ، وعلق عليها كل آماله وأحلامه • ولذا ، فانهم ـ أعنى أبناء ذلك الجيل الذى شب عن الطوق خلال تلك الحقبة من عمرنا ـ لم يتح لهم أن يعيشوا ، مثلما عشنا نحن ، ارهاصات الثورة التى بلغت ذروة الاكتمال ، والتحديد ، والعنف ، خلال السنتين العاصفتين السابقتين عليها •

وربما تكون كتب التربية القومية ، فى مرحلة دراستهم الثانوية ، قد قالت لهم شيئا ما عن هذه الارهاصات •• وربما تكون هذه الكتب نفسها، قد حدثتهم قليلا أو كثيرا عن لونها وطبيعتها • لكن اليقين أن ذلك كله، اذا كان قد حدث ، فانه حدث ضمن حدود ذلك الايجاز المطلق الذى

اعتاد الكتاب المدرسى أن يلتزمه ، ولا يتجاوزه الى الافاضة التى لعله يرى أن مجالهـا الطبيعى انمـا هو كتاب عام للتاريخ المعاصر ٠٠وليس كتابا مدرسيا للتربية القومية٠

من هنا ٠٠ وانطلاقا من هذه الحقيقة الواقعة ، ينشأ لهذا الجيل الجديد حق علينا ـ نحن أبناء الجيل الذى عاش تلك الارهاصات ـ فى أن نجعله يعرف أكثر ، وفى أن نجعله يعيش ، من جديد ، وقائع حياة بلاده فى مرحلة من أدق مراحل تاريخها ٠٠لم يكن من حظه ـ بحكم عمره ـ أن يعيشها ٠

ذلك حق له علينا ، وواجب عليه نحو نفسه ٠ فليس الحاضر ، بكل ما يحتويه ، سوى موجات متدافعة من بحر الماضى ٠ كذلك ليس المستقبل ، بكل ما سوف يحتويه سوى موجات متدافعة من بحر الحاضر ٠ فهـكذا كان التاريخ ، وسوف يظل : حلقات متداخلة تصنع سلسلة واحدة ٠ فاذا سقطت واحدة من هذه الحلقـات ، ضاعت السلسلة كلها ٠ أعنى ضاع التاريخ ٠

واذا كانت ارهاصات ثورة ٢٣ يوليو قد بلغت ذروة اكتمالها ، وعنفها ، خلال « سنتى ١٩٥٠ و ١٩٥١ » ٠ فالصحيح أن هذه الارهاصات نفسها كانت قد أخذت تلوح على أفق حياتنا مع بداية « حرب فلسطين فى سنة ١٩٤٨ »٠ ولعل القول الأكثر صحة ، ودقة ، أن هذه الحرب ـ بما قد صاحبها من ملابسات ، وبما لازمها من أخطـاء وخيانات ـ كانت هى الضوء الباهر الذى كشف للأمة ، شعبا وجيشا ، عن حقيقة ذلك الواقع الاليم الذى كانت تعيشه ٠٠ كما كشف لها ، فى نفس الوقت ، عن حقيقة ذلك المنحدر السحيق الذى هبط اليه ، أو سـقط فيه ، أكثر أولئك الرجال الذين كنا نعتبرهم قادتنا وزعماءنا ٠

ولقد كان أشد ما اعتصر قلب الأمة أسفا وألما ، أنها

تبينت ـ من خلال ذلك الضوء الباهر ـ ان الرجل الذى أحسنت به الظن ، ذات يوم ، فغمرته بفيض من حبها ·· حين اختـــارته الاقــدار ليتربع على عرشها ، كان يقف بنفسه ·· وبسطوته ، وبقوته ، على رأس ذلك الفساد الذى أطبق عليها بذراعيه الرهيبتين خلال تلك الحقبة الأليمة من تاريخها .

ولم يكن « فاروق » ·· الملك ـ بكل ما انطـوى عليه من تنكر للشعب ، واستبداد به ، وجحود له ، استثناء من بقية افراد اسرته · بل لقد كان « فاروق » ، بكل ما جبل عليه وتميز به ·· امتدادا طبيعيا لأسرته ، وفرعا اصيلا فى شجرتها ·· تتوفر له جميع صفاتها وســـماتها · فجميعهم كانوا يجحـــدون الشعب ، وجميعهم كانـــوا يستعلون عليه ، وجميعهم كانوا يستبدون به ، وينكرون عليه اكبر حقوقه ، واصغر حقوقه ، على السواء ·

وليس صدفة ان يــكون والد « فاروق » ـ الملك فؤاد الاول ـ هو اكثر ملوك هذه الاسرة افتياتا على حقـــوق الشعب ، واكثرهم كراهية للدستور واعتداء عليه · كذلك ليس صدفة ان يكون جده المباشر ـ الخديو اسماعيل ـ اشد اولئك الحكام اسرافا ، واكثرهم عبثا بالمال العام ، واعظمهم تجاوزا لكل حدوده وحقوقه !

واذا كان «فاروق» ·· الملك ·· قد بز آباءه وأجداده، فى هذا المضمار بشىء ·· فلقد بزهم جميعا بانه اراد ـ الى جانب فساده وطغيانه ـ أن يثرى ، فــوق ثرائه الذى كان فاحشا ،من وراء مصائب الشعب، وآلامه، واحزانه·!

ولقد كانت حرب فلســطين التى حدثتك عنها ، هى الفرصة التى اصطنعها « فاروق » بنفسه ـ وان يكن قد نجح فى التخفى وراء الحكومة التى كانت قائمة حينئذ

للاثراء من وراء مصـــائب الشعب ، ومن وراء الدماء الزكية لآلاف الشهداء من ابنائه !! .

فلقد القى الملك ، بكل ثقله ، فى تلك الحرب . ولكن، لا لكى يضع خططها .. ولا لكى ينظم صـفوفها .. ولا لكى يبعث الحمية فى نفوس قادتها وجنودها ، وانما لكى يتجر فى اسلحتها التى كانت ــ فى معظمها ــ فاسـدة ، تنفجر فى جنود مصر قبل ان تنفجر فى اعدائهم ، وترتد الى صدور هؤلاء الجنود قبل ان تمضى الى صدور اولئك الدين كانوا يقفون فى مواجهتهم !!

ولقد زين للملك هذا النوع البشع من التجارة ،وسهله له ، وعاونه عليه ــ فوق جشعه الخاص ، وتجرده من كل وازع يمكن أن يرده عن دنايا الامور ــ « حاشـــية » من الافاقين الذين جمعهم حوله .. لا ليسألهم النصح ، ولا ليجد عندهم المشورة ، او العون على تبعات الحـكم .. وانما جمعهم حوله لكى يحللوا له الحرام ، ولكى يزينوا له الزلل ، ولكى يقدموا له ، مع كل يوم جديد ، آفاقا جديدة من الانزلاق الى آخر مدى .. ومن الاستهتار الى غير ما حدود بكل شىء ، وبكل شخص ، وبــكل قيمة : بالمال العام ، وبالناس ، وبالشرف .. وبكرامة مصر ، وسمعتها ، وشرفها .

ولم يكن فى هذه « الحاشية » الفاسدة التى جمعهـــا « فاروق » حوله ، لتزين له الفساد ، وتسهله له ،وتعاونه عليه ، شخص واحد يمكن اعتباره ــ بأى مقياس ــ انسانا كان صالحا ، فأفسده « فاروق » . بل لقد كانوا جميعا ، وبغير استثناء ، حثالة من الناس جاء بهم من الحضيض ، ورفعهم عنده الى القمة ، حيث تمـكنوا من مواقعهم التى رفعهم اليها ، من ان يفسدوه على امته .. بعد اذ نجحوا فى افساده على نفسه .

لكن الأمة ، على اية حال ، لم تكن تقف موقف المتفرج من فساد « فاروق » وطغيانه .. كانت هناك جماعة من «الكتاب الاحرار» الذين مزق هذا الفساد ، وذلك الطغيان قلوبهم .. يقفون لهما بالمرصاد ، ويلاحقونهما ، ويعبئون مشاعر الجماهير ضدهما . ولم تكن هذه الجماعة من « الكتاب الاحرار » تزيد كثيرا على اصابع اليدين . لكن ما توفر لها من قوة الايمان ، وشجاعة القلب ، ومضاء القلم ، قد أغناها الى حد كبير – عن وفرة العدد. واحسب ان مقالا نشره « مصطفى مرعي » – احد الاعضاء البارزين في تلك الجماعة – في صحيفة « اللواء الجديد » بتاريخ ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٥١ ، يمكن اعتباره « الدستور » الذى راحت جماعة « الكتاب الاحرار » ، على غير اتفاق بينها ، تعمل فى ظله ، وتتحرك تحت لوائه .

واليك هذا « الدستور » كما جاء في مقال « مصطفى مرعى » :

« اننا لا نتجر فى السياسة ، ولا نساوم عليها ، ولا نبيع اقلامنا ، ولا نؤجرها . اننا لا نخشى فى الحق لومة لائم مهما يكن مقامه ، ولا غضبة غضوب مهما تكن سطوته .

« واننا لنعرف ان الشر راصد للاحرار في مصر ، فاغر فاه ، يود لو استطاع ، أن يبتلعهم واحدا بعد الآخر . لكننا نعرف ، مع ذلك ، أن الكلمة الحرة ، الصريحة ، الجريئة ، هى الزم ما يلزم مصر اليوم .

« ولقد قال « اللواء » – ولا يزال يقول – كلمات لها هذه السمات ، وفيها هذه الخصائص ، ان لم تكن قد هزت ضمائر الطغاة .. فانها ، من غير شك ، قد قرعت منهم الاسماع ، ولفتت الانظار .

« ومن يدرى .. لعل الذى نقوله غدا ، او بعد غد ، يكون ابعد غورا .. واشد وقعا من كل ما قلناه حتى الآن ، فقد يلزم ان تتضاعف جرعة الدواء ، اذا لم تنحسر موجة الداء ، وان تزداد قوة المقاومة كلما ازدادت قوة الاعتداء . فادواؤنا تقوى مع

الزمن ولا نضعف ، وتتسع دائرتها ولا تضيق ، وتشتد قبضتها ولا تتراخى · وانها - على إختلاف أنواعها - لتتساند ، وتتآخى ·· كما يتساند الاشرار فى ظل الشيطان ، حيث يتبادلون النفع ويتعاطون الحرام ·!!

« وها هي ذى الديكتاتورية البغيضة ، الطاغية ، تمكن للحكم الفاسد وتعبيه ، وتمده بأسباب البقاء · وها هو ذا الحكم الفاسد بدوره ، يهش للديكتاتوريه الباغية ، ويبش ، ويتصاغر أمامها ويتهاما ، وانه ليذل لها ، ويخضع ، ويلين ، ثم ينحنى · !!

« ومن عل ينظر الانجليز ·!· بل ينظر العالم كله الى شعبنا المسكين محصورا بين هذين الامرين ، نظرة استخفاف وازدراء ·

« هذه هي مصر اليوم · ما أحوجها الى الكلام الحر الجرىء · عسى أن يهز ضمائر سادتها فيعودوا الى الرشـــد ويثوبوا الى الصواب · أو يهز شعور الأمة المغلوبة على أمرها ، فتثور لتسترد حقوقها المغصوبة ·· وسلطانها الضائع ·

« وان يوما يتحقق فيه هذا الأمل ، أو ذاك ·· ليكونن لمصر مطلع فجر جديد » ·

***

وبقدر ماساهمت « حاشية الملك » - على نحو مباشر - فى افساده على نفسه ، وعلى امته ·· بقدر ما اسهم فى ذلك ، وان يكن بصورة مغايرة ، زعمـــاء الاحزاب التى كانت تتداول كراسى الحكم فيما بينها ، منذ ان جلس « فاروق » على عرش مصر فى السادس من مايو ســـنة ١٩٣٦ ، حتى ازاحته الثورة عن ذلك العرش فى السادس والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ ·

فلقد كان تهالك هؤلاء الزعماء على الوصول الى كراسى الحكم ،من أى سبيل ·· ومن كل سبيل، عنصرا اساسيا فى اغماض عيـونهم عن فســاد « فاروق » ، وطغيانه ؟ واعتداءاته الصارخة على الدستور والشعب معا · بل لقد ذهب اولئك الزعماء - بغية الوصـول الى كراسى الحكم ومغانمه - الى ما هو ابعد ، واشد نكرا من مجرد اغماض

العين عن طغيان «فاروق» وفساده ، ومباذله . . فتجاوزوا الامر الى تحسين ذلك كله · والى تضـــليل الشعب عن حقيقة وجهه القبيح · !!

واذا كان بعض اولئك الزعمـاء ، او كلهم ، قد حاولوا ــ حينما لاحت على الافق علامات النهاية ــ ان يفتحوا عيونهم على ما راح « فاروق » يرتكبه فى حق الدستور ، وفى حق الامة ، وان يشاركوا جماعة « الكتاب الاحرار » هجومها الشجاع على الملك ، فلقد فعلـــوا ذلك بعد اذ ادركوا ــ بما يشبه اليقين ــ ان السفينة موشكة على الغرق وان العاصفة التى احسوا بها تقترب من ذلك الحصن الذى كان يبدو فى ظاهره حصينا ، موشـــكة أن تهب عليهم ، وانها قد لا تكتفى بان تعصف بذلك الحصن وحده ·· بل لعلها سوف تعصف بهم معه ·

وآية ذلك ، ان فساد « فاروق » الخلقى والسياسى . . وكذلك اعتداءاته الصارخة على الدستور ، وعلى مقدسات الشعب وحقوقه ·· كانت قد ذاعت ، وشـاعت ، خلال السنوات الاربع او الخمس السابقة على سنتى ١٩٥٠ و ١٩٥١ ــ وهما السنتان اللتان وصل فيهما فســـــاد « فاروق » الى ذروته ·· واللتان بلغت فيهما ، بالتالى ، ارهاصات الثورة على فساد الملك وطغيانه ، ذروة اكتمالها وعنفها ــ ومع ذلك ، فان احـدا من اولئك الزعمـــاء لم يحاول ان يشـــير اليها ، ولا ان يتحـدث عنها ، ولا ان يتصدى لها بأية وسيلة من وسائل التصدى . بل الثابت انهم بدلا من أن يتصدوا لفساد الملك السياسى والخلقى ·· وبدلا من ان يقفوا فى وجه طغيانه ، واعتداءاته الصارخة على الدستور ، وعلى مقدسات الشعب وحقوقه ، راحوا يتصدون ــ بكل وسائل التصدى ــ « للصحف الحرة » ·· ولجماعة « الكتاب الاحرار » ، التى كانت قد دخلت

المعركة ضد الملك ، وضد فساده ، وطغيانه ، وليس لها من سلاح غير « الكلمة » تزلزل بها مقاعد الطغـاة من تحتهم .. وتهز بها مصر من ادناها الى اقصاها ، وتكشف بها للشعب عن كل ما يقع في حقه من اعتداءات .. وما يجرى على ارضه من مفاسد .

وبينما كانت جماعة « الكتاب الاحرار » هذه ، تقول للشعب ـ تلميحا وتصريحا ـ كلاما خطيرا في حق الملك، وفي حق فساده وطغيانه .. كان اولئك الزعماء ، من ناحية اخرى ، يقولون للشعب .. وفي حق الملك ايضا ، كلاما آخر .. كلاما مناقضا تماما لكل ذلك الذى كانت تلك « الجماعة » تقوله ،وتكتبه . ولولا أن الشعب كان قادرا ـ بفطرته ـ على ان يفرق بين « اصحاب الإيمان الحقيقى بالشعب وبحقوقه » ، وبين « اصحاب المصلحة الحقيقية في الحكم ومغانمه » ، لتأخر ـ ربما الى سنين طويلة ـ سقوط الملك .. وسقوط اولئك الذين كانوا يدارونه ، ويدارون عليه، ويتقبلون منه فساده ، وطغيانه، واعتداءاته الصارخة على الدستور وعلى حقوق الشعب ومقدساته جميعا .

ولننظر الآن ماذا كان يقول هؤلاء .. وماذا كان يقول اولئك :

ففي ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٥١، ينتهز « فتحي رضوان » فرصة مرور « جورج السادس » ، ملك انجلترا ، بأزمة صحية خطيرة ، فينشر في « اللواء الجديد » تحت عنوان: « شعب يصلي من اجل ملكه » كلمة يقول فيها :

« **يجتاز ملك بريطانيا ازمة صحية بالغة الخطر . ولقد بدا على الشعب البريطاني التاثر لما يعانيه الملك من آلام ، ولما يتهدد حياته من مخاطر .**

« **ولقد كان من آيات هذا التاثر ان ذهبت في الصباح المبكر**

جموع من أبناء الشعب - رأينا في الصور التي نشرت لهم ، اطفالا صغارا - الى الكنائس لكي يصلوا لله لينقذ ملكهم .

والشعب الذي يرتبط بملكه هذا الارتباط ، والذي يتبادل واياه عواطف المحبة والمودة الصادقتين ، هو نفس الشعب الذي ثار على « الملك شارل الاول » واعدمه .

« ولقد كان الشعب ، في الحالين ، صادق العاطفة . فحين كان الملك ظالما ، مستبدا ، لا يهتم بمصالح الامة .. أحس الشعب أن من واجبه أن يدفع عن نفسه أذاه ، وقد تطورت الامور بين الشعب والملك حتى انتهت الى أن شنق الشعب الملك .

« ولكن الصراع بين الامة والملك في بريطانيا ، انتهى الى تفاهم عميق ثابت . رضي فيه الملك بالأمة مصدرا للسلطات ، ورضيت فيه الأمة بالملك رمزا لمجدها .. وتاجا لحكمها ، وتعاون الجميع على أن يسود الدولة حكم النفع فيه للمجموع . وانبثق عن هذا كله تقاليد ارتفع بها مقام الحرية الشخصية ، والفردية ، الى أعلى مكان ، ونفذ في ظلها حكم القانون في الاقوياء قبل الضعفاء ، وفي الاغنياء قبل الفقراء ، وانتفضت بفضلها عيوب الحكومات من رشوة ، وأثرة ، وانانية .

« ولقد درج ملوك بريطانيا على أن يجعلوا من ابنائهم خدما لامتهم . فما أن يشب منهم شاب حتى يلقوه في فرقة من فرق الجيش ، يخالط فيها أبناء الفرقة وجنودها . كما درج هؤلاء الامراء على الا يقع نظر الناس منهم على قبيح ، أو مرذول ، أو مستنكر من الاعمال أو الاحوال .. واحبهم الشعب حبا صادقا ، منبثقا من حبات القلب .

« نحن نكره الانجليز ، ونكره أخلاقهم السياسية ، وكفاحهم الاجتماعي ، ونعدهم بلاء انسانيا . ولكننا لا نكاد نرى ظاهرة صادقة في حياتهم ، الا ونكبرها . شأن الانسان الذي يحب الجمال والخير ، حيثما كان الجمال والخير . »

***

انها ، كما ترى ، كلمات واضحة المدلول .. كلمات تشير الى شخص محدد ، والى معان محددة .. بل هي كلمات تصرخ في وجه الملك بأعلى الصوت .. قائلة :
« اياك اعني .. واسمعي يا جاره » .

كان هذا نموذجا مما كان يقوله الاحرار ... فماذا كان يقول الآخرون ؟! .. ماذا كان يقول كبراؤنا ، وزعماؤنا ، قبل ان تلوح العاصفة على الافق .. ويلوح معها ان « السفينة الملكيه » موشكة أن يبتلعها الطوفان.

فلننظر ماذا كانوا يقولون ....

● ففى الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٥٢ .. نفس السنة التى كان كل شيء فيها قد تبلور ، وتحدد ،وكشف عن ملامحه ، بحيث اصبح كل الناس .. فى كل مكان .. يعرفون اين يقف ملك مصر من شعبه ، واين يقف شعب مصر من ذلك الملك ـ ينتهز على ماهر (باشا) ، رئيس الوزراء فى ذلك الحين ، فرصة عيد ميلاد الملك لكى يحدث الشعب عنه ، قائلا :

« لا شك ان ابناء وادى النيل جميعا يحتفلون ، فى ثنايا قلوبهم وافئدتهم ، بعيد الميلاد الملكى .. ليذكروا ـ فى عزة وفخار ـ اليوم الثانى عشر من فبراير سنة ١٩٢٠ . يوم أعلن البشير مولد « الفاروق » المحبوب ، ففاضت قلوب المواطنين بشرا وسرورا .. فلقد كان طالع « الفاروق » الميمون اكبر دلائل التوفيق والسداد .!!!!

لقد كان « على ماهر » ، بالذات ، واحدا من اكبر رجالات مصر الذين اتاحت لهم الظروف ، فى مرحلة من تاريخهم ، ان يكونوا شديدى الالتصاق « بفاروق » .. ومن اكثرهم معرفة به ، وايضا من اكثرهم اكتواء بناره . ومع ذلك ،فانه عندما لاحت له فرصة التحدث الى الشعب عن الملك الذى عرفه كما لم يعرفه احد غيره .. لم ينتهز هذه الفرصة لكى يحدث الشعب عن فساد الملك ، ولا عن طغيانه ، ولا عن اعتداءاته الصارخة على حقوق الشعب كلها ، وعلى مقدساته جميعا .. وانما انتهز الرجل الفرصة لكى يحدث الشعب عن : « طالع التوفيق الذى يلازم خطوات «فاروق» السديدة فى الحياة ،حتى تجمعت

لمصر فى عصره الذهبى براهين الحضارة والتقدم » !!!

ان احدا لم يكن ليفكر ، بطبيعة الحال ، فى ان يطالب رئيس الوزراء بأن ينتهز فرصة عيد ميلاد الملك لكى يحدث الشعب عن فساده وطغيانه . فذلك تكليف للرجل باكثر مما تطيقه طبيعة الاشياء . ولكن .. اذا كان ذلك مطلبا لاتطيقه طبيعة الاشياء .. افلم يكن فى وســـع « على ماهر » ، وهو الرجل الذى اتاحت له الظروف ان يكون على بينة تامة من كل ما جـرى ويجـرى ، ان يصمت عن كل كلام .. فلا يتحدث عن فساد الملك .. وايضا لا يتحدث عن : « خطواته السديدة فى الحياة .. وبراهين الحضارة والتقدم التى تجمعت لمصر فى عصره الذهبى » ؟!

ثم يأتى بعد ذلك « عيد الجلوس الملكى » فى السادس من مايو سنة ١٩٥٢ — ولم يكن قد بقى على ازاحة الطاغية عن بلادنا ، وعن أرضنا ، غير شـــهرين اثنين — فينتهز « نجيب الهلالى » ، رئيس الوزراء الـذى كان قد خلف « على ماهر » فى مقعده ، فرصة مجيىء ذلك العيــد لكى يدلو هو الآخر بدلوه فى التغرير بالشعب ، وفى تضليله عن حقيقة ذلك المنحدر السحيق الذى كان الملك قد هوى اليه — فيقول :

« اللهم ما أعظم شأنك ، وأعز سلطانك ، وأوضح برهانك . اتيت « فاروقا » الملك والسداد ، فاصبح عرشه فى وادى النيل قبلة آمال المواطنين ، ومعقد رجائهم واطماعهم ، وآية وحدتهم ، وكلمة اجماعهم ، وقد ملكت قلوبنا سجاياه ، وسقانا الطيب من رياه . وآمال مصر بين يديه فى عزه الذى يرام ، وكنفه الذى لا يضام . لا زال ظله على الوطن مديدا ضافيا ، ونوره للبلاد مضيئا هاديا » !!!

ثم ...

ثم تأتى بعد ذلك « ثالثة الاثافى » .. ممثلة ، مع بالغ الاسف ، فى زعيم الاغلبية الشعبية ... مصطفى النحاس

(باشا) . فلقد انتهز الرجل فرصة « عيد جلوس ملكى » كان قد حل ، وهو رئيس للوزراء فى شـهر « مايو سنة ١٩٥١ » ، وراح يتحدث الى الشعب عن « مآثر مليـكه العظيم » !! – قائلا :

« ان ابناء الشعب جميعا يشعرون بأن مليكهم قد أصبح جزءا لا يتجزأ من حياتهم ، له فى كل قلب من قلوبهم مكان الحب ، والاجلال .. وعاطر الذكر . وهل تنسى مصر أنها من يدى أبى « الفاروق » تلقت دستورها (!!!) ثم اودعته بين يدى « فاروق » الحانيتين ؟ »

« والى « الفاروق » ملكنا المحبوب ، ترجع كل الفضائل (!!!) فلا عجب ، اذا رأى فيه الشعب سنده المتين الذى يفدى عرشـه المكين بالمهج والارواح » !!

***

ومن الحق أن نقرر انه فى اول عهد « فاروق » بولاية الملك ، كان « للوفد » – حزب الاغلبية الشعبية حينذاك – محاولات لفرض ارادة الدستور عليه .لكن هذه المحاولات، من جانب « الوفد » ما لبثت حتى اصـطدمت بصخرتين عاتيتين .. تحطمت عليهما .

● **الصخرة الاولى** : كانت ممثلة فى احـزاب تتلهف جميعها على الحكم .. وتضعف له، وتضعف بسببه – ولا استثنى من ذلك حزب الاغلبية الذى كبر عليه ان يقرر مقاطعة الحكم .كما فعل زعماء آخرون فى الهند وايرلندا وكما كانت تقضى بذلك طبيعة الامور – ولو كان هناك حزب قوى واحد سليم من الضعف للحكم ، ومن الضعف بسببه .. وقادر ، فى نفس الوقت ، على تعبئة جماهير الشعب لحماية الدستور ، والذود عنه ، والتضحية فى سـبيله ، لارتفع هذا الحزب فوق دسائس الانجليز والملك معا .. ولما استطاعوا ان يضربوه باحزاب الاقلية ، ولا أن يضربوا احزاب الاقلية به .. ولصار ندا للانجليز والملك معا ..

ولوجد « الدستور » فيه ، وفى تنظيمه القـــوى ، وفى تجرده وزهده ، الحصن الذى يقيه عبث العـــابثين به ، وعدوان المعتدين عليه •

● **الصخرة الثانية** : كانت ممثلة فى تلك « الكراهية المرة » التى كان « فاروق » نفسه يحملها للدستور ،ولكل من يحاول ان يجعل منه قوة تفرض ارادتها عليه ، وتضع القيود على تصرفاته وقراراته• وهى كراهية انحدرت اليه، اصلا ، عن والده « الملك فؤاد » الذى كان ، بكل نوازعه وصفاته ، يكره الدســـتور الى حد المقت • ثم قام رجال القصر الذين تلقوا « فاروقا » يافعا ــ وفى مقدمتهم « احمد حسنين » ، و « على ماهر » ــ باذكاء كراهيته للدستور مااستطاعوا الى ذلك سبيلا، استبقاء لنفوذهم •• وتحقيقا لمصالحهم •

وقبل ان نصل الى دور هذين الرجلين : « احمـــد حسنين » •• و « على ماهر » •• فى افساد « فاروق » ، وفى اذكاء كراهيته للدستور •• وهى الكراهية التى قلنا ان « فاروقا » قد ورثها عن ابيه « الملك فؤاد » ــ نتوقف قليلا عند هذا « الاب » ، لنعرف : لماذا كان يضيق بالدستور •• ولماذا كان يكرهه كل تلك الكراهية التى بلغت عنده حد المقت •

كان « الملك فؤاد » يضيق بالدستور ، ويكرهه الى حد المقت ، لاسباب متعددة ••

● **منها اولا** : انه كان بطبيعة مزاجه وتكوينه ، لا يؤمن بالشعب ــ فلقد وصل الى السلطان بارادة الاحتلال الانجليزى ــ ولأنه كان لا يؤمن بالشعب ، فقد كره الدستور الذى اعطى للشعب حقوقا لا يستحقها ، ولا يقدر من وجهة نظر (جلالته) على النهوض بها !!

● **ومنها ثانيا** : انه كان قد اختط لنفسه ، عندما ولى

السلطان « بارادة الانجليز » ، أن يسير فى الشعب سيرة « الحاكم المطلق » الذى لا معقب على ارادته ، ولا قيد على سلطانه • فلما ان صدر الدستور – لأول مرة فى ابريل سنة ١٩٢٣ – رأى فيه « الملك فؤاد » انه سوف يصبح رقيبا محسوبا على تلك الارادة ، وقيدا ضاغطا على ذلك السلطان • فكرهه ، ونقم عليه •

● **ومنها ثالثا** : انه لقي – فى ظل هذا الدستور ، وبسببه ، وعلى أيدى اول حكومة شعبية ألفها « سعد زغلول » فى سنة ١٩٢٤ ، اول هزيمة سياسية أليمة لم تضع مرارتها ، على مر السنين ، من فوق لسانه •

حدث ذلك عندما تمسك « سعد زغلول » – استنادا الى نصوص الدستور – بحق الوزارة فى تعيين خمس اعضاء مجلس الشيوخ • ورأى « الملك فؤاد » ، من ناحيته ، ان تعيين هؤلاء الاعضاء انما هو حق له ، وليس حقا للوزارة • واحتدم الخلاف بين الرجلين ، ولم يحسم الا بقبول الملك الاحتكام الى المستشار « فان دن بوش » ، النائب العام امام المحاكم المختلطة – باعتباره بلجيكيا •• وباعتبار ان الدستور المصرى مستمد ، أصلا ، من الدستور البلجيكى • وجاءت فتوى الرجل فى الخلاف الذى نشأ بين « الملك فؤاد » و « سعد زغلول » ، مؤيدة لوجهة نظر « سعد » اذ جاء فيها بالنص :

« أن مبدأ عدم مسئولية الملك يعتبر أساس هذا النظام الذى يقضى بأن الملك لا يتولى سلطته الا بواسطة وزرائه • وهو مبدأ لا يحتمل اى استثناء من الوجهة القانونية ، بل يمتد الى جميع اعمال الملك ، فاذا استثنى عمل واحد ، فان هذا الاستثناء يصيب النظام الدستورى فى روحه واساسه •

« لذلك ارى ان تعيين اعضاء مجلس الشيوخ يجب ان يكون بناء على ما يعرضه مجلس الوزراء • » •

ونزل « الملك فؤاد » عند فتوى المستشار البلجيكى ••

ابتلع الهزيمة ، لكن مرارتها بقيت فى حلقه ، تملأ اعماقه بالحقد على الدستور ، وتحركها بالتربص به ، والكراهية له . ومن ثم ، راح ينتقم منه ، ويعتدى عليه بالتعطيل المؤقت حينا ، وبالالغاء الكلى حينا آخر .

● **فعطله مرة في الاول من نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، وظل معطلا حتى سنة ١٩٢٦ .**

● **وعطله مرة ثانية فى سنة ١٩٢٨ ، وظل معطلا حتى اواخر سنة ١٩٢٩ .**

● **وفى المرة الثالثة ـ وكان ذلك فى سنة ١٩٣٠ ـ الغى الملك فؤاد دستور سنة ١٩٢٣ ، الغاء كليا ، واحل محله دستورا جديدا . يعطي « قيصر» كل شيء .. ويحرم « الشعب » من كل شيء .. !!**

***

ورث « فاروق » عن ابيه كراهيته المقيتة هذه للدستور ، وللقيود التي وضعها على ارادته وسلطانه .. فلم يكن غريبا ، بعدئذ ، ان نجده يتابع منهج ابيه . فيعتدى فى سنة ١٩٣٨ ، أى بعد ولايته العرش بعام واحد فقط ، على دستور سنة ١٩٢٣ الذى كانت الامة قد عادت ، فى سنة ١٩٣٥ ، فاستردته بجهادها ، وبتضحيات ابنائها الى حد استشهاد عديد منهم ـ اعتدى « فاروق » على هذا الدستور بتعطيله أربع سنوات كاملة . ثم عاد ، فى سنة ١٩٤٤ ، فعطله مرة ثانية .. واستمر معطلا خمس سنوات . !!

وهكذا تضافرت هذه العناصر الثلاثة ، وهى :

اولا ـ كراهية « فاروق » الموروثة عن ابيه للدستور ، ولارادته ، وسلطانه .

ثانيا ـ تلهف الاحزاب على الوصول الى كراسى الحكم ومغانمه ، متوسلة الى ذلك بكل الوسائل .

ثالثا ـ قيام رجال السراى الذين تلقوا « فاروقا » يافعا ،

باذكاء كراهية الدستور فى صدره ، تحقيقا لمصـالحهم ، واستبقاء لنفوذهم ..

تضافرت هذه العناصر الثلاثة فى تأصيـــيل نزعة الاستبداد لدى « فاروق » .. وفى تشجيعه على العبث بكل حقوق الشعب ، وبكل مقدساته ، الى حد انتهى به اخيرا ، الى افساد الحياة السياسية كلها افسادا شاملا .. والى النيل من اولئك الذين كانوا قد اغروه ، فى اول الامر ، بحزب الاغلبية .. والى النيل من حزب الاغلبية نفسه ، فراح يضع « احمد ماهر » ضد «مصطفى النحاس » .. و « على ماهر » ضد الاثنين .. و « نجيب الهلالى » ضد الجميع .. !! مستفيدا فى ذلك كله من تمزق ارادتهم ، ومن تفرق كلمتهم ، ومن تعدد مصالحهم، وتباين اطماعهم .

واذا كانت « احزاب الاقليات » تتحمل - تاريخيا - النصيب الاكبر من وزر تشجيع « فاروق » على العبث بالدستور ، وعلى افساد الحياة السياسية كلها .. فان نصيب « الوفد » - حزب الاغلبية الشعبية - من هذا الوزر لا يعتبر بالقليل . فلقد بدأ « الوفد » عهده مع « فاروق » ، كما ذكرنا ، متمسكا بالدستور ، مدافعا عنه ، على نحو ضاق به « فاروق » ذرعا .. وحمله ، فى ديسمبر سنة ١٩٣٧ ، على ان يكشف عن مشاعره الحقيقية من الدستور ، فاطاح « بحكومة الوفد » .. وعطل الدستور نفسه أربع سنوات كاملة

غير ان الوفد - وقد نجح « فاروق » فى اقصائه عن مقاعد الحكم طويلا - ما لبث ان فقـــد ايمانه بجـدوى الانتصار للدستور ، والتمسك به ، والدفاع عنه . ولعله اعتقد أن احزاب الاقليات لم تستطع أن تنال منه ، الا من خلال تمسكه بالدستور فى مواجهة الملك . وعلى ذلك

فانه حين عاد الى الحكم ، في سنة ١٩٥٠ ، انتهج سياسة جديدة تماما ·· قائمة على أساس محدد : ان يصير اطوع للملك من بنانه · !!

وفي حين ان تصرفات الملك الشخصية والسياسية ، فى تلك الآونة بالذات ، كانت قد بدأت تأخذ طريقها الى ذروة الفساد على الصعيدين : السياسى والاجتماعى ، فان مواقف « الوفد » منه ـ وعلى العكس تماما من كل ما كان متوقعا ـ راحت تأخذ طابع الملاينة ، والمداراة ، والمسايرة·

وليس اقطع فى الدلالة على ذلك التحول الجذرى الذى اصاب « الوفد » وزعيمه ·· من ان النحاس (باشا) عند عودته الى الحكم فى سنة ١٩٥٠ ـ بعد فوزه باغلبية انتخابية ساحقة ـ راح ينتهز فرصة أول مقابلة له مع الملك ، بعد انتهائه من تأليف الوزارة ، ليقول له ـ على مرأى ومسمع من حسين سرى (باشا) الذى كان قد صار رئيسا للديوان الملكى ـ ان له لدى « جلالته » مطلبا واحدا ·· وتوجس الملك خيفة من مطلب « زعيم الأغلبية » · ولعله تصور ان « النحاس » سوف ينتهز فرصة فوزه فى الانتخابات باغلبية شعبية ساحقة ، ليملى عليه شروطا يحترم بمقتضاها « الدستور » وارادة الشعب ·· وسأل الملك ، وهو ما يزال متوجسا ـ سأل « زعيم الوفد » عن مطلبه الوحيد · وهنا كانت المفاجأة التى كان الملك يتوقع كل شيء ، ما عداها · لقد تمنى « الزعيم » على الملك ان يسمح له بتقبيل يده !!

وتنفس الملك الصعداء ·· ثم تفضل فحقق « لزعيم الشعب » امنيته ·· اعطاه يده ليقبلها !!

***

واذ هان « زعيم الوفد » كل هذا الهوان على نفسه ·· فقد صار ، بطبيعة الحال ، اكثر هوانا على الملك ، فراح

يكيل له الضربات ضربة تلو أخرى ٠٠ طاويا كل ضربة جديدة على اعتداء جديد ، وعلى تحد جديد له ، وللدستور وللشعب كله ٠ !!

لم يكن هناك ما يمكن ان يرد الملك عن الاستمرار فى ضرباته ٠ فلقد رأى « القلعة » تتهاوى ٠٠ فما يمنعه من الاجهاز عليها ؟!

وتلك ، على أية حال ، طبيعة الطغاة جميعا ٠٠ اذا رأوا الشعب يتراجع امامهم ، فانهم لا يترددون فى الوثوب عليه والفتك به ، وسلبه كل حقوقه ، وكل سلطاته ٠ أما اذا تشبث الشعب بمواقعه ، وثبت فى وجوههم ، فانهم لا يملكون الا ان يتراجعوا ٠٠ بل لعلهم يذهبون الى ما هو ابعد بكثير من مجرد التراجع ، فنجدهم يجاملون الشعب بتحقيق مطالبه ، والنزول عند رغباته ٠ وما تراجع « الملك فؤاد » امام « سعد زغلول » ، ونزوله عند ارادة الدستور ، ببعيد عن اذهاننا ٠

***

أخذ « الوفد » ، عند عودته الى الحكم فى سنة ١٩٥٠ ، يحرز كل يوم تقدما مهولا ، ومحزنا ، فى التراجع امام الملك ٠ وامام ضرباته ، ورغباته ، ونزواته ٠ ومن ثم ، راح يرضى بأوضاع وتصرفات لم يرض ، من قبل ، بما هو اقل بكثير منها ٠ ففى سنة ١٩٣٧ ، على سبيل المثال ، فاجأ الملك الوزارة ــ وكان على رأسها مصطفى النحاس (باشا) ــ بتعيين على ماهر « باشا » رئيسا للديوان الملكى ، دون مشاورتها فى الامر كما يقضى الدستور بذلك ٠ لكن « مصطفى النحاس » لم يكن قد فقد ، بعد ، الايمان بجدوى سياسة الانتصار للدستور ، والتمسك به ، والدفاع عنه ٠٠ وعلى هذا ، فانه لم يدع المسألة تمر ٠ وانما سارع الى مقابلة الملك ليبلغه احتجاجه عليها ٠

وكانت مناقشة حادة بين الرجلين : بين الملك الذى كان قد تعلم ان « هواه » هو القانون ·· وبين رئيس الحكومة الذى كان مايزال يؤمن بان « الدستور » هو القانون الاكبر الذى لابد وان ينزل عند ارادته كل الناس ، واولهم الملك ·

هكذا كان « مصطفى النحاس » فى سنة ١٩٣٧ ·
ولكن ، لنمض معا خطوتين الى الامام لنرى كيف تغيرت الصورة ·· كيف تغيرت صورة « الوفد » ، وصورة زعيمه ·· خلال الفترة ما بين سنة ١٩٣٧ وسنة ١٩٥١·

ففى ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ ، اصدر « فاروق » امرا ملكيا بتعيين حافظ عفيفي (باشا) رئيسا للديوان الملكي ، دون مشاورة الوزارة فى الامر ·· تماما كما حدث فى حالة تعيين « على ماهر » فى نفس المنصب سنة ١٩٣٧ ، بفارق واحد هو ان تعيين «حافظ عفيفى» فى هذا المنصب كانت له دلالات خطيرة ومثيرة لمشاعر الشعب · اذ كان الرجل معروفا بميوله الصارخة نحو الانجليز · والى جانب هذا ، فانه كان قد ادلى فى شهر سبتمبر من السنة نفسها بحديث الى جريدة « الاهرام » انتقد فيه ، بشدة ، تفكير حكومة الوفد فى الغاء « معاهدة سنة ١٩٣٦ » التي كانت قائمة بين مصر وبريطانيا !!

وعلى الرغم مما قاله المؤرخ : « عبد الرحمن الرافعى » فى كتابه : « مقدمات ثورة ٢٣ يوليو » من ان « ملابسات تعيين « حافظ عفيفى » فى منصب رئيس الديوان الملكى ، تدل على ان سببه الجوهرى هو رغبة « فاروق » فى اخلاء مركز « حافظ عفيفى » فى بنك مصر ليشغله « الياس اندراوس » ·· احد رجال الحاشية المقربين من « فاروق » وأداته فى اختلاساته وسرقاته ـ وقد شغل « أندراوس » فعلا مركز العضو المنتدب لمجلس ادارة

البنك ،بعد تعيين «حافظ عفيفى» رئيسا للديوان الملكى ـ على الرغم من هذا الذى قال به المؤرخ الجليل فى شأن اسباب تعيين « حافظ عفيفى » رئيسا للديوان الملكى ، فان تعيين الرجل فى هذا المنصب الخطير ـ فى ضوء الميول الصارخة التى كان معروفا بها ، وفى ضوء الظـــــروف الوطنية التى كانت قائمة ، وفى ضوء حديثه الى «الاهرام» الذى انتقد فيه تفكير الحكومة فى الغاء المعاهدة المصرية ـ الانجليزية ، انتقادا قاسيا لم يكن ليقدم عليه الا لوثوقه من انه يفعل ذلك لحساب الانجليز ٠٠ ولحساب الملك معا ٠ ـ كل هذه الملابسات جعلت لتعيين « حافظ عفيفى » فى منصب رئيس الديوان ، دلالات خاصة ٠٠ كان مستحيلا بالنسبة لحكومة الوفد ان تخطئها ٠ ومع ذلك ، فقد لاذت حكومة الوفد ، ولاذ زعيمها ـ مصطفى النحاس ـ بالصمت العميق تجاه هذا التصرف الذى اشتط به الملك فى تجاوز حدوده الدستورية ٠٠ والذى ذهب به فى تحـــدى الحكومة ، ومشاعر الشعب معا ، الى اقصى ما يستطيع ٠

واذ سكت « زعيم الوفد » على تحـــــدى الملك له ، وللدستور ، وللشعب نفسه ، بتعيينه « حافظ عفيفى » رئيسا لديوانه ٠ فان « الاحرار » لم يسكتوا ، فصدرت صحيفة « اللواء الجديد » فى اول يناير سنة ١٩٥٢ ، تحمل فى صدرها مقالا عنـوانه : « تكلموا بصراحة ٠٠ فالشعب شـــبع مداورة » قال فيه كاتبــــه ٠٠ « فتحى رضوان » :

« منذ عين حافظ عفيفى (باشا) رئيسا للديوان الملكى ، واكثر الناس لا يعرف راسه من قدمه ٠ وقد كان المظنون أن ملء هـذا المنصب الشاغر سيضع حدا للغموض الذى غرقت فيه المسائل الكبرى ، وان عهدا جديدا سوف يبدا يعرف فيه الشعب الخيط الابيض من الخيط الاسود ٠

« ولكن ، ما كاد نبا هذا التعيين يذاع ٠٠ حتى ملأت الجـــو

اشاعات ليس لها الا معنى واحد ، هو ان الوزارة فوجئت بتعيين « حافظ عفيفى » ٠

« وللشعب الذى لا يملك الوصول الى « كواليس » السياسة والذى لا يعرف الطريق الى « دهاليزها » ، ان يعتقد ان تعيين « حافظ عفيفى » قد اغضب الوزارة ٠٠ اما من حيث الشكل ، واما من حيث الموضوع ٠ والمفهوم ان « الشكل » الذى يغضب الوزارة فى هذا التعيين هو عدم اخطارها مقدما به ، وموافقتها عليه ٠ اما من حيث « الموضوع » فهو عدم رضائها ، اصلا ، على أن يكون الرجل الذى يشغل هذا المنصب الخطير هو « حافظ عفيفى » بالذات ٠

« والشعب ، مرة اخرى ، لا يهمه ان يخوض فى ابحاث دستورية ٠٠ فقد شبع من هذه الابحاث طوال ثلاثين عاما ، لانه لم يجد لها ثمرة ٠٠ وأصبح يطلب الحقائق ، ويناقش على اساس الحقائق ، ويغضب من اجل الحقائق ، ويفرح بفضل الحقائق ٠

« ونحن ، باسم هذا الشعب ، نقول اننا لا نعرف الا الوزارة ٠ فهى المسئولة فى الواقع ، وهى المسئولة دستوريا عن كل ما يقع فى هذا البلد من احداث ٠ فاذا كان تعيين « حافظ عفيفى » قد تم بغير اخطارها ، وترى هى أن ذلك يخالف الدستور ، فعليها ان تعلن ذلك ، وان تدافع عن حقوقها الدستورية ٠٠ فاذا سكتت ، فانها فرطت فى حماية الدستور ، واستحقت اللوم ، ووجب على النواب والشيوخ ان يسألوها وان يحملوها نتائج اعمالها ٠

« اما اذا كان التعيين بموافقتها ، فمن الخير أن تعلن ذلك اعلانا لا مواربة فيه ولا مواراة ٠ اذ ليس من المصلحة ان تبقى على الغموض الذى تتوالد فى جوه الاشاعات والاكاذيب ، والذى تختفى فيه الحقائق او تشوه ٠

« هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فاننا نريد ان نعرف : هل ما تزال الوزارة ملتزمة بالحدود الدستورية التى سبق أن حملتها مذكرتها الى الديوان الملكى فى سنة ١٩٣٧ ، أم أن رأيها قد تغير ؟

« فلقد كان رأى الوزارة فى ذلك الحين ــ وهو رأى بين وواضح فى تلك المذكرة ــ ان موظفى ديوان الملك ككل موظفى الدولة لا يعينون الا بأوامر يوقع عليها الملك ، ويوقع عليها ايضا رئيس وزرائه

« ونحن لا نسأل هذا السؤال لاحراج الوزارة ، ولا لاحراج احد

•• بل لأن الاجابة عليه تنهى كل غموض • اذ لو كان الامر الملكى بتعيين « حافظ عفيفى » رئيسا للديوان قد صدر موقعا عليه من رئيس الوزراء ، فلا يجوز لهذا الرئيس بعد ذلك أن يقول ، او أن يشيع انه لم يكن يعرف أن « حافظ عفيفى » سيعين ، أو انه عين بالفعل •

« فاذا كان الامر الملكى قد خلا من امضاء رئيس الوزراء ، فلنا أن نسأل : هل عدل رئيس الوزراء عن فهمه القديم للدستور •• أم أن الدستور قد تغير • أم أن رئيس الوزراء هو الذى تغير •• أم ان هذه الآراء الدستورية المتشددة التى كان النحاس (باشا) ينادى بها فى سنة ١٩٣٧ ، لم تكن تعبر عن رأى دستورى صحيح سليم ؟

« هذه أمور لا تحتمل رأيين • فمتى يتحلى وزراؤنا بالصراحة •• ؟ ومتى يخاطبون الشعب نفسه ؟ • ومتى يهجرون أسلوب الهمس فى الكواليس • ؟

« ان الامة كلها تتحدث عن حقوق السلطات المختلفة الدستورية فى وضوح تام ، لأنها لا ترى فى هذا الحديث عيبا ، او خطأ ، أو خروجا عن حدود الادب •

« فمتى تتهيأ لنا هذه الاخلاق القوية ••• ؟

« ان الشعب يريد أن يسمع رد رئيس الوزراء ، ورده وحده • »

***

لكن النحاس (باشا) ، كما قلت لك ، كان قد تغير •• كان قد فقد ايمانه بجدوى سياسة الانتصار للدستور ، والتمسك به ، والدفاع عنه • ومن هنا ، طوى لسانه داخل فمه ، فلم يقل كلمة واحدة تعقيبا على قيام الملك بتعيين « حافظ عفيفى » رئيسا لديوانه ، دون مشاورة الوزارة • بل لقد حدث فى هذه القضية بالذات، ما يعطينا الدليل ، اعمق الدليل ، على مدى ذلك التحول الذى اصاب عقلية « النحاس » وافكاره • فلقد انتهز « عبد الفتاح حسن » – وزير الشئون الاجتماعية فى وزارة الوفد – فرصة اول اجتماع لمجلس الوزراء بعد تعيين

« حافظ عفيفى » ووجه الى النحاس (باشا) ، رئيس الوزراء ، هذا السؤال :

- هل كان لدى رفعة الرئيس علم سابق بأمر تعيين حافظ (باشا) عفيفى رئيسا للديوان الملكى ؟

وكأنما اصاب سؤال « عبد الفتاح حسن » عصبا حساسا فى نفس النحاس (باشا) فاذا به يثور على نحو لم يكن صاحب السؤال يتوقعه ·· ولعله ، اعنى النحاس (باشا) ، تصور ان الوزير قصد ان يحرجه ، وراح يجيب على السؤال وهو فى قمة ثورته :

- اقول لك يا سيدى ·· فى صباح اليوم الذى اصدر فيه الملك امره بتعيين « حافظ عفيفى » ، اتصل بى حسن (باشا) يوسف وكيل الديوان ، وقال لى ان « جلالة الملك » اصدر امرا ملكيا بتعيين حافظ (باشا) عفيفى رئيسا للديوان الملكى · فقلت له : « علم » !!

وسكت النحاس (باشا) معتبراً ان الحكاية قد انتهت ·

ولكن الوزير عاد يسأل :

- وبعدين ؟··

ونظر « زعيم الوفد » الى الوزير وعيناه تقدحان شرراً· وقال له - بطريقته الخاصة فى الكلام - :

- وبعدين خلاص ·· يعنى كنت عايزنى اعمل ايه ياسى عبد الفتاح ؟ كنت عايزنى احتج ؟ كنت عايزنى أستقيل ؟ اعمل معروف ياسى عبد الفتاح ·· اعمل معروف ·· اسكت ··اسكت·

غير أن « عبد الفتاح حسن » لم يسكت ·· بل راح يتابع كلامه :

- ليس من المحتم يا رفعة الرئيس ان تستقيل · بل الذى اراه محتما هو ان يفهم الملك بصورة أو باخرى ، اننا لسنا على استعداد لان نتقبل منه هذه التصرفات التى ارى ان من حقنا .

بل من واجبنا ، ان لا نسكت عليها ، حتى لا يمضى فيها ٠٠ويفقدنا بذلك ثقة الشعب بنا ٠

وهنا بلغت ثورة النحاس (باشا) على الوزير قمتها ، وراح يردد وهو فى حالة هياج عصبى شديد :

ــ وبعدين معاك ياسى عبد الفتاح ٠٠ وبعدين معاك ٠٠ وبعدين معاك ؟!

عندئذ تدخل الوزراء الاخرون محاولين تهدئة زعيمهم من ناحية ، واسكات زميلهم من ناحية أخرى ٠

وسكت « عبد الفتاح حسن » ، ولكن ٠٠ بعد ان اصابه ذهول شديد لذلك التغير الغريب الذى اصاب زعيم الوفد ٠ ولعله راح يسائل نفسه : اليس هذا الرجل هو نفسه الذى لم يطق صبرا ، فى سنة ١٩٣٧ ،على انفراد الملك بتعيين « على ماهر » رئيسا لديوانه ؟ فكيف به اليوم يلوذ بصمت الموتى ، فى مواجهة انفراد الملك بتعيين رجل آخر ، ذى ميول خاصة ، فى ظروف خاصة ، تجعله اشد خطرا على الدستور ، وعلى الوفد نفسه ، من « على ماهر » فى نفس مكانه ٠ ؟!

سكت « عبد الفتاح حسن » ٠٠ ولم يحتج « النحاس » ولم يستقل ، ومضى الملك يتابع ضرباته ٠٠

ففى اليوم التالى مباشرة ــ وليس ابعد ــ لاصداره الامر بتعيين « حافظ عفيفى » رئيسا لديوانه ، فاجأ الوزارة باصدار امر ملكى جديد بتعيين عبد الفتاح عمرو (باشا) ، سفير مصر فى لندن وقتئذ ، مستشارا للديوان الملكى فى الشئون الخارجية ،مع احتفاظه بمنصبه الاصلى! ولم يكن معروفا « لعبد الفتاح عمرو » هذا ، قبل تعيينه سفيرا فى لندن ، اى ماض فى العمل السياسى ٠ وكل الذى كان معروفا عنه ، ومعروفا به ، انه كان احد ابطال

لعبة « الاسكواش راكت » ، وانه عاش كل عمره فى انجلترا ، فاصبح صديقا حميما للانجليز ، ومؤمنا بهم ، ومتشيعا لهم الى غير ما حد • حتى نفد وصفه « الدكتور طه حسين » بأنه : « يصلح سفيرا لبريطانيا فى مصر •• اكثر مما يصلح سفيرا لمصر فى بريطانيا » !

واذا كانت دلالة قيام الملك بتعيين « حافظ عفيفى » رئيسا لديوانه ، مع ما للرجل من ميول صارخة نحـــو الانجليز ، وتشيع لهم ، قـــد عابت — لاول وهلة — عن فطنة البعض ، فان تعيين « عبد الفتاح عمرو » فى منصب المستشار السياسى للملك — دون ان يكون له من المؤهلات السياسية الا تلك التى اوردناها — جرد هده الدلالة من كل غطاء ، وبات واضحا ان الملك لم يقصد بتعيين « حافظ عفيفى » ثم بتعيين « عبد الفتاح عمرو » فى هذين المنصبين الخطيرين ، الا ان يقدم للانجليز دليلا قاطعا على انه لا يشارك « حكومة الوفد » موقفها منهم ، وتصرفاتها تجاههم • او ليس هؤلاء هم رجالهم يحيط بهم نفسه ، ويجعلهم اصحاب مشورته ؟

ومثلما لاذت « حكومة الوفد » تجاه تعيين « حـــافظ عفيفى » بصمت الموتى ، فقد لاذت بنفس الصمت تجاه تعيين « عبد الفتاح عمرو » • !

واذ بدا للملك ، كما قدمت ، ان « القلعة » تتهاوى •• فقد والى — فى غير ما تحسب ، ولا تردد ، ولا استحياء — هجومه عليها • فاتبع هاتين الصفعتين المريرتين بصفعة اخرى لا تقل عنهما مرارة ، بأن اصدر امرا ملكيا ثالثــا بتعيين (الياس اندراوس باشا) — وهو رجل ثالث انجليزى المشــــاعر ، والميول ، والولاء — مســـتشارا اقتصاديا له • وكان هذا الرجل كما وصفه المؤرخ « عبد

الرحمن الرافعي » بحق : « اداة فاروق في اختلاساته ، وسرقاته » .

كل ذلك ، و « حكومة الوفد » صامتة ، جامدة .. لا تعتب ، ولا تحتج ، ولا تحرك ساكنا . كأن شيئا لا يحدث ، وكأن اعتداءات صارخة لا تقع على رأس الدستور .. وعلى رأسها معه .

وفي وسط هذا المد من اللامبالاة بالدستور ،وبمجلس الوزراء ، وبرئيسه .. صدرت مجلة « روز اليوسف » في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١ ـ اى في الاسبوع التالى مباشرة لتعيين « حافظ عفيفي » رئيسا للديوان الملكى . وتعيين « عبد الفتاح عمرو » مستشارا للشئون الخارجية .. وبها هذه القصة السياسية التي لم يخف مغزاها على احد .. وقد نشرتها المجلة تحت عنوان : « درس في الدستور : وصيفة الملكة » ..

« كانت الملكة فيكتوريا تقف امام مراتها ذات صباح عندما أخطروها بوجود مستر « جلادستون » رئيس وزرائها ، وبرغبته في التشرف بمقابلتها .. ولم تكمل الملكة زينتها ، بل أسرعت الى حجرة المكتب ، وهي تتمتم طوال الوقت : لابد انه جائني بتقليعة دستورية جديدة اكتشفها هذا الصباح .

« ودخلت الملكة حجرة المكتب ، وتقدم مستر « جلادستون » فقبل يدها .. وفي عصبية ظاهرة ، ردت على تحيته .. ثم قالت :

ـ هل من شيء خطير يا مستر جلادستون .. ؟

ـ ليس خطيرا يا مولاتى .. انما جئت بخصوص وصيفتكم .

ـ وصيفتى .. ولماذا ؟ .. هل سقطت هي الاخرى في الانتخابات حتى تخرج من خدمتى ؟ !

« ولم يشأ « جلادستون » ان يعلق على تهكم الملكة حتى لا يفلت منه زمام الموقف ، وقال :

ـ لا .. ولكن أرجو ان تتنازل مولاتى عنها ، وتختار غيرها .

ـ لعلك وجدت في الدستور تقليدا يؤيد ذلك ؟ !

ـ بل وجدت الدستور يحتم ذلك ، ويصر عليه . فان الوصيفة

ـ بحكم صلتها الوثيقة بجلالتـــــكم ـ تطلع على أدق أسرار الامبراطورية ، ولذا فانها لابد أن تكون محل ثقة الوزارة •
ـ الا يكفى ان تكون محل ثقتى ؟ !
ـ كان يكفى جدا يا مولاتى لو لم نكن فى ظل حكم ديمقراطى •
ـ ولكنى مطمئنة اليها ، ومرتاحة لخدمتها •
ـ ستطمئن الامبراطورية أكثر ، وترتاح ، لو تغيرت هـــذه الوصيفة • وليست هذه هى أول مرة تضحين فيها براحتـــك الشخصية من أجل الامبراطورية •
« وسكتت الملكة طويلا ، وكأنها تبحث فى ذاكرتها عن قنبلة تلقيها بلسانها ، لتنفجر فى رئيس الوزراء العنيد • واخيـــرا قالت له ، وجسمها ينتفض من الغيظ :
ـ مستر جلادستون •• أتعرف انك نجحت أكثر مما يجب • !
ـ فى اى ناحية يا مولاتى •• ؟
ـ فى أن تجعلنى افكر جديا فى التنازل عن العرش •• !!
ـ مولاتى •• ان الديمقراطية هى التى تظلل هذه البلاد ، وهى التى تحمى كل من يمارس حقا له •• اى حق ، وكل حق •
ـ ما اقبح الديمقراطية يا مستر جلادستون ، اذا كانت تحميك وانت تدس أنفك فى كل حجرة من حجرات قصرى •• حتى حجرة الوصيفة •
ولم يرد « جلادستون » على هذه الملاحظة •• وســـيطر على القاعة صمت عميق ، قطعه « جلادستون » بقوله :
ـ ارجو عندما تغادر الوصيفة القصر ان تخطرنا بمقرها الجديد • كما أرجو يا مولاتى ان يكون عندنا اسم الوصيفة الجديدة قبل صدور رغبتكم السامية باختيارها •!
وقالت الملكة فجأة :
ـ اننى لا اقبل هذا •
ـ اذن •• أرجو يا مولاتى أن تقبلى شيئا آخر •• استقالتى من رئاسة الوزارة •
ـ وهل تستقيل لأن الملكة ترفض تغيير وصيفتها الخاصة ؟ !
ـ بل استقيل لأن الدستور الذى جعلنى رئيسا للوزراء ، عاجز عن ان يحمى استخدامى لحقى •• وغدا سأرى جلالتكم لأسمع

رأيكم النهائى : اما ابقائى فى الوزارة ٠٠ واما ابقاء الوصيفة فى القصر ٠ !

« وخرجت الملكة غاضبة ٠٠ وخـــرج رئيس الوزراء مرفوع الراس ٠

***

« ولم تستطع الملكة ان تتحرر لحظة واحدة من الاثر القاسى الذى تركته هذه المقابلة فى نفسها ٠ كانت تحس بكل كلمة من كلمات « جلادستون » وكانها مطرقة تدق بعنف جوانب راسها ٠ لقد بدات تشعر أن هذا الرجل يحمى « الدستور » ، أكثر مما يحميه « الدستور » ، وان كليهما لا يحسان بها ٠٠ وهى الملكة !

« ولم يكد المساء يقبل عليها حتى كانت قد قررت شيئا ٠٠ شيئا خطيرا ٠ !

« قررت أن تترك هى « القصر » ٠٠٠ فانها لم تعد تطيق هذا الرجل ٠ قررت أن تهرب من تقاليد « الدستور » التى تلاحقها ، حتى فى حجرتها الخاصة ، وتنزع منها وصيفتها ٠٠ قررت أن تفر من السجن الذى يسمونه : « العرش » !!

« ودخلت عليها وصيفتها لتجدها على هذه الحال من الغيظ ، والحيرة ، فقالت لها :

ـ اراك يا مولاتى على غير عادتك اليوم ٠٠ فهل حدث شىء بينك وبين هذا العجوز ؟

« وردت الملكة ، وهى تبذل اقصى ما تستطيع لمنع دموعها :

ـ لا شىء ٠٠ ولكن كونى على استعداد للرحيل ، فقد نرحل غدا ٠

ـ الى اين يا مولاتى ٠٠ ؟

ـ الى اى مكان أطمئن فيه الى اننى لن ارى وجه « جلادستون » هذا ٠ !!

« ولم يطرق النوم عيون الملكة مبكرا فى تلك الليلة ، فقـد كانت عيونها على موعد مع دموعها ٠

« وفى الصباح ، دعت الملكة وصيفتها وقالت لها :

ـ هل أعددت العدة للرحيل ٠٠ ؟

ـ أجل يا مولاتى ٠٠

ـ اذن ٠٠ ارحلى وحدك ، ولا تنسى ان تتركى عنـــوانك الجديد ٠

« وفى هذه اللحظة نفسها كان « جلادستون » قد وصـــل الى القصر ، وابلغت الملكة انه ينتظر التشرف بمقابلتها ٠

« وتوجهت الملكة الى مقابلة « جلادستون » الذى قرأ فى عينيها ارقها ، وقلقها ، وقرارها ٠ وتقدم رئيس الوزراء من الملكة ، وقبل يدها ، ثم قال :

ـ الم يقع اختيار مولاتى على الوصيفة الجديدة بعد ؟

« تأملت الملكة وجه رئيس وزرائها لحظة ، قبل ان تسأله :

ـ ومن اعلمك اننى لم اقرن الاحتفاظ بوصيفتى ٠ ؟ !

« فأجاب ريس الوزراء :

ـ لأنى أعلم ان مولاتى تضع مصلحة بلادها فوق كل شىء ٠٠

« فقالت الملكة :

ـ لقد انتصرت فعلا يا مستر جلادستون ٠٠

« فاجابها رئيس الوزراء :

ـ بل « الدستور » هو الذى انتصر يا مولاتى ٠

« هذه قصة ملكة ٠٠ وقصة دستور ٠٠ وقصة رئيس وزراء كان الشعب يؤيده ، والبرلمان يسانده ، والملكة تحترمه ٠٠ وان لم تكن تحبه ٠ »

***

على ان ذلك العدوان الصارخ الذى وقع من « فاروق » على « الدستور » ٠٠ والذى استكتب « فتحى رضوان » ما كتب ٠٠ والذى استثار « روز اليوسف » لكى تفتش فى اعماق التاريخ عن قصة « وصيفة الملكة » لكى تقصها من جديد على مسامع الملك ، وعلى مسامع رئيس وزرائه ـ لم يكن هو كل ما فى « صحيفة سوابق » الملك من جرائم اقترفها ضد الدستور ٠٠ فلقد اعتـــدى « فاروق » على الدستور ، قبل هذه المرة ، مرات كثيرة ٠٠٠

● « اعتدى عليه ، مـرة سـنة ١٩٤٥ ، عندما عقـــد اجتماعا سياســيا مع الرئيس الامريكى « روزفلت » على ظهر الطراد الذى اقله اثناء عودته الى بلاده ، بعد حضور

مؤتمر « يالتا » المشهور • كان المفروض – دستوريا – ان يصطحب « فاروق » رئيس الوزراء، او وزير الخارجية معه ، اذ ان الاجتماع كانت له « صـفة سياسية » تحتم وجود احد هذين الرجلين • لكنه تحدى الجميع ، واكتفى « بأحمد حسنين » رئيس ديوانه ، رفيقـا له في ذلك الاجتماع • !!

● واعتدى عليه ، مرة ثانية ، فى نفس السنة – سنة ١٩٤٥ – عندما سافر الى المملكة العربية السـعودية ، واجتمع بملكها الراحل « عبد العزيز آل سـعود » فى « رضوى » ، وتحدثا فى الشئون العامة ، وفى العلاقات بين بلديهما ، دون ان يصطحب معه رئيس الوزراء • او وزير الخارجية • بل لقد ذهب الملك فى تحديه لمقتضيات « الدستور » الى حد أنه لم يبلغ أيا من الرجلين ، مجرد تبليغ ، باعتزامه القيام بهذه الرحلة •• ولم يعلما بما دار فيها الا بعد عودته منها • !!

● واعتدى عليه ، مرة ثالثة ، فى سنة ١٩٤٦ ، عندما أصر على الا يعقد مجلس الوزراء الا فى المدينة التى يكون هو مقيما بها • وحين علم ان رئيس الوزراء (محمـود فهمى النقراشى) دعا مجلس الوزراء للاجتماع بالاسكندرية – ولم يكن هو قد انتقل اليها بعد – دعا اليه مستشاره الصحفى (كريم ثابت) وكلفه بالذهاب الى مقابلة رئيس الوزراء ليقول له : « انه اذا كان مصمما على عقد اجتماع مجلس الوزراء فى الاسكندرية ، فأمامه واحدة من اثنتين: فاما ان يستقيل •• وأما ان يقيله الملك » !! •

● واعتدى عليه مرة رابعة ، فى سنة ١٩٤٦ ايضـا ، عندما دعا ملوك ورؤساء الدول العربية الى مؤتمر عقده فى قصره « بانشاص » ، دون وساطة رئيس الوزراء ، او وزير الخارجية ، بل ودون علمهما • وارسـل يدعو

الملوك والرؤساء بواسطة أحد افراد حاشيته • واجتمع المؤتمر بناء على هذه الدعوة ، وبحث مسائل سياسية هامة ، دون ان يشترك فيه ، او يحضره رئيس الوزراء (اسماعيل صدقى)،ولا وزير الخارجية (احمد لطفى السيد)

● واعتدى عليه ، مرة خامسة ، فى سنة ١٩٤٨ ، افظع اعتداء ، عندما قرر ـ بوصفة القائد الاعلى للجيش ـ اشتراك القوات المصرية فى حرب فلسطين ، دون انتظار لموافقة البرلمان الذى كان رئيس الوزراء (محمود فهمى النقراشى) لايزال يحاول الحصول عليها !! •

● واعتدى عليه ، مرة سادسة ، فى سنة ١٩٤٩ ، عندما دعا « حسنى الزعيم » قائد اول انقلاب عسكرى فى سوريا ، الى الاجتماع به فى « انشاص » فتحدث اليه ، وبارك انقلابه ، واعترف به ، دون ان يكون للوزارة القائمة فى الحكم (وزارة ابراهيم عبد الهادى) علم بشىء من ذلك كله !! •

وهكذا تعددت اعتداءات « فاروق » على الدستور ، وتنوعت • لان رجالنا ، جميعا ، لم يكن فيهم « جلادستون » واحد يستطيع ان يفعل مافعله ذلك الرجل عندما اعطى « الملكة فيكتوريا » درسا قاسيا فى كيفية التزام حدودها الدستورية ، وعلمها انها ـ وهى الملكة ـ لا تملك ان تختار « وصيفتها الخاصة » دون موافقة رئيس الوزراء • ولكن •• لان رجالنا جميعا لم يكن فيهم رجل واحد قادر ، بتجرده •• وبزهده الحقيقى فى الحكم وأسلابه ، ومغانمه ، على ان يقف من « فاروق » موقف « جلادستون » من « فيكتوريا » •• كان طبيعيا ان يطغى الملك ، وان يزداد طغيانا ، وان يتضاءل الدستور على يديه ، حتى اضحى لا يساوى الحبر الذى كتب به ، ولا الورق الذى سجل عليه •

الفصل الثانى

رجلان.. وراء طغيانه!

اصل ، الآن ،الى الرجلين اللذين قلت لك ، فيما سبق، انهما تلقيا « فاروقا » يافعا ، فعملا ـ استبقاء لنفوذهما، وتحقيقا لمصالحهما ـ على افساده ، وعلى اذكاء كراهيته للدستور ، وعلى تفجير عوامـــل « الوراثة » التى كانت مستكنة فى اعماقه تحركه نحو الأستبداد بالشعب ، والى النزوع الى « الحكم المطلق » الذى يستطيع ، من خلاله ، ان يفعل ما يشاء ، كيفما يشاء ، وقتما يشاء .

ولقد كان لكل من الرجلين من التـأثير فى « فاروق » ـ ملكا .. وانسانا ـ امام التاريخ ، مسئولية مباشرة ، ومحـــددة ، عن كل ذلك الذى قد انتهى اليه « فاروق » كانسان .. وايضا كملك .

هذان الرجلان هما : احمد حسنين (باشا) .. وعلى ماهر (باشا) .

كان اولهما « رائدا » لفاروق عندما اوفـــده والده الى انجلترا فى اكتوبر سنة ١٩٣٥ ، ليتم تعليمه فى معاهدها ثم صار بعد ذلك كبيرا لامنائه حينما اصبح ملكا .. ثم رئيسا لديوانه الملكى فى سنة ١٩٤٠ .

وكان ثانيهما .. على ماهـــر (باشا) . اول رئيس لديوانه الملكى حينما ولى العرش فى سنة ١٩٣٧ . فكان بذلك اول سياسى مصرى محترف، عرفه « فاروق » وتعلم منه ، وعمل بنصائحه وتوجيهاته .

ولقد كان في مقدور كل واحد من هـذين الرجلين ان يكون عاملا هاما ، ومؤثرا ، فى تنشئة « فاروق » نشأة صالحة • كذلك كان في مقدور كل واحد منهما ،في ناحية من النواحى ، ان يسيطر على عوامـل « الوراثة » التى كانت مستكنة في اعماق « فاروق » وان يحاصرها ، وان يتسامى بها •لكن الذى حدث ان الرجلين ـ كلا فى ناحية من النواحى •• وكلا بأسـلوبه الخاص ، وبطـريقته الخاصة ـ راحا يساعدان عوامل «الوراثة» تلك على الانطلاق من عقالها ، حتى ذهبت ـ فى آخر الامـر ـ الى ابعد ما تستطيع الذهاب أليه ! •

واذا كان « على ماهر » يعتبر مسئولا ، على نحو محدد، عما انتهى اليه فاروق « كملك » فحسب •• فان « احمد حسنين » يعتبر مسئولا ـ وعلى نحو محدد ايضا ـ عما انتهى اليه فاروق « كانسان •• وملك » ••

فلقد تلقى « احمد حسنين » « فاروقا » بين يديه وهو ما يزال مراهقا لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره •• اى انه كان لا يزال « عجينة » لينة يسهل عليه تشكيلها بحيث كان يستطيع ـ اذا اراد ـ أن يصنع منها أنموذجا صالحا •• كما كان يستطيع ـ اذا اراد ـ ان يصنع منها انموذجا طالحا • ولقد اختار « احمد حسنين » ـ لحاجة فى نفسه ، سوف نتبينها ـ ان يصـنع من « فاروق » الانموذج الاخير •

لم يكن « أحمد حسنين » وحده فى المهمة التى ندبه لها الملك فؤاد « كرائد » لابنه « فاروق » فى لندن • بل كان يشـاركه هذه المهمة « الفريق عزيز المصرى » • وكان الرجلان على طرفى نقيض • لا يربطهمـا رباط ، ولا يجمعهما شبه • فبينما كان « عزيز المصرى » ضابطـا جادا ، ومتمسكا بعاداتنا وتقاليدنا •• كان « أحمـد

حسنين » رجلا انجليزى الثقافة ، والعادات ، والسلوك • فلقد تلقى « احمد حسنين » تعليمه فى «جامعة اكسفورد» بانجلترا • فاكتسب عادات الانجليز ، وأساليبهم ، وملأ نفسه اعجابا بهم • وبينما كان « عزيز المصرى » يؤمن بالنور ، ويحارب فوق السطح • كان « حسنين » يؤمن بالظلام ، ويحارب تحت السطح • وبينما كان « عزيز المصرى » يريد ان يعلم « فاروقه » كيف يسمو بنفسه ، وكيف يتسامى بغرائزه • كان « حسنين » ، على العكس من هذا ، يتملق غرائز « الامير اليافع » ، ويشجعه على اطلاق جماحها • فتعلم « فاروق » على يدى «رائده الامين» – أول ما تعلم – كيف يتسلل من فراشه ليلا بعد أن يطمئن ، هو و « رائده » ، الى ان « عزيز المصرى » قد استغرق فى النوم – متوجها الى « علب الليل » فى لندن !! •

يقول « الدكتور محمد حسين هيكل » – فى الجزء الثانى من كتابه « مذكرات فى السياسة المصرية » :

« قص على عزيز المصرى (باشا) ، وكان قد سافر الى انجلترا قبيل وفاة الملك فؤاد مشرفا على تعليم « فاروق » ، ان المحيطين بولى العهد كانوا يسارعون الى ارضاء أهوائه ، ونزوات شبابه •• وان رائده « حسنين بك » الذى أصبح ، من بعد ، « حسنين باشا » رئيس الديوان الملكى ، كان لا يصده دون الاندفاع الى ما يطفىء نوازع هذا الشاب • فلما تولى الملك بعد أبيه ، بالغ المحيطون به فى تملق شبابه وفتوته • » • !!

ونستطيع القول ان « أحمد حسنين » لم يكن يفعل كل ذلك الذى راح يفعله ، بشكل عفوى ، او بلا هدف مرسوم • فذلك أبعد الاشياء عن طبيعة الرجل وتكوينه • وانما كان « حسنين » يهدف من وراء تشجيع « فاروق » على اطلاق العنان لغرائزه ومن وراء تملق فتوته وشبابه ، الى التسلط عليه ، والى اخضاعه لنفوذه وسلطانه •• او

ليس هذا « الامير اليافع » هو ملك مصر القادم ؟ او ليس التسلط عليه من الآن ·· وعن طريق تملق فتوته وشبابه، هو الخطوة الاولى على طريق التسلط عليه في المستقبل ؟·

فلقد كان « احمد حسنين » – حينذاك – يرسم خطته للمستقبل لا على اساس ان يكون « الرجل الاول فى القصر » ، بل على أساس ان يكون « الرجل الاقوى فى مصر » · وليس يعينه على بلوغ هدفه هذا شيء ، قدر ان يعينه عليه تسلطه على الملك ، واخضاعه لارادته ، وطيه تحت جناحه ! ·

***

ولم يكن « عزيز المصرى » محتاجا لوقت طويل لكى يتبين انه بدأ يخسر « الجولة » ضد « احمد حسنين » · فالاسلحة ليست متكافئة · فلقد بدأ « الامير اليافع » يبدى ضيقه « بعزيز المصرى » ، وبنصائحه ، وتوجيهاته· فى نفس الوقت الذى راح يلقى بنفسه – باندفاع صبى غرير – فى احضان الرجل الآخر ·· فى احضان الرجل الذى عرف بمكره ، وبنعومته ، واساليبه ، كيف يدغدغ غرائزه ، وكيف يتملق فتوته وشبابه ! ·

واذ قرر « عزيز المصرى » ان يترك لندن ، عائدا الى مصر ، ناجيا بنفسه من مسئولية المشاركة فى افساد ملكها المقبل · خلا الجو تماما امام « احمد حسنين » لكى يصنع « بفاروق » ما يشاء ، كيفما يشاء ·

ولقد توسل « احمد حسنين » ، فى محاولة السيطرة على « فاروق » ، بكل الوسائل · الى حد انه انشأ مع أمه « الملكة نازلى » علاقة آثمة انتهت بزواجه منها زواجا سريا !! ومع ذلك ، فقد وجد الرجل – باخلاقياته هذه ·· وبأساليبه هذه – وجد بين الكتاب فى مصر ، من راحوا يشيدون به ، ويروجون له ،ويصفونه بالرجولة ،

وبقوة الخلق ·· وايضا بالتقوى ، ومخافة الله !:.

والمؤسف ، خقا ، ان هذا التزييف البـــارع لحقيقة « احمد حسنين » ، انطلى على كثير من الناس · فأخـــذ كثيرون ـ ولهم العذر ـ ينظرون اليه كبطل، وكأسطورة ·· ولم تتضح للناس حقيقة الرجل حتى بعـد ان مات · فلقد كان ضروريا لـــكى تتكشف لهم الحقيقــــة كاملة ان يموت « فاروق » نفسه ··· اعنى ان يســقط من فوق عرشه · فلما ان سقط ، سقطت معه أقنعة التزييف كلها ·· وظهرت الحقيقة عارية ، وأيضـا رهيبة ·· وقبيحة ·· ومؤلمة · !

***

قلنا ان « احمــد حسين » تلقى تعليمه فى انجلترا ·· فى جامعة « اكسفورد » ·· وانه ـ كتلميذه ·· « عبـد الفتاح عمرو » ـ كان معجبا بالانجليز ، وصديقا حميمـا لهم · ولعل اهم من هذا الذى قلناه ، ان نعرف كيف التحق « احمد حسنين » بجامعة « اكسفورد » · فان خطـــوته الاولى الى هذه الجامعة ، كانت هى نفســها خطوته الاولى الى احضــــان الانجليز ·· الى الأيمان بهم ، والدوران فى فلكهم · !

فلقد ذهب « احمد حسنين » الى انجلترا بقصداستكمال تعليمه هناك ، حاملا معه خطاب توصية الى احد اساطين الانجليز ·· الى « اللورد ملنر » ·· ليساعده على الالتحاق بجامعة « اكسفورد » · ولم يقل لنا الكاتب الصحفى الذى روى هذه الواقعة ـ وهو ليس من اعـــداء « حسنين » الشخصيين أو السياسيين ، بل هو واحد من اخلص اصدقائه ·· ومن أشدهم اعجابا به ، وتشيعا له ـ لم يقل لنا ممن كان « خطاب التوصية » الذى حملـــه « حسنين » الى لورد ملنر » ولعله ـ أقصد الـــكاتب الصحفى ـ قد اغفل ذلك متعمدا لانه وجد فى الاشارة

الى « مصدر التوصية » تحديدا لنوعية خطى « حسنين » الاولى على الطريق . أو لعله قد اغفل ذلك لان ذهنه كان مشغولا بما كان سيرويه بعدها . وما رواه بعدها يقول :

« كان « لورد ملنر » جالساً فى غرفة مكتبه بداره ، وقد وضع منظاره على عينيه ، بينما نار المدفأة تحدث فى الاخشاب الملتهبة ازيزا يزيد فى رهبة الشاب الطويل .. « أحمد حسنين » الذى كان يحمل خطاب توصية الى السياسي الانجليزى الكبير ليتوسط له فى دخول جامعة « أكسفورد » .

« وانتهى السياسى الانجليزى من قراءة خطاب التوصية ، ثم التفت الى « حسنين » قائلا :

ـ لماذا اخترت انجلترا للتعلم فيها .. ؟

فقال « حسنين » ببساطة :

ـ لاتعلم كيف أحاربها فى بلادى . (!!)

وهو ـ كما ترى ـ رد يرفض العقل احتمال صدوره عن « حسنين » لسببين :

اولهما : أنه لم يعرف « لاحمد حسنين »، فى المرحلة السابقة على ذهابه الى انجلترا ، اى اهتمام ، من اى نوع، بقضية بلاده . ولو كان « لحسنين » اى قدر من هـذا الاهتمام ، لما فات صديقة الكاتب الصحفى ان يسجله له ، وأن يجسده ، وان يضيف اليه من عنده الشىء الكثير ولما تردد فى ان يجعل من « الحبة » ، فى هذا المجال ، « قبة » .. ما دامت « الحبة » أصلا موجودة .

ثانيهما : آنه لم يكن معقولا ـ وقد ذهب «حسنين» الى « لورد ملنر » راجيا وساطته للالتحاق بالجامعة ـ ان يقول له انه قصد من وراء طلب العلم فى انجلتـرا ، ان يتعلم كيف يحاربها فى بلاده . !! فذلك قول لايصدر الا عن شخص ركبته حمى « الحماس الوطنى » الى الحد الذى ينسيه « مقتضيات الموقف » ولم يكن « احمد حسنين » ـ بالقطع ـ من هذا الصنف من الناس . !

ثم يمضي الكاتب الصحفي في وصف مشهد لقاء « حسنين » مع « لورد ملنر » فيقول :

« وقام لورد ملنر ، وكتب الى عميد كلية « بليول » - وهي الكلية التي كان اللورد يرأس مجلس ادارتها - اغرب خطاب توصية : « اقدم لكم عدوا صغيرا لانجلترا ، فاجتهدوا أن تحولوه الى صديق كبير » .. !!

ونشك كثيرا في ان تكون توصية « لورد ملنر » قد صدرت عنه على هذا النحو الذي رواه الكاتب الصحفي.. ولكن ، أيا ما كان الامر . فقد عرف الانجليز كيف يجعلون من احمد حسنين « صديقا كبيرا لهم » . ولا يهم كثيرا هنا ان يكون ذلك قد تم استجابة لتوصية « لورد ملنر » أو لان الانجليز يعرفون - بما لهم من باع طويل في هذا المضمار - كيف ينتقون الاشخاص المؤهلين ، سلفا ، لان يكونوا اصدقاء مخلصين لهم . وعلى الرغم من هذا ، فان ذلك الكاتب الصحفي .. يعطينا تفصيلا أكثر للكيفية التي اصبح بها الرجل صديقا كبيرا للانجليز فيقول :

« وما لبث اسم « احمد حسنين » ان لمع بين طلبة جامعة « اكسفورد » ، فقد كان بينهم مثلا « للجنتلمان » . ثم ما لبث ان دعي الى البيوت الارستقراطية ... لأن « لورد ملنر » كان ولي أمره » !!

ولان « لورد ملنر » كان قد اصبح « ولي أمر » احمد حسنين - كما يقرر صديقه - كان طبيعيا للغاية ان تكون اول وظيفة يتولاها عند عودته الى مصر ، في سنة ١٩١٤ ، هي وظيفة : « السكرتير الخاص للجنرال ماكسويل الذي كان حاكما عسكريا على مصر » !!

ولعل « احمد حسنين » .. كما حمل معه ، عند ذهابه الى انجلترا ، خطاب توصية من « مجهول » الى « لورد ملنر » . قد حمل معه ، عند عودته الى مصر ، خطاب

توصية مماثل • ولكن ، ليس من « مجهول » هذه المرة•
بل لعله كان من « لورد ملنر » ـ « ولى امر احمد حسنين
فى انجلترا » ـ الى الجنرال ماكسويل « الحاكم العسكرى
الانجليـــزى على مصر » • والا • بماذا نفسر اختيـار »
« الجنرال ماكســويل » لمصرى ، لم يعرفه من قبـل ،
ليعينه « سكرتيرا خاصا له ؟ !!

ولقد ظل « احمد حسنين » يقوم بعمله بجوار «الجنرال
ماكسويل » حتى انتهت الحرب العالمية الاولى • فانتقـل
الى العمل مفتشـــا بوزارة الداخلية التى كانت وقتئـذ ،
مستعمرة بريطانية قائمة بذاتها فى قلب القاهرة •

ولم يغادر « احمد حسنين » مكانه فى وزارة الداخلية،
الا الى « القصر الملكى » ليعمــل ، فى سنة ١٩٢٢ ، امينا
للملك فؤاد • !! وكأن العمل مع الانجليز ، وبجوارهم ،
كان هو « الجسر الطبيعى » الذى يتحتم على كل من سوف
يعمل فى القصر الملكى ان يعبره •• كما سنرى ذلك بعد
قليل • !!

كان ذلك هو كل ماعرف « لاحمد حسنين » من ماض
فى الخدمة العامة • وقد حمل حسنين « ماضيه المجيد »
هذا ، وذهب به الى « القصر الملكى » ليعمل هناك كواحد
من امناء الملك • وقد ظل « حسنين » مستكنا فى مكمنه
الخاص فى « القصر الملــكى » من سنة ١٩٢٢ حتى سنة
١٩٣٥ ، حين واتته فرصة إختيار الملك فؤاد له ليـكون
« رائدا » لابنه « فاروق » عنـــدما اوفده الى « لنــدن »
لاستكمال تعليمه ! •

ونحسب ان اختيار الملك فؤاد « لاحمد حسنين » ، دون
غيره من امناء « القصر الملكى » ، ليكون « رائدا » لابنه ،
كان يرتكز ـ اساسا ـ على ما عرف به « حســنين » من
علاقات وطيدة بالانجليز • خاصة وان الملك فؤاد نفسه

كان يدين باكثر ولائه - ان لم يكن بكل ولائه - لدولة الاحتلال التى كان لها عليه فضل تنصيبه « سلطانا » على مصر . ولعله ، أعنى الملك فؤاد ، رأى انه ليس هناك ادعى الى الاطمئنان الى مستقبل ابنه ، واقطع فى التدليل للانجليز على ان ولاءه القديم لهم لايزال حيا ، ومستقرا ، ومكينا ، من ان يوفد اليهم ذلك الابن ليكمل تعليمه فى بلادهم ، وتحت اشرافهم .. مصحوبا ، فى نفس الوقت ، بواحد من اخلص اصدقائهم ، واوفى تلاميذهم !! .

***

وحين عاد « فاروق » من لندن ، فى اعقاب وفاة ابيه ، مصحوبا برائده « احمد حسنين » ، وجد هذا ان فرصته قد سنحت لكى يحكم مصر من وراء ستار . وليمسك بين اصابعه بكل الخيوط التى سوف تحرك « الملك الصغير » فى أى اتجاه يريده « رائده » الذى قلنا انه كان قد خطط لمستقبله ، لا على أساس ان يكون « الرجل الاول فى القصر » . بل على أساس ان يكون « الرجل الاقوى فى مصر » !!

ولقد مشى « احمد حسنين » فى طريقه لتحقيق هذا الهدف ، على خطين متوازيين :

الاول : صرف « فاروق » صرفا كاملا عن متطلبات الحياة الجادة ، وتملق فتوته وشبابه ، بتشجيعه على مواصلة حياة العبث ، والمجون ، التى كان قد بدأها على يديه فى « لندن » !!

الثانى : تضليل الشعب عن حقيقة ملكه .. وتضليل الملك عن حقيقة نفسه - كشاب لا يزال فى أول الطريق .. لم يكمل تعليمه ، ولم يعط الحياة ، ولم يأخذ منها - ومن ثم ، مضى « حسنين » بمعاونة عدد من الصحفيين والكتاب اصطنعهم لنفسه ، ينشر حول « فاروق » ..

وعن « فاروق » ·· كثيرا من القصص ، والروايات التى تظهره للشعب في صورة « الانسان » الذى تتفجر ينابيع الخير من قلبه !! ·· وفى صورة « المؤمن » الذى لا يفرط، تحت اقسى الظروف ، فى اى فرض من فروض ربه ! ·· وفى صورة « البطل الوطنى » الذى يريد أن يبدل واقع الحياة الاليمة في مصر، والذى يريد ان يخلصها من جميع الادواء التى تعيق تقدمها ، وتبدد قواها · !!

ومن الحق ان نعترف ، بان هذه الصــور التى راح « احمد حسنين » يرسمها لفاروق ، بمعاونة اصفيائه من الصحفيين والكتاب ، قد انطلت على الشعب امدا طويلا · اذ كانت ، من ناحية ، مرسومة ببراعة شــــديدة ·· وباقلام مجموعة من الكتاب كان لهم ، وقتئذ ، تأثيرهم الكبير على نفوس الجماهير · ومن ناحية اخرى ، فان « الالحاح » المستمر على الجماهير بهذه الصور المتكررة ، قد ولد لديها مايشبه اليقين بان كل مايقال لها عن «فاروق»، انما هو حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه · وفى غمرة الحماس المشبوب للملك ، ولشبابه ، ولطلعته التى كانت حينئذ ، لا تزال طيبة ، وجميلة ، وآسرة — فى غمرة هذا كله ، لم يكن الشعب مستعدا لان يتوقف لحظات يراجع فيها حماسه ويستعيد فيها لنفسه قول « شوقى » فى « مصرع كليوباترا » :

انظر الشعب ديون ... كيف يوحـــون اليه
ملأ الجـــو هتافا ... بحيـــــاتى قاتليه
أثر البهتـــان فيه ... وانطلى الزور عليــه
يا له من ببغـــــاء ... عقله فى اذنيه · !!

واذ أحكم « احمد حسنين » ، بهذا الاسلوب الغريب ، قبضته حول « الملك الصغير » · واذ نجح الى حد بعيد فى ان يخدع الشعب عن حقيقة ملكه ، وفى ان يخدع

الملك نفسه عن حقيقة نفسه ، فقد مضى يحكم مصر – من تحت ذقن ذلك « الملك الصغير » – حكما مطلقا !! ٠

ولكنه ، أى « احمد حسنين » ، لم يكن ليستطيع ان يحكم مصر على هذا النحو ، اذا ما ظل «فاروق» ملتزما حدوده الدستورية بوصفه ملكا دستوريا يملك ولا يحكم ٠ ومن هنا ، رأى « حسنين » انه اصبح امرا محتوما ان يعلم الملك كيف يتجاوز حدوده ٠٠ وكيف يتحدى الدستور ٠ وكيف يصبح ملكا مستبدا ٠٠ يملك ويحكم ٠٠ لكى يحكم هو باسمه ، ومن ورائه ٠ !

كان « احمد حسنين » يشعر – وهو يلعب لعبـــة « الحاكم المطلق » لمصر من وراء ستار – ان « الوفد » – بوصفه حزب الاغلبية الشعبية – هو القوة الوحيدة التى تستطيع ، فيما لو خلصت من سلطان الحكم عليها ، ان تنتزع أنيابه ، وان تحطمه ٠ فقرر ان يسبق ويحطمها ٠ كان يعرف ان قوة « الوفد » الحقيقية كامنة فى ذلك التآخى الكبير الذى كان قائما بين « مصطفى النحاس » ، رئيس الوفد ، وبين « مكرم عبيد » ، سكرتيره العام ، وقوته الدافعة والمحركة ٠ فقرر ان يمزق هذا التآخى ٠ وكشف عن نيته هذه لواحد من اصــفيائه الصحفيين بقوله : « ان النحاس بغير مكرم ، هو « شمشون » بغير شعره ٠ وقد قررت ان أقص شعر شمشون » !!

ومضى « حسنين » – باسلوبه الخاص الذى لعله قد لقنه فى انجلترا – ينفذ قراره ، فاوقع ، اولا ، بين اقرب الناس الى النحاس (باشـــا) وبين مكرم عبيد ، بأن افهمهم – هكذا يقول ذلك الصحفى من أصفيائه – « انه ليس بين الملك و « النحاس » الا شخص « مكرم عبيد » ، وانه اذا استطاع « النحاس » ان يتخلص من « مكرم عبيد » ، فسيبقى رئيس وزارة الى الابد » ٠ !!

« وفى نفس الوقت - لا يزال ذلك الصحفى من اصـــــفياء « أحمد حسنين » هو الذى يتكلم - شجع « مكرم عبيد » على الاعتقاد بان الملك ، والشعب ، يعتمدان عليه فى حماية «النحاس» من اطماع أصهاره وأقاربه ٠ وانه وحده الذى يستطيع المحافظة على نظافة « مصطفى النحاس » !!

« ثم رتب « أحمد حسنين » لقاء لمكرم عبيد مع الملك ٠ وكتب « حسنين » ما يجب أن يقوله « فاروق » لمكرم عبيد حرفا بحرف ، وأوضح له : كيف يبدأ الحديث ، واين يتوقف ، ومتى يضحك ، ومتى يربت على كتف مكرم ، ثم كيف يضع الخنجر فى يده » !!

« واشهد ان هذا الحديث كان بارعا ، لأن سطوره كانت بريئة ٠٠ ولكن « الخنجر » كان ملفوفا ببراعة فيما بين السطور » !!
« وحرص « حسنين » علىأن يدرب « فاروقا » علىهذا الحديث، ثم وضعه له فى درج وراء مكتبه لكى يستنجد به ٠٠ اذا خانته ذاكرته » !!
ثم يضيف ذلك الصحفى من أصفياء « أحمد حسنين » ضوءا

أكثر الى صورة صديقه الذى كان يحكم مصر من وراء ستار ، بقوله :
« كان « حسنين » حريصا على أن يصور نفسه فى صـــورة « الطرطور » ٠ ومن تحت هذا « الطرطور » كان يحكم مصر ٠ فمثلا ، بعد وفاة المرحوم حسن صبرى (باشا) بخمس دقائق ٠ كان « حسنين » قد قرر أن يتولى « حسين سرى » رياسة الوزارة الجديدة !! ٠٠ وترك الملك يتباحث مع « على ماهر » و « عبد الوهاب طلعث » ٤٨ ساعة كاملة فى اسماء المرشحين لرياسة الوزارة ، وليس بينهم اسم « حسين سرى » ٠
« ولما قبض الجيش الفرنسى على « بشارة الخورى » رئيس جمهورية لبنان ، و « رياض الصلح » رئيس وزرائه ، أوقف « حسنين » مطابع جريدة الاهرام فى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، وطلب نشر برقية بتوقيع «فاروق » يؤيد فيها زعماء لبنان ٠٠ ويحتج فيها على خرق استقلال لبنان » ٠
« وقرأ « فاروق » هذه البرقية فى « الاهرام » ، كما قراها باقى القراء ٠٠ ومن الطريف أن هذه البرقية لم ترسل اطلاقا فى ذلك الوقت » ٠
وعندما نترك هذا الصحفى من اصـــــفياء « احمد

حسنين » ٠٠ لكي نعود مرة اخرى الى – توأمه فى البراعة والذكاء – والذى حكى لنـــا ، فى بداية هذا الحديث ، حكاية التحاق « حسنين » بجامعة « اكسفورد » بتوصية خاصة من « لورد ملنر » ، نجده يســتكمل حكايته هذه بقوله :

« ٠٠٠٠ واستفاد « حسنين » من وجوده في « اكسفورد » ٠ فان جميع رجال السياسة الانجليز الذين اصبحوا اصحاب رأى في مصـــــير السياسة المصرية ، كانوا زملاء له في الدراسة ، وعرفوه ، واحبوه ٠ وقد كسب « حسنين » عدة مواقع سياسية، لأن زملاءه في « اكسفورد » كانوا يعتبـــــرونه المثل الاعلى للجنتلمان » ٠٠!!

وهكذا تمضى زوايات الرواة من أصدقاء « احمـــد حسنين » ، واصفيائه ، مؤكدة طبيعة الرجل ، وطبيعة غاياته واهدافه ٠ وايضا طبيعة الوســـائل التى كان يتوسل بها لتحقيق هذه الغايات ، والاهداف !!

ولست ارفض من هـــذه الروايات – وكلها تحدد ، ادق تحديد ، نوعية الرجل ، واسلوبه، ولحساب من كان يعمل – لست أرفض من هذه الروايات جميعها ، رواية واحدة ٠ فرواتها جميعا من اخلص اصدقائه ٠٠ من الصقهم به ، ومن أقربهم اليه ، ومن ابعدهم عن التقول عليه ٠ هذا فضلا على انهم لم يرووا شيئا من كل ذلك الذى رووه عن « حسنين » فى معرض النيل منه ، او التنديد به ، او تحميله مسئولية أى شىء مما جرى فى مصر ، ولمصر ، وقت ان كان هذا الرجل يحكمها من وراء ستار ، ويقوم بمهمته فى افساد « فاروق » ٠٠ « ملكا ، وانسانا » ٠٠ على احسن الوجوه ٠ وانما روى الرواة من اصفياء « حسنين » هذه الحقائق كلها ، فى معرض ازجاء المديح له ، والاشادة به ، والاعجاب الشديد بما كان يتمتع به من عبقرية ، ومن مكر ، ودهاء ٠٠ !!

واذكر اننى فى الثامن من ديسمبر سنة ١٩٥٣ - وكانت « محكمة الثورة » قائمة بمحاكمة الذين اسهموا فى افساد « فاروق » ، وفى افساد الحياة السياسية فى مصر على عهده - نشرت فى مجلة « التحرير » مقالا عنوانه : « حاكموا الاموات ·· واحكموا عليهم » - ، طالبت فيه بمحاكمة « أسماء » الذين افسدوا الملك على امته ، بعد اذ افسدوه على نفسه · وكان فى مقدمة اولئك « الاموات » الذين طالبت بمحاكمتهم : « احمد حسنين » ·· و « الياس اندراوس » · وجاء فى ذلك المقـــال عن « احمد حسنين » ما يلى :

« لقد وقف « عباس حليم » - وهو احد افراد الاسرة المالكة السابقة - أمام « محكمة الثورة » ليقرر أن فســـاد « فاروق » بدأ حين كان « احمد حسنين » رائده · ومن قبل « عباس حليم » كشف رجال آخرون عن ان رائد الملك هذا ، كان متزوجا من أم الملك الذى كان يوما ما يقوم بدور « رائده » · تزوجها فى الظلام · لأن زواجا كهذا لم يكن ممكنا ان يتم تحت النور · فهو زواج يتمثل فيه ، وفيما سبقه ولحقه من تصرفات هـــذا الرجل ، اكثر من وجه من وجوه الخيانة ·· خيانة « الامانة » التى وضعها والد « فاروق » فى عنق رائده ·

« ولقـــد وقعت فى يدى « أجندة » ، « فاروق » الخاصة ، حينما كان طالبا فى انجلترا ·· أى فى الوقت الذى كان « احمد حسنين » يقوم فيه بدور « الرائد » الذى كان عليه أن يربيه ، وان يحســـن توجيهه وتربيته · فماذا وجدت فى « اجندة » فاروق الخاصة ؟!

« لم أجد فيها اسما واحدا لكتاب واحـــد اشتراه « فاروق » او فكر فى شرائه · ولم اجد فيها اشارة واحدة الى موضوع واحد قرأه · أو فيلم واحد شاهده · وانما وجدت فيها ما يؤكد كل حرف قاله « عباس حليم » عن « رائد الملك » · وجدت فيهـــا عشرات الاسمـاء ، لعشرات من الفتيات مقرونة بعناوينهن ، وبتواريخ ميلادهن ، وأوصافهن : فهذه شقراء ·· وهذه خمرية ·· وهذه سمراء ··

« ولم اكن محتاجا ، بعد ان قلبت صفحات هذه « الاجندة الملكية » ، ذات « التاريخ المجيد » لان ابحث كيف بدا فساد « فاروق » ومتي ٠٠ واين ٠٠ وعلى ايدى من !!٠٠ »

***

اما الرجل الثاني الذي كان له من التأثير فى «فاروق»، وفى افكاره ، وفي الوصول بنزعته « الموروثة » الى « الحكم المطلق » الى ذروتها ، وتحمل بذلك ـ امام التاريخ ـ مسئولية افساد « فاروق » ـ ملكا ـ فهو ٠٠ علي ماهر (باشا) أول رئيس للديوان الملكى فى عهد فاروق ، واول سياسي مصري «محترف» عرفه ، وتعلم منه، وعمل بنصائحه ٠

ومن الانصاف للحق ان نقول ان وسائل الرجل الى السلطان ، والى الحكم والتحكم ، لم تكن هى نفس وسائل « احمد حسنين » ٠٠ وان بقيت له نفس اهدافه ٠ فلقد كان « على ماهر » اكرم بنفسه على نفسه ، واكرم بنفسه على ماضيه ، من ان يتخذ وسائل « احمد حسنين » طريقا الى السلطان ، والى الحكم والتحكم ٠ اذ كان ، على العكس تماما من « احمد حسنين » ، ذا ماض طويل فى الخدمة العامة ٠٠ كوكيل للنائب العام ، وقاض ، وناظر لمدرسة الحقوق فى سنة ١٩٢٣ ، ووكيل لوزارة المعارف ، ثم كوزير عدة مرات ، وكرئيس للوزراء فى آخر ايام « الملك فؤاد » ٠ كما كان له ، اضافة الى هذا كله ، شرف الاسهام فى ثورة سنة ١٩١٩ على نحو يشرفه ، وجدير بان يسجل له ٠ ولو كان للرجل ، الى جانب هذا كله ، ايمان حقيقى بالجماهير ، وبالعمل وسطها ٠٠ لما كان محتاجا لان يلقى بنفسه فى احضان « القصر » ليلتمس منه القوة ٠ ولكن « علي ماهر » كان نفورا ، بطبعه ، من الجماهير ٠٠

ولم يكن يتوفر له القدر الكافى لا من الايمان بها ، ولا من القدرة على مخاطبتها •

وليس صحيحا ما يقال من ان نفور الرجل من الجماهير انما يرجع الى تربيته من ناحية ، والى المحيط الذى نشأ فيه من ناحية أخرى • ليس هذا صحيحا لسبب بسيط •• هو ان « على ماهر » كان شقيقا ــ كما هو معروف ــ « للدكتور احمد ماهر » • وقد نشأ الشقيقان فى بيت واحد ، وعاشا فى محيط واحد ، وربيا تربية واحدة • فالصحيح ، اذن ، ان « المزاج الشخصى » لكل من الشقيقين ــ وليس المحيط ولا التربية ــ هو الذى مشى بكل واحد منهما فى الاتجاه الذى رآه متفقا وطبيعتـــه •• فألقى « احمد ماهر » بنفسه فى قلب نضال الشعب ، ودنا عنقه ــ يوما ما ــ من حبل المشنقة ، وراح يأخذ من الجماهير ويعطيها ، ويثق بها وتثق به ، حتى غدا واحدا من أبرز زعمائها • اما الشقيق الآخر •• « على ماهر » •• فقد ظل ، بحكم « مزاجه الخاص » ــ وليس بحكم تربيته ، ولا بحكم محيطه ــ ينفر من الجماهير ، ولا يثق بها ، ويقف دائما على مسافة بعيدة منها • ولقد ظل « على ماهر » محتفظا لنفسه بهذه المسافة التى كانت تباعد بينه وبين الجماهير ، حتى آخر أيامه •

واحسب ان الشعب كان يقدر « لعلى ماهر » كفايته • ولكن المرجح انه لم يكن يحمل له حبا كثيرا أو قليلا • فليست « الكفاءة » وحدها بكافية لان تحمل صاحبها الى قلب الشعب • ولو كان الامر كذلك ، لصـــار رجـل كاسماعيل صدقى ، مثلا ، من احب الرجال الى الشعب • لكنه ، على العكس ، كان من ابغضهم اليه •

ولم يكن « على ماهر » ، ومن هم على طرازه من الرجال ، يعلنون ــ بطبيعة الحال ــ عن ترفعهم على الجماهير ،

او عن عدم ايمانهم بها · ولكن الشعب ، بفطرته ، كان قادرا ــ دائما ــ على تمييزهم ، وعلى تحديد مكانه منهم ، وعلى مبادلتهم ترفعا بترفع ، وابتعادا بابتعاد ·

واذ تميز « على ماهر » بقدر غير قليل من الحصافة والذكاء · فقد هدته حصافته ، وهداه ذكاؤه ، الى ادراك حقيقة موقفه من الشعب ، وحقيقة موقف الشعب منه · ومن ثم ، اختار أن يربط نفسه « بالقصر » ·· يدور فى فلكه ، ويعمل لحسابه ، ولحساب توسيع حقوقه وسلطاته ، على حساب ما للشعب من حقوق ولعل حكومة الاغلبية الشعبية لم تلق من العنت فى تعاملها مع « القصر » ، مثلما لقيت من ذلك حين كان « على ماهر » يشغل منصب المستشار الاول للملك ، بوصفه رئيسا للديوان الملكى فى سنة ١٩٣٧ ·

ولم يكن « على ماهر » يوسع ، ما استطاع ، فى سلطات الملك عن غير عقيدة ، وانما كان يفعل ذلك عن عقيدة مستقرة فى عقله ، وفى نفسه ، مؤداها ان الشعب لم يبلغ من النضج الدرجة التى تجعله مؤهلا لممارسة ما كفله له الدستور من حقوق وسلطات · ولان عقيدة « على ماهر » هذه ، كانت تطابق عقيدة « القصر » كل المطابقة ، فقد لقيت منه ، ولقيت عنده ، كل الدعم والتشجيع ·

وبقدر ما قربت عقيدة « على ماهر » هذه ما بينه وبين « القصر » ــ اذ لم يكن هناك ما هو احب الى « القصر » من ان يرى نفسه ، وليس الامة ، قد اضحى مصدر السلطات جميعا ــ بقدر ما راحت تباعد ، اكثر واكثر ، ما بينه وبين جماهير الشعب · وبقدر ما راح هو نفسه يمتلىء باليقين من انه لن يستطيع ان يحكم يوما ما ــ وكان الوصول الى الحكم حلما يتصدر جميع احلامه ــ الا معتمداً على « القصر » ·· وعلى ماله من نفوذ وسلطان؟

وتحقق الحلم الذى كان يؤرق جفون « على ماهر » . فوصل الى الحكم ، على مدى عمره الطويل ، عدة مرات .. وليس مرة واحدة . لكنه لم يلبث حتى طعن بنفس « السيف » الذى كان هو اول من وضعه في يد الملك . !

فلم يكن « على ماهر » ، وهو بوسع ما استطاع فى سلطات الملك على حساب سلطات الشعب ، يحاول ان يمد بصره الى ما وراء الحاضر .. ولم يكن يعنى بالمبادىء في ذاتها ، قدر عنايته بان يضع فى طريق حكومة الاغلبية الشعبية كل ما من شأنه ان يعجل بالصدام بينها وبين الملك . ناسيا ، او متناسيا ، انه وقد راح يأخذ من الشعب ليعطى الملك ، فان الملك لن يزداد - مع الايام - الا نهما ، والا رغبة فى طلب المزيد . ومع ان الرجل ، كما قدمنا ، كان يتميز بقدر غير قليل من الـــذكاء .. وايضا من الثقافة السياسية يتيح له ان يعى طبيعـة الملوك .. الا ان عقيدته الخاصة بالنسبة لجمـــــاهير الشعب ، وبالنسبة لما تقدر على ممارسته من سلطات وحقوق ،كان لها الغلبة على ذكائه ،وعلى ثقافته السياسية. ولذا ،فانه عندما وقع أول خلاف بين «فاروق» ،وبين أول وزارة وفدية وليت الحكم فى عهده ، حول حق الوزارة الدستورى فى اختيار الاعضـــــاء المعينين فى مجـــلس الشيوخ - وكان هذا الخلاف ، بكل تفاصيله ، يكاد يكون تكرارا حرفيا لذلك الخلاف الدستورى الذى وقع فى سنة ١٩٢٤ بين « سعد زغلول » و « الملك فؤاد » - اخذ « على ماهر » جانب الملك فى هذا الخلاف . بل ربمايكون التعبير الاكثر دقة من هذا ، هو ان نقول ان « الملك » هو الذى اخذ جانب « على ماهر » . اذ لم يكن « الملك » ، فى ذلك الوقت ، قد جاوز السابعة عشرة من عمره .. فإذا اضفنا الى حداثة سنه انه لم يكن قد اكمل تعليما

من اى نوع ، كان لنا ان ندرك ، على الفور ، بلسان من كان « الملك » يتكلم .. عندما راح يتكلم مع رئيس الوزراء « مصطفى النحاس » .. عن الحقوق الدستورية لكل من الملك .. والوزارة ..

ولو ان الحقوق التى راح الملك يتحدث عنها كثيرا اثناء خلافاته مع حكومة الوفد ، كانت حقوقا مشروعة . لما كان لاحد ان يلوم « على ماهر » ، ولا ان يحمله ـ امام التاريخ ـ مسئولية افساد « فاروق » ـ ملكا ـ بتعويده على اهدار الدستور ، والافتيات على حقـــوق الشعب . ولكن الحقوق التى كان الملك يزعمها لنفسه ، كانت ـ فى جوهرها ـ حقوقا مغتصـــبة .. غصبها له مستشاره الاول ، ومدربه الاول على « لعبة » الحكم .

صحيح ان « على ماهر » ، وهو يغتصب للملك حقوقا دستورية ليست له ، كان يعمل لحساب حـــاجة فى نفسه ، ولحساب عقيدة يعتنقها . الا ان ذلك لن يرفع عنه ـ امام التاريخ ـ مسئولية تشجيع « فاروق » على الاستبداد ، والطغيان . ذلك ان ذكاء الرجل ، وتجربته ، ووعيه .. كل اولئك كان حريا ان يحمله على مد بصره الى ما وراء « الحاضر » ، ليرى « المستقبل » وما عسى ان يصنع به الملك الذى كان له من « طبيعته الموروثة » ، ما يجعل رجلا فى مثل ذكائه ، وتجربته ، وحصافته ، اشد حرصا من ان يضيف الى هذه « الطبيعة الموروثة » حقوقا مزعومة يستخدمها الملك اليوم ضد « النحاس » .. ويستخدمها غدا ضد « النقراشى » .. ويستخدمها بعد غد ضد « على ماهر » نفسه .. ثم يستخدمها بعد ذلك كله ، بل قبل ذلك كله ، ضد الشعب بأكمله .

***

ولم يكن ذلك الخلاف الذى نشأ بين « فاروق »

على اول عهده بالملك ، وبين حكومة الوفد ، حول حـــق اختيار اعضاء مجلس الشيوخ المعينين ، هو آخر الخلافات الدستورية التي نشأت بين الحكومة ، وبين « فاروق » — ومن ورائه مستشاره الاول ·· « على ماهر » — بل لقد كان ذلك الخلاف هو اول حلقة في سلسلة الخلافات التي اخذت تتعدد ، وتتلاحق حتى انتهت أخيرا الى النتيجة المحتومة التى كان « رئيس الديوان الملكى » يخطط لها ·

أقال الملك حكومة الوفد فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٧· وكانت اسباب الاقالة التي تضمنها «الامر الملكى» الصادر باقالة الحـــكومة : « أن الادلة قد اجتمعت لدينا على ان الشعب لم يعد يؤيد طريقة الوزارة في الحكم ،وانه يأخذ عليها مجافاتها لروح الدستور · » !!

كلمات فوق ادراك الملك — ابن السابعة عشرة — وفوق وعيه ، وفوق ثقافته · لكنها ، على أية حال ، ليست فوق ادراك « على ماهر » ، ولا فوق وعيه ، ولا فوق ثقافته ·

***

كان « على ماهر » ، وهو يوسع ما استطاع فى سلطات الملك ، يعمل — كما اوضحنا — لحساب « حاجة فى نفسه » · وكانت هذه « الحاجة » هى ان يكون هـــو « القادم الجديد » بعد ان يزيح الملك حكومة الوفد من الحكم · اذ كان الوصول الى الحكم ، كما قلنا ، هو الحلم الذى يزحم جميع احلامه ·

ووصل « على ماهر » الى الحكم فعلا · ولكن ، بعد ان عبر اليه على « جسر » اقامه فى صورة وزارة من وزارات « الاقليات » ما لبث ، بوسائله الخاصة ، ان ازاحها ، وحل محلها فى سنة ١٩٣٩ · كما صار رئيسا للوزراء مرة أخرى بعد « حريق القاهرة » فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ · وفي وزارته الاخيرة هذه ، بدأ « على ماهر »

يتلقى الطعنات .. اقسى الطعنات .. من نفس « السيف » الذي كان هو اول من وضعه في يد الملك .

فما كاد الرجل يستقر في مقعـــده كرئيس للوزراء ، حتى اخذت الطلبات الملكية « غير الدستورية » ، و « غير المشروعة » تلاحقه ، وتحاصره . فاذا بالملك يطلب منه – اول ما يطلب – تعيين « كامل قاويش » نائبـا عاما . وكان « كامل قاويش » هذا مستشارا بغيضا الى الشعب بسبب موقفه – عندما كان وكيلا للنائب العـــام – من مجموعة الشبان الوطنيين الذين اتهموا باغتيال الوزير السابق « امين عثمان » – وهو عميل آخـر من عمــلاء الانجليز – وجد في نفسه الجرأة لكي يرفع عقيرته ذات يوم من أيام سنة ١٩٤٦ ، مطالبـا بان تتزوج مصر من بريطانيا « زواجا كاثوليكيا » !!! فدفع حياته – على ايدى اولئك الشبان – ثمنا لما رفع عقيرته مناديا به .

والى جانب المشاعر الخاصة التى كان الشعب يحملها لكامل قاويش .. فانه لم يكن اقدم المستشارين ، بل لعله كان أحدثهم . وكيف يستطيع « على ماهر » ان يستجيب « لارادة » الملك ويعينه نائبا عاما ، متحديا بذلك مشاعر الشعب .. ومتجاوزا في ذات الوقت عن القواعد والاصول .

لكن الرجل لم يستطع ان يقول : لا .. ولم يستطع ، في نفس الوقت ، ان يقول : نعم . ومن ثم اخذ يراوغ الملك ، ويقدم له حججه المنطقية ، وحججه القانونية التى تضعه في موقف العاجز عن الاستجابة لرغبته . ولكن الملك كان قد تعلم ، على يدى هذا الرجل نفســه ، الا يعتد بالحجج المنطقية ، ولا بالحجج القانونية التى تحول بينه وبين بلوغ ما يريد .. ولذا ، فانه لم يقتنع بما ابداه « على ماهر » من حجج .. وسجل له « مراوغته » هذه في صحيفة اخطائه ، او في صحيفة خطاياه .. وراح يتربص !!!

اتبع طلبه الاول بطلب جـديد ... أنه يريد تعـيين « اللواء احمد طلعت » حكمدارا للقاهرة . وعلى الرغم من ان « اللواء طلعت » كان يمت بصلة القرابة لرئيس الوزراء الا ان الرجل رأى - لاعتبارات تتعلق بالمصلحة العامة - انه ليس من المنـاسب تعيينه فى المنصب الذى طلبه له الملك . هذا فضلا عن ان مجلس الوزراء كان قد اتخـذ قرارا بتعيين « اللواء احمد عبد الهادى » فى نفس المنصب، ونشر القرار فى الصحف .

غير ان الملك الذى لم يعد - على يدى « على ماهـر » - ملكا دستوريا .. يملك ولا يحكم ، لم يكن يهمه من ذلك كله شيء . وعلى ذلك ، فانه لم يرض هذه المرة بنقل عدم استجابة « على ماهر » لرغبته ، الى صحيفة أخطاء الرجل، او الى صحيفة خطاياه . وانما صمم على تعيين « اللـواء طلعت » فى المنصب الذى طلبه له . عندئذ لم يجد رئيس الوزراء - ازاء هذا التصميم الملكى - مفرا من ان يمضغ قراره السابق بتعيين « اللواء احمد عبد الهادى » حكمدارا للقاهرة ، ويصدر قرارا جـديدا بتعيين « اللواء طلعت » بدلا منه !! .

الم نقل لك ان « على ماهر » ، وهو يأخـذ من الشعب ليعطى الملك ، كان قـد نسى او تناسى ، ان ذلك لن يزيد الملك الا نهما .. والا رغبة فى طلب المزيد ؟

وبالفعل راح الملك يطلب المزيد ...

طلب الى « على ماهر » ان يصدر قرارا بعـودة « عبد الفتاح عمرو » ، الرجل الذى وصفه «الدكتور طه حسين» ادق وصف ، حين قال عنه : « انه يصلح سفيرا لانجلترا فى مصر اكثر مما يصلح سفيرا لمصر فى انجلترا » ، الى لندن ليباشر عمله كسفير لمصر هناك . وكانت حكومة الوفد قد سحبته فى أعقاب قيامها بالغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ .

ورأى « على ماهر » ان اعادة « عبد الفتاح عمرو » الى لندن ، سوف تكون صدمة لمشاعر الشعب • ولم يكن الرجل ، بسبب ظروف كثيرة ضاغطة ، مستعدا ، هذه المرة ، للتجاوز عن مشاعر الشعب • الا ان « مشاعر الشعب » هذه ، كانت آخر ما يدخل « لفاروق » فى حساب • ومن ثم ، صمم على عودة « عمرو » الى لندن • واعاده اليها عضوا فى بعثة التعزية الملكية فى وفاة ملك انجلترا ، ثم بقى بها مستأنفا عمله كسفير لمصر هناك !•

كل ذلك ، وغيره •• اسخط الملك غاية السخط على الرجل الذى كان اول من اذكى فى نفسه نزعته «الموروثة» الى « الحكم المطلق » • فلما رأى الملك – اضافة الى ذلك كله – ان « على ماهر » يحاول ان يقيم سياسة وزارته الجديدة على أساس من « الود » مع الوفد ؛ لم يطق عليه صبرا • فحرك اتباعه من الوزراء العاملين مع «على ماهر» ليثيروا فى وجهه المتاعب • عندئذ، رغب الرجل فى مقابلته ليشكو اليه تصرفات أولئك الاتباع •• فاذا به يفاجأ بما لم يكن ليخطر له على بال • لقد رفض الملك مقابلته • وكلف من رجاله من يتصل به ليقول له : « ان جلالته يرى انه اذا كان عندك شيء تريد ابلاغه اليه . فلتبلغه لرئيس الديوان » !! •

كانت هذه اقسى طعنة تلقاها « على ماهر » من ذلك « السيف » الذى كان قد وضعه بنفسه فى يد الملك • وعندها فهم الرجل الذى لم يكن الذكاء ينقصه ، ما هو مطلوب منه • فتوجه فى اليوم التالى الى قصر الملك ،حاملا فى جيبه استقالة وزارته التى لم يكن قد مر عليها اكثر من خمسة اسابيع !!! •

ولان هذه الاستقالة كانت مطلوبة ،فقد سارع الملك الى قبولها •• ولعل « على ماهر » – وهو يغادر قصر الملك ،

لآخر مرة، عائدا الى بيته ـ كان يردد لنفسه قول الشاعر:

اعلمه الرمـــــاية كل يـوم
فلما اشتد ساعده رماني !!

ففي هذا البيت الواحد من الشعر ،تتجسد ـ على ادق وجه ـ مأساة «على ماهر» مع «فاروق» ٠كما تتجسد ـوعلى ادق وجه ايضا ـ حقيقة ذلكالدور الخطير الذى لعبه «على ماهر » في حياة « فاروق » ٠٠ وحقيقة ذلك التأثير الذى تركه على تصرفاته ، وفعـــاله ٠ فلقد علم « على ماهر » « فاروقا » كيف يكون « حاكما مطلقا » ٠٠٠ وكيفتكون له اوامر ، ورغبات ، وطلبات ٠٠ وكيف يهدر القانون ، والدستور ، وحقوق الشعب ، في سبيل هذه الاوامر ، وهذه الرغبات والطلبات ٠ فلما ان ولى « على ماهــــر » الحكم ، تصور ـ لتجاهله لطبيعة الملوك ٠٠ وليس لجهله بهذه الطبيعة ـ ان فاروقا « لن يعبث به مثلما عبث « بالنحاس » من قبله ٠ وكان للرجل كثير من العذر في هذا التصور ٠ أو ليس هو معلم الملك ، وأستاذه ، ومدربه الاول على « لعبة الملك » ؟!

وكل ذلك كان صحيحا ٠ لكن الاكثر صحة منه ، هو ان « فاروقا » ـ وقد تعلم الطغيان ، واستمرأه ـ لم يكن ليستطيع ان يعفى منه احدا ٠٠ حتى ولا الرجل الذى زين له الطغيان ، وعلمه كيف يطغى ٠

الفصل الثالث

القائمة السوداء !

.. واترك هذين الرجلين اللذين لعبا اخطر الادوار تأثيرا فى مصير « فاروق » - ملكا .. وانسانا - منتقلا الى « حاشيته » .. الى تلك المجموعة من الاتباع التى قلنا ، قبلا ، انها كانت حثالة من الناس جاء بهم « فاروق » من الحضيض ، ورفعهم عنده الى القمة ... فاستطاعوا من مواقعهم التى رفعهم اليها ، ان يفسدوه على امته ، بعد ان نجحوا فى افساده على نفسه .

كانت تلك المجموعة من الاتباع تتكون ، أساسا ، من هؤلاء :

١ - كريم ثابت (باشا) ، المستشار الصحفى .
٢ - الياس أندراوس (باشا) ، المستشار الاقتصادى .
٣ - محمد حلمي حسين (بك) ، السائق الخاص .
٤ - انطوان بوللي (بك) ، مدير الشئون الخصوصية !
٥ - محمد حسن الشماشرجي (الخادم) الخاص .

ومن الطبيعي - وانا اقصد تعريفك بهذه المجموعة من الاتباع ، باعتبارها جزءا لا يتجزأ من حياة « فاروق » ، ومن تاريخه ، وايضا من مصيره - ان ابدأ بالرجل الاول ، والاخطر ، فى هذه « القائمة السوداء » .

كان « كريم ثابت » صحفيا من ابناء جريدة كانت تسمى « المقطم » . وقد عرفت هذه الجريدة ، منذ اليوم

الاول لتأسيسها ، بأنها « لسان حال » الاحتـــلال البريطـــانى فى مصر • ولم يكن « كريم ثابت » هـذا صحفيا من ذوى القلم ، ولا من ذوى الرأى • بل كان صحفيا « تافها » من ذلك النوع الذى تدور اهتماماته كلها حول التعرف على « الامزجة الخاصة » للملوك ، والعظماء : ماذا يأكلون ، وماذا يشربون •• ماذا يحبون ، وماذا يكرهون •• ومتى ينامون ، ومتى يستيقظون •• الى آخر هذه القائمة من الاهتمامات التافهة التى لا يرتضيها لنفسه غير صحفى تافه لا قدرة له الا عليها •

ولقد تسلل « كريم ثابت » الى محيط « فاروق » والى الالتصاق به ، ثم الى التأثير فيه ، والسيطرة عليه ، من خلال هذه « التفاهة » نفسها • اذ وضع عنه كتابا ملأه بعديد من « الاكاذيب الصحفية الفاخرة » التى تضـــع « فاروقا » على قمة التفوق الانسانى فى جميع مجالات الحياة • فهو — كما رسم « كريم ثابت » صورته فى ذلك الكتاب — « الانسان الاول » •• و « العالم الاول » •• و « الديمقراطى الاول » •• و « الرياضى الاول » •• و « المحســـن الاول » •• و « المؤمن الاول » •• و « الوطنى الاول » !!

وتحت تلك العناوين كلها ، كانت هناك عشرات من القصص الزائفة التى صاغها خيال « كـــريم ثابت » ببراعة فائقة لكى ترتفع « بفاروق » من مصاف العاديين من الناس ، لتضعه فى مصاف الملهمين والعباقرة •• بـــل لعلها — وهذا هو الاصح — قد ارتفعت به من مصـــاف « البشر » الذين يعيشون على الارض ، ووضـــعته فى مصاف « الملائكة » الذين لا وجود لهم الا فى السماء !

واذ راقت لعين « فاروق » تلك الصورة الزائفة التى رسمها له خيال « كريم ثابت » ، كان طبيعيا ان يقبض

« الرسام » الثمن . وكان الثمن فادحا . فقد اصدر الملك « امرا ملكيا » بتعيين « الابن البكر » لجريدة « المقطم » ، مستشارا صحفيا لجلالته !! .

***

حدث ذلك فى سنة ١٩٤٦ . وكان رئيس الوزراء ، حينذاك ، هو « اسماعيل صدقى باشا » . وقد فوجىء الرجل ، كما هى العادة ، بتعيين « كريم ثابت » فى ذلك المنصب الخطير الذى ابتدعه الملك خصيصا له . واذ استشعر رئيس الوزراء عدم الارتياح لهذا الامر الملكى ، فقد راح يبحث عن وسيلة لبقة يبلغ بها الملك ان الرجل الذى اختاره مستشارا صحفيا له، لا يصلح لهذا المنصب. ومن ثم ، هداه فكره ان يبلغ « فاروقا » ان «كريم ثابت» كان يقبض مبلغا معلوما من « المصروفات السرية » ، (مائتا جنيه شهريا) !! وان كرامة منصبه الجديد تقتضى اعفاءه من الاستمرار فى قبض ذلك المبلغ .

ويبدو أن رئيس الوزراء قدر انه حينما يعرف الملك ان الرجل الذى اختاره مستشارا صحفيا له كان ممن يتعاملون مع « المصروفات السرية » ، فلابد وان يعيد النظر فى اختياره .

ولقد كان معقولا ان يتحقق تقدير رئيس الوزراء ، لو ان الملك نفسه كان شخصية سوية . او لو انه كان على شىء من الاخلاق ينفره من مثل هذا النوع من الرجال الذين يحددون لانفسهم ثمنا يبيعونها به . اما وان الملك لم يكن كذلك على اى وجه من الوجوه ، فان ما حدث — كرد فعل لذلك التبليغ — كان على العكس تماما مما قدر رئيس الوزراء . فقد صدرت « الارادة الملكية » بمضاعفة المبلغ الذى كان « كريم ثابت » يتقاضاه من « المصروفات السرية » الى « اربعمائة جنيه شهريا » !!

ونفذ رئيس الوزراء ارادة الملك !! •

***

قضى الامر •• واصبح « الابن البكر » لجريدة «المقطم» ، لسان حال الاحتلال البريطانى لمصر ، مستشارا صحفيا « لملك مصر » • !! وراح ، منذ ذلك التاريخ ، يسرع الخطى على طريق القوة ، والسطوة ، واستغلال النفوذ • فاذا به يصبح قوة خطيرة ، ومؤثرة •• قوة تتدخل فى شئون الحكم ، وفى مجيىء الوزراء وذهابهم ، وفى قيام الحكومات وسقوطها • واذا به يصبح (باشـــا) من « باشوات مصر » • ثم اذا به ، اخيراً ، يصبح « وزيرا للدولة » فى « وزارة حسين سرى » التى تولت الحكم قبل سقوط الملك بشهرين اثنين !!! •

ولم يكن « كريم ثابت » ، بطبيعة الحال ، ليقدر على الوصول الى شىء من ذلك كله من خلال « الوجه الظاهر » لوظيفته المعلنة على الناس • ولكن وظيفة الرجل كان لها وجهها الآخر •• كان لها « وجهها الخفى » الذى مكن له من الوصول الى كل ذلك • فلقـــد عرف « كريم ثابت » بوسائله الخاصة – وما اكثرها – كيف يصـــبح صفى الملك وخدينه ، ورفيق لهوه ومجونه •• كما عرف كيف يتحول من مجرد « صحفى تافه » الى « كلب صيد » من نوع ممتاز يطلقه « سيده » فى اعقاب كل « فريســة » يريد ان ينالها ، فلا يعود الى « سيده » بدونها !! •

ولعل نجاح « كريم ثابت » فى مهمته « ككلب صيد »، يطلقه الملك فى اعقاب الفرائس ، هو الذى هيـأ له من اسباب القوة ، والسطوة، مالم يتهيأ اقل قدر منه لانظف الرجال •• بل الثابت ان عدداً من الرجال النظفاء ، بل و « الدستور » نفسه •• قد نالهم قدر مروع من بطش الملك بهم ، لانهم حاولوا ان يتصدوا « لكلب الصـــيد

الملكى » بخلع انيابه ، وتقليم اظافره ! ٠

حدث ذلك فى سنة ١٩٥٠، عندما سجل رئيس ديوان المحاسبة ، وقتئذ ، « محمود محمد محمود » فى تقريره السنوى ملاحظتين : احداهما تتعلق« بالذخيرة الفاسدة » التي قام عملاء الملك بتوريدها الى الجيش المصرى أثناء اشتراكه فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ٠ والثانية كانت خاصة بحصول « كريم ثابت » على مبلغ خمسة آلاف جنيه من اموال مستشفى جمعية المواساة بالاسكندرية ، بدعوى انها مقابل « دعاية » قام بها لحساب ذلك المستشفى !! ٠

ولقد ترتب على هاتين الملاحظتين اللتين ضمنهما رئيس ديوان المحاسبة تقريره ذاك ، عدة نتائج سياسية ودستورية ، بالغة الاثر ، والخطر ٠

● **أولا** : تعرض رئيس ديوان المحاسبة لغضب الملك، واضطر نتيجة لهذا الغضب الى الاستقالة من منصبه ٠

● **ثانيا** : علم « مصطفى مرعى » ــ عضو مجلس الشيوخ ، واحد اولئك الاحرار الذين كان الكيل قد طفح بهم ــ بما حدث لرئيس ديوان المحاسبة ، فقدم عنه ــ فى مايو سنة ١٩٥٠ ــ استجوابا لرئيس الوزراء ، وقتئذ ، « مصطفى النحاس باشا » ٠

● **ثالثا** : تعرض « مصطفى مرعى » ــ بوصفه عضوا فى مجلس الشيوخ ــ وزملاؤه الاعضاء الذين ظاهروا استجوابه ، بل ورئيس المجلس نفسه « الدكتور محمد حسين هيكل » الى بطش الملك ، والحكومة بهم ٠ اذ صدرت ، فى ١٧ يونيو سنة ١٩٥٠ ثلاثة مراسيم ملكية « تأديبية » عصفت بالدستور وبكيان مجلس الشيوخ ، وأخرجت منه اولئك الاعضاء الذين اجترأوا ، من ناحية، على اثارة قضية الذخيرة الفاسدة ، بينما كان الملك نفسه

هو بطلها الاول ، وحاميها ، وراعيها • كما اجترأوا ، من ناحية اخرى ، على التعريض « بكريم ثابت »•• مستشار جلالته الصحفى •• بسبب حصوله على خمسة آلاف جنيه لا يستحق منها ــ حقا وعدلا ــ قرشا واحدا •

ويقول « الدكتور محمد حسين هيكل » فى كتابه : « مذكرات فى السياسة المصرية » تعليقا على هذا العدوان الصارخ على الدستور الذى شارك فيه الملك والحكومة معا ••• ما يلى :

« احدثت مراسيم ١٧ يونيو تأثيرا عميقا فى طول البلاد وعرضها ، ووجمت الصحف ازاءها فلم يستطع احد الدفاع عنها • ذلكبان أحدا لم يتصور أن تدبرمؤامرة يغتال بها الدستور هذا الاغتيال المريع ، من اجل شخص من أبناء جريدة «المقطم» التى ناصرت السياسة الاستعمارية فى مصر منذ نشأتها ، ذلكم هو « كريم ثابت » • كما أن أحدا لم يتصور أن يقع ذلك الاغتيال المريع للدستور ، حماية لاولئك الذين تلاعبوا فى صفقات الاسلحة والذخائر التى كانت ترسل للجيش المحارب فى فلسطين » •

***

واعود ، بعد هذا الاستطراد الى الاصل ••• الى الشرارة التى طيرت اللهب ، وحملت الملك والحكومة معا على أن يعصفا بالدستور ، وبحرية الرأى تحت قبة البرلمان عصفا مروعا ــ اعود الى استجواب « مصطفى مرعى » •••

شرح الرجل استجوابه ، فى جلسة مجلس الشيوخ التى عقدت لهذا الغرض ، باسهاب لا يخلو من عنف ، ولكنه لم يتجاوز العنف الى نبو فى العبارة • واستغرق شرح « مصطفى مرعى » لاستجوابه الجلسة كلها • وطلبت الحكومة تأجيل ردها على المستجوب الى الغد •

وفى الغد •• فوجىء الرأى العام الذى كان يتابع مايجرى باهتمام ، وقلق ، « بمسرحية ملكية » مخرجة

اخراجا متقنا ، وان لم يخل من سخف . اذ نشرت الصحف خبرا مؤداه ان « كريم ثابت » قدم استقالته من منصبه كمستشار صحفى للملك . وان «جلالته » رفض قبولها. تأكيدا للثقة الملكية به . وبقدر ما كان هـــذا التصرف « الملكى » صغيرا ، بقدر ما كان حقيرا ، بقدر ماكان مغزاه مفهوما لابسط الناس ادراكا .

ذهبت الحكومة الى مجلس الشيوخ للرد على «مصطفى مرعى » ، يرفرف على رأسها « علم الثقة الملكية » المجددة بالمستشار الصحفى .. وهو « العلم » الذى حرص الملك على نشره فى صباح اليوم نفسه !

بدأ ممثل الحكومة : « فؤاد سراج الدين باشـــا » وزير الداخلية ، واخطر وزير فى الحكومة القائمة وقتئذ بدأ رده على الاستجواب بقوله : « انه لاحظ ان كرسى رياسة مجلس الشيوخ كان يهتز ، عندما كان « مصطفى مرعى » يتكلم .. لكثرة ما خولفت لائحة المجلس » .!!

ولم يفت على رئيس المجلس « الدكتور محمـد حسين هيكل » ما انطوى عليه هذا الاستهلال من تهديد ، فقاطع ممثل الحكومة بقوله : « ان هذا الـكرسى الذى تشرفت بالجلوس عليه للسنة السادسة ، ثابت تبوت الطـود . فالجالس عليه يؤدى واجبه فى كل الظروف ، فى حدود الدستور ، واللائحة الداخلية ، والتقاليد الـكريمة التى حرص عليها مجلسكم الموقر » .

وعندما استأنف ممثل الحكومة كلامه ، راح يرد على الواقعتين اللتين تناولهما الاستجواب بانهما لم تقعا فى عهد وزارة الوفد ، بل وقعتـــا فى عهد الوزارات التى سبقتها . الا انه ، مع ذلك ، دافع عن تصرفات « كريم ثابت » دفاعا حماسيا جاء متفقا ، فى حجمه وفى نوعيته ، مع الثقة الملكية المجددة بالمستشار الصحفى . !! ومع

الامال الكبار التى كان « سراج الدين » شخصيا ·· و « حكومة الوفد » نفسها يعلقانها على حسن ظن « كريم ثابت » فيهما ، وثقته الخاصة بهما ·

ولم ينس « فؤاد سراج الدين » في رده ان يقول « ان الحكومة اجرت تحقيقا في مسألة الاسلحة والذخيرة الفاسدة ، فنفى التحقيق المسئولية عن كل من كان لهم يد في هذه المسألة · ثم اختتم رده على الاستجواب بأن رئيس ديوان المحاسبة هو الذى اصر على الاستقالة ، رغم محاولته هو ·· ومحاولة رئيس الوزراء صده عنها»!!

ونأجل الاستمرار فى مناقشة الاستجواب اسبوعا ، عاد المجلس بعده الى استئناف المناقشة· فتكلم « الدكتور ابراهيم بيومى مدكور » ، وكان قد تبنى « الاستجواب » نيابة عن « مصطفى مرعى » الذى كان قد سافر الى اوروبا مرافقا للسيدة حرمه التى كانت مرتبطة بموعد سابق مع طبيبها المعالج · تكلم « الدكتور مدكور » ، فطالب بتعيين لجنة تحقيق برلمانية تحقق الواقعتين اللتين تناولهما الاستجواب · غير ان « حكومة الوفد » التى كانت قد صارت « ملكية » اكثر من الملك ، اعترضت على هذا الطلب بأنه « غير دستورى » وانتهى المجلس باحالة الموضوع على لجنة الشئون الدستورية لفحصه !! ·

ويروى « الدكتور محمد حسين هيكل » ، رئيس مجلس الشيوخ ، وقتئذ ، هذه الواقعة :

« فى هذه الاثناء ، جاء عندى فؤاد سراج الدين (باشا) بمكتبى فى مجلس الشيوخ ، فلما عاتبته لدفاعه عن كريم ثابت (باشا) ـ ولطالما حدثنى من قبل طاعنا عليه ، وعلى سياسة القصر ، وتدخله المعيب فى شئون الدولة ـ كان جوابه : « لقد بقى الوفد فى الشارع عشر سنوات كاد يقضى عليه فيها ، ولنا من ذلك كل العذر عن الاتفاق مع القصر وسياسته !!·

« عند ذلك ايقنت ان حرص النحاس (باشا) على تقبيل يد

« الملك » قد أصبح سياسة الوفـــد المرسومة التي يأمل ، عن طريقها ، أن يبقى في الحكم السنين الطوال » !!.

على ان احالة طلب « الدكتور ابراهيم بيومي مدكور » بتعيين لجنة تحقيق برلمانيـــة ، الى لجنة الشـــئون الدستورية .. لم تكن هي النهاية السعيدة التي يمكن ان تشفي غليل الملك . وانما كانت النهاية السعيدة التي تشفي غليل الملك ، والحكومة ، معا . هي تلك المراسيم الملكيه « التأديبية » الثلاثة التي حدثتك عنهـا . والتي صـــدرت في ١٧ يونيـــو سنة ١٩٥٠ ، لـــكى تعصف بالدستور و « بمجلس الشيوخ » عصفا مروعا . اذ اسقطت هذه المراسيم رئاســة المجلس ، كما اســـقطت العضوية عن تسعة عشر عضوا آخرين كان في مقدمتهم، بطبيعة الحال ، « مصطفى مرعى » ... صاحب الشرارة التي طيرت اللهب .

وفي اليوم التالى لهذه العاصفة الهوجاء التي اجتاحت الدستور ، ومجلس الشيوخ ، وحرية الكلمة تحت قبــة البرلمان ، فتح الناس عيونهم على بيان منير موجه اليهم من زعماء المعارضة ـ قالوا فيه :

« لم يبق بعد ذلك موضع للشك في أن الحكومة قد اتخـــذت اجراء باطلا غير شرعي ، عـــدوانا على السلطة التشريعية ، وتنكيلا بالمعارضة ، وفرارا من كشف الحقائق للناس . بل أن هذا الاجراء الذى اتخذته الحكومة ليشجع حماية المسئولين عن التلاعب بمال الدولة ، المستهترين برقابتها ، المستخفين بقوانينها .

« ان شر عهود الفساد ، والتحلل في الحكم ، هي تلك التي يتوارى فيهـا القانون ، ويقصر عن ادراك المرتكب . وأوغل في الفساد والشر أن تنزل الحكومة نقمتها على الـذين يشيرون الى مواطن التعفن لتداركها ، والى أبواب الشر لاغلاقها .

« ان الهاوية التي لا درك أسفل منها هي أن يرى الناس الجناة ، والادلة آخذة برقابهم ، بينما ضحاياهم تستجير ولا مجير . ثم يطالب ممثلو الامة بأن يتأدبوا بالخـــرس والعمى ، فان ثارت

ذممهم ، وتحركت أفئدتهم وألسنتهم ، فويل لهم ··· واقصاء ، وابعاد !·

« ان الحياة النيابية اذا فقدت حرية المنبر ، فقل عليهـــا العفاء · ولقد طالب أعضاء مجلس الشيوخ بالتحقيق فى أمور خطيرة ، فيها ما يمس نظام الجيش وأرواح رجاله ، وصيانة عتاده ، وسلامة ماله ·· فماذا يغضب الحاكم المستقيم من هذا ؟؟

« لماذا لم تقبلوا التحقيق فى مآسى الذخـيرة ؟ ·· واذا كانت النيابة تتولى ، فى حدود سلطتها ، التحقيق الجنائى · فما هـــو مصير المخالفات المالية الخطيرة ؟؟· ولماذا يحـــال بين البرلمان وتحقيقها ؟؟

« ان الحكومة تثير الشك فى جدية اجراءاتها ، وتقتلع الثقـة اقتلاعا من نفس الشعب بسلامة مقاصدها ، بل انها لم تترك ناحية واحدة من نواحى الحكم يتعزى الناس بهـــا عن فساد سواها · فالذى يجرى فى الادارة ، يجرى فى السوق المالية ، ويجرى فى سوق القطن ، ويجرى فى القضية الوطنية · وهذه التدابير انمـا تعد الحياة النيابية لتكون على غرار خاص ·· فتغضى عن فضائح الحكم ، وتخرس عن النطق باسم المرتكب ، أو الاشارة اليـــه ، ولو كانت آثار ما ارتكب تعرض حيـــاة الجنود ، وطمانينتهم ، للضياع » ··

***

حدث ذلك كله لأن شـــيخا فى مجلس الشـــيوخ اجترأ ، من خلال استشعاره لمسئوليته الوطنيـــة ، على ذكر اســـم « كريم ثابت » فى المجلس ، وعلى المطـــالبة بمحاسبته على ما أستحل لنفسه من مال الشعب بغير حق ·

ولئن كان ذلك الذى وقع فى حق الدستور ، وفى حق مجلس الشيوخ ، وفى حق رئيسه ، يدلنا ـــ من ناحية ـــ على مدى ما كان « لكريم ثابت » من قوة ، وسطوة · فانه ـــ من ناحية اخرى ـــ يدلنا على مـــدى الهوة السحيقة التى رضيت « حكومة الوفد » لنفســـها ان تسقط فيها ، لكى تعيش .. لكى تحكم سنين أطول ،

وليس يهمها فى كثير أو قليل ، ان يتم لها ذلك على حساب الشعب ، وعلى حساب الدستور ، وعلى حساب الاخلاق نفسها . انما كل الذى كان يهمها هو ان يكون « كريم ثابت » .. وان يكون « سيده » راضيين عنها ... فذلك ، فى تقديرها . يكفيها .. ويغنيها ..

ولم تكن خمسة الآلاف جنيه التى حصل عليها المستشار الصحفى للملك من أموال « مستشفى المواساة » ـ بتسهيل خاص من « الدكتور احمد النقيب باشا » رئيس ادارة المستشفى ، الذى كان هو الآخر واحدا من اللائذين « بحاشية الملك » ، يستمد منها قوته ، ونفوذه ـ لم تكن خمسة الآلاف جنيه هذه هى كل ما حصل عليه « كريم ثابت » من أموال الشعب ، بل كانت هى الشىء الوحيد الذى وصل الى علم رئيس ديوان المحاسبة .. فتوقف عنده ، وحاول ان يحاسب « كريم ثابت » عليه ، فكانت الطامة الكبرى . اما ما خفى من اموال حصل عليها « كريم ثابت » ـ بوصفه مستشارا صحفيا للملك ـ فكان أعظم وأفدح بكثير من ذلك المبلغ الذى أثار كل تلك العاصفة ، والذى جعل الملك والحكومة معه يفقدان رشديهما ، ويتصرفان تصرف اللص حين يضبط متلبسا فلا يتردد فى الاعتداء ، الى حد القتل ، على كل من اسهم فى ضبطه .. !

فكما استطاع « كريم ثابت » ، عن طريق تحوله من « صحفى تافه » فى بلاط « صاحبة الجلالة الصحافة » الى « كلب صيد » فى بلاط « صاحب الجلالة الملك » ، ان يصبح من اصحاب القوة والسطوة .. كذلك استطاع ، عن هذا الطريق نفسه ، ان يصبح من اصحاب الثروة .. بل والثروة الطائلة ..

ولنتوقف هنا قليلا لكى نلقى نظرة على تطور « ثروة » « كريم ثابت » فىالفترة الوافعه بين ٢٧ مايو سنة ١٩٤٦ ــ تاريخ تعيينه مستشارا صحفيا للملك ، حتى ٢٠ يوليو سنة ١٩٥٢ ــ تاريخ خروجه من دائرة السطوة ، والقوة ، واستغلال النفوذ .

لم يكن « كريم ثابت » ، قبل مايو سنة ١٩٤٦ ، يملك من الدنيا غير قطعة أرض فى « الزمالك » ثمنها ١٧٥٠ جنيها . دفع منها ، مقدما ، ٥٩٥ جنيها . وقسط الباقى على أربعة اقساط متساوية . كــذلك لم يكن « كريم ثابت » ، حتى ذلك التاريخ ، يملك من الاسهم والسندات الا ١٥٠ سهما . اما زوجته فلم تكن ، حتى ذلك التاريخ نفسه ، تملك شيئا على الاطلاق ..

ولقد روى عبد السلام الشاذلى « باشــا » الذى كان وزيرا للأوقاف فى وزارة « على ماهر » سنة ١٩٤٠ ، ان « كريم ثابت » ذهب اليه فى مكتبه بالــوزارة ورجاه ان يتوسط له لدى رئيس الحكومة ليقــرر له مبلغــا شهريا من « المصروفات السرية » يستعين بها على مواجهة الحياة ..

ولننظر الآن ، كيف تبدل الحــال غير الحــال .. فأصبح الرجل الذى كان بستجدى اعانة من « المصروفات السرية » واحدا من أصحاب الثروات الطائلة ..

● **اولا : لم يكن «كريم ثابت» ، حتى يوم ٢٧ مايو سنة ١٩٤٦ ـ وهو تاريخ تعيينه مستشارا صحفيا للملك ـ يملك من اسهم الشركات غير ١٥٠ سهما فقط .. وفى يوم التعيين نفسه اقتنى ٣٢٤ سهما جديدا . ثم أخذ عدد الاسهم التى راح يمتلكها يتصاعد حتى وصل ، فى سنة ١٩٥١ ، الى ٢٤٩٠ سهما قيمتها ١٧١٣٠ جنيها !!!**

● **ثانيا : أودع فى البنوك ، وحول لحسابه فى الفترة ما بين سنة ١٩٤٩ و ٥ مايو سنة ١٩٥٢ ، مبلغ ١٥٠٣٥٤ جنيها .. ومن**

بين هذا المبلغ ٧٧٠٠٠ر٠٠٠ جنيه أودعت فى سنة ١٩٤٩ وحدها ٠٠ ومبلغ ٣٥٣٤٠ جنيها أودع فى سنة ١٩٥٠ ، هذا فى الوقت الـذى لم يزد مجموع ما كان يحصل عليه من مرتبات كمستشار صحفى للملك ، وكمستشار للاذاعة ، وكواحد من أصحاب جريدة المقطم ، عن ٢٥٠٠ جنيه سنويا ٠٠٠

● ثالثا : بلغت المبالغ (المعلومة) التى حولت الى الخـارج باسمه ، او باسم زوجته ، فى المدة من ٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ الى ٢ يونيو سنة ١٩٥٢ ـ ٢٢٤١٦ جنيها !

كانت تلك هى ثروة «كريم ثابت» نفسه ٠٠ أما ثروة زوجته فقصتها أدهى وأمر ٠ فلم تكن السيدة « هيلانة سركيس » ٠٠ حين تزوجت من « كريم ثابت » فى سنة ١٩٣٣ ، وحتى يوم ٢٧ مـايو سنة ١٩٤٦ ـ وهو اليوم الذى عين فيه زوجها مستشارا صحفيا للملك ـ تملك سهما واحـــدا ٠٠ ولا عقارا واحـــدا ٠٠ ولا حتى جزءا فى عقار ٠٠ وفجأة أصبحت هذه السيدة نفسها تملك الثروة الطائلة التالية :

● أولا : ثلاث عمارات وفيللا بالاسكندرية ثمنها ، من واقع اقرارها ، ٦١٥٠٠ جنيه ٠٠٠ وقد أشتريت لها جميعها بواسطة « الياس أندراوس » المستشار الاقتصادى للملك ٠٠ والرجل الثانى فى « القائمة الملكية السوداء » !!

● ثانيا : أسهم وسندات قيمتها ٦٠٧٠٠ جنيه !!

● ثالثا : مجوهرات قيمتها ، كما هو موضح فى اقرار زوجها، ما بين ٢٥٠٠٠ جنيه و ٢٨٠٠٠ جنيه فقط !!

وليس ذلك هو كل شىء ٠٠٠ فلا يزال هنـــاك ما هو افدح ٠ ففى يوم واحـــد ـ هو يوم ١٣ ســـــبتمبر سنة ١٩٤٩ ـ اودعت السيدة حرم المســتشار الصحفى فى البنك البلجيكى مبـــلغ ١٥٠٠٠ر٠٠٠ جنيه فقط ٠٠ وحين سئلت ، امام محكمة الثورة ، فى اكتوبر سنة ١٩٥٣ ،عن مصدر هذا المبلغ الضخم الذى أودعتـــه البنك فى يوم واحد ، زعمت ان والدة « كريم ثابت » اهدته اليها على دفعتين : دفعة فى سنة ١٩٣٣ ، بمناسبة زواجها ، ودفعة اخرى فى سنة ١٩٣٨ ٠٠ بلا مناسبة !! ويبـــدو ان الزوجة ـ وهى تردد هذا الزعم امام محكمة الثورة ـ

لم تكن قد سمعت بحكاية ذهاب زوجها الى « عبد السلام الشاذلى » وزير الاوقاف فى وزارة « على ماهر » ، فى سنة ١٩٤٠ ، ليوسطه لدى رئيس الوزراء ليقرر له مبلغا شهريا من « المصروفات السرية » يستعين به على تكاليف الحياة !! ..

كذلك نسيت الزوجة ان زوجها لم يستطع ، فى سنة ١٩٣٨ ، ان يدفع مبلغ ١٧٥٠ جنيها ثمن قطعة الارض التى اشتراها دفعة واحدة ، فدفع منها ٥٩٥ جنيهـا فقط ، ثم قسط الباقى على أربعة أقساط متسـاوية . فى حين انها ـ فى هذا التـاريخ نفسه ـ كانت تملك ، حسب زعمها ، ١٥٫٠٠٠ جنيه مهداة اليها من أم زوجها ؟!

كلام غريب .. واغرب منه ان « السـيدة هيـلانة سركيس » حرم المستشار الصحفى لجلالة الملك ، والتى كانت قد أصبحت هى الاخرى كبيرة لوصيفات « جلالة الملكة » ، تصورت أنه يوجد بين النـاس من يمكن ان يصدقه !! ..

***

وفى ضوء تلك الحقائق الدامية جميعها ، نستطيع ان نتفهم جيدا معنى ذلك المقال الذى كان واحدا من أخطر « الكلمات التى هـزت مصر » والذى نشره « مصـطفى مرعى » فى ٢٤ أبريل سنة ١٩٥١ فى صحيفة « اللـواء الجديد » تحت عنوان : « على الكبار ان يتجنبـوا مزالق المال » .. وقال فيه :

« افراد حاشية الملك ، وبطانته ، هم مصـدر وحيه وباعث الهامة . وهم ، ومن اجل ذلك ، خليقون ان يكونوا مصريين دما .. لا مصريين قولا ، ولا مصريين حكما . ذلك لان رجل « الحاشية » هو ، فى واقع الامر ، سفير لامته لدى الجالس على عرشها . وما يتأتى أن يكون هذا السفير سفير صدق وامانة ، الا اذاخلصت مصريته ، وسلمت من كل شائبة ، ولا يجوز التفريق فى هـذا

المقام ، ولا التمييز بين اخلاص للعرش ، واخلاص للوطن • لان الذى لا يخلص للوطن لا يتصور اخلاصه للعرش ، الا على فرض أن العرش والوطن شيئان متغايران • وهذا فرض لا يقول به أحد ، ولا يرضى عنه أحد •

ويلزم « رجل الحاشية » و « البطانة » ، فوق مصريته الصميمة الخالصة ، أن يكون فوق مستوى الشبهات والظنون•لافى سلوكه العام فحسب ، بل في سلوكه العام والخاص معا • ذلك لان الانتماء الى « الحاشية » شرف ، والذى يظن فيه الميل والانحراف عن الجادة لا يكون اهلا لهذا الشرف • كذلك الذى يظن فيه الافادة من جاهه ، أو الاتجار بنفوذه •• فان للمال دولة تغزو معاقل الاخلاق ، وتدك قلاع الذمم •

« ودولة المال قد يلزمها أن تشترى جاها ونفوذا ، ورجال « الحاشية » •• و « البطانة » أولى الناس بالحصانة من هذا الداء ، واحراهم ان يتفادوا أسباب الوقوع فى فخاخه •

« واذا كان شرعنا الوضعى ـ من باب سد الذرائع ودفع الشبهات ـ قد حرم على الوزير ، ووكيل الوزارة ، ومدير العموم ، العمل فى الشركات قبل انقضاء ثلاث سنوات من يوم اعتزالهم خدمة الحكومة • فما أولى شرعنا الاخلاقى أن يمد هذا التحريم ليشمل كل ذى جاه من رجال « الحاشية » •• و « البطانة » • ولا تقل ان هذا لزوم لما لا يلزم • بل قل انه لزوم لبعض الذى يلزم ، لان الرفعة لها مقتضياتها ، ولان السمو له ثمنه وتكاليفه

« خذ رجلا كبير القدر ، جليل الخطر ، مثل « شريف صبرى باشا » (خال الملك) وهو ثالث ثلاثة كانوا ، فى وقت ما ، أوصياء على العرش • ألا تراه قد ترخص حين رضى أن يسير فى « موكب المال » يحمل علما لشركة أو شركات ، يروج لها ، ويعلن عنها • ذلك وهو ، والحمد لله ، واسع الثراء •• لايعوزه المال ؟؟

« وهو ـ اعنى « شريف صبرى باشا » ـ اذا كان لابد له من عمل يصرف فيه نشاطه ، فان فى ميدان الجمعيات الخيرية ، والاجتماعية ، والثقافية ، متسعا له •• وهى به أولى •

« وهلا قست على « مقامه الرفيع » أشباهه ، ونظائره ، من أمثال : « حسين صبرى باشا » (خال آخر للملك) •• و « محمد طاهر باشا » (ابن عمة الملك) •• و « الهامى حسين باشا » ••

و « نجيب سالم باشا » ٠٠ و « الدكتور أحمد النقيب باشا » ٠٠ وغيرهم ممن عرفت الشركات أقدارهم ٠٠٠ فعرفت كيف تفيد منهم، وتحقق واسع الكسب من ورائهم ٠

« وكما يلزم رجل « الحاشية » ٠٠ و « البطانة » ٠٠ أن يتجنب « مزالق المال » ، كذلك يلزم أن يتجنب « مزالق السياسة » ٠ ولا نعنى بهذا أن لا يشتغل رجل « الحاشية » ٠٠ و « البطانة » بشئون بلده ٠ فهذا حقه ٠ بل هو واجبه ٠ وانمـــــا نعنى أن يترفع عن ألاعيب السياسة ، ومناوراتها ، فلا يؤثر حزبا على حزب ، ولا يشايع فريقا على فريق ٠ وانما يؤثر فكرة على فكرة ، ويفضل رأيا على رأى ٠ على أن يكون الصالح العام ، وحده ، هو هدفه ورائده ٠ وعلى أن لا يعالن بآرائه ولا يصارح ، وعلى أن لا يتدخل ـ أبدا ـ فى توجيه أداة الحـــكم ٠٠ حتى لا تتحرك ، بتدخله ، الريب ٠٠ وتظن به الظنون ٠ »

***

هزت كلمات « مصطفى مرعى » هذه ،مصر من اقصاها الى أقصاها ٠ فما من احد فيها كان يطوف بخيـاله انه يوجد بيننا من يستطيع ان يمسك بقلمه ليكتب ضـــــد أقرب أقرباء الملك .. وضد « حاشيته » و « بطانته » ، مثل هذه الكلمات الحادة كأسنة الحراب ، والتى راحت تدوى فى كل مكان كأنها طلقات البنادق .. بينما كان الملك لا يزال متربعا على عرشه ، متمتعا بكامل قوته ، ممارسا لكل فساده وطغيانه ..

ولئن كانت كلمات « مصطفى مرعى » هذه ، قـــد هزت مصر من اقصاها الى اقصاها ، فانها ــ بالنسبة لرجال « الحاشية » ، و « البطانة » ، أنفسهم ــ ذهبت وكأنها صرخة فى واد . فان احدا منهم لم يحاول ان يتجنب « مزالق المال » ، كما لم يحاول احد منهم ان يتجنب « مزالق السياسة » .. اذ كانت هذه «المزالق» وتلك ، قد استعبدتهم الى الحد الذى لم يعودوا يستطيعون منه فرارا .. ثم لماذا يفرون منه ، و « سيدهم » نفسه

يرضى عنه ، ويشجعهم عليه .. بل ويتقاضاهم « ثمن » رضائه وتشجيعه ؟ !

من هنا ، لم يكن غريبا ان يثرى « كريم ثابت » كل ذلك الثراء الطائل .. كذلك لم يكن غريبا ان تصبح زوجته ثرية الى الحد الذى يجعلها تودع البنك ، فى يوم واحد فقط ، ١٥٫٠٠٠ جنيه ، وان تمتلك من المجوهرات ، وحدها ، ما قدر زوجها نفسه ثمنه بمبلغ يتراوح بين ٢٥٫٠٠٠ جنيه و ٢٨٫٠٠٠ جنيه ..

ولقد يتساءل بعضنا ، او كلنا : كيف .. ومن أين .. « لكريم ثابت » بهذا الثراء كله ، وهو الرجل الذى لم يكن مجموع دخله « المشروع » يزيد على الفين وخمسمائة جنيه سنويا ؟ ؟

لكننا حين نعرف ان الرجل لم يكن يفعل شيئا واحدا بلا ثمن .. بما فى ذلك قيام الحكومات وسقوطها ، وذهاب الوزراء ومجيئهم .. لا يكون هناك محل لمثل هذا التساؤل . ويكفينا للتدليل على مدى ما كان « لكريم ثابت » من نفوذ لدى « فاروق » ومن تسلط عليه ، هذه الواقعة التى وقعت فى سنة ١٩٥٠ ، وقتما كان « حسين سرى باشا » رئيسا للديوان الملكى . وقد رواها الرجل بنفسه لمحكمة الثورة ، فى اكتوبر سنة ١٩٥٣ ، خلال شهادته امامها ، فى محاكمة « كريم ثابت » .

فعندما عرض « النحاس باشا » ، فى سنة ١٩٥٠ ، اسماء الوزراء الذين يرشحهم للاشتراك معه فى الوزارة التى عهد اليه بتاليفها ، على رئيس الديوان الملكى ليقدمها بدوره الى الملك . كان من بين تلك الاسماء اسم « الدكتور طه حسين » كمرشح لتولى وزارة المعارف . ولان رئيس الديوان كان يعلم راى الملك فى « الدكتور طه حسين » ، فقد نصح « النحاس باشا » برفع اسمه من كشف المرشحين للوزارة ، والبحث عن شخص اخر يتولى

وزارة المعارف • فلما سأل « النحاس باشا » رئيس الديوان الملكى عن أسباب اعتراض الملك على « الدكتور طه حسين » ، قال رئيس الديوان ان الملك يعتقد أن لـ « طه حسين » أفكارا يسارية • ولكن « النحاس » لم يسلم بهذا الاعتراض ، وقال لرئيس الديوان انه مستعد لان يتنازل عن الوزراء كلهم ماعدا « طه حسين » •

ورفع رئيس الديوان الملكى كشف الوزراء المرشحين الى الملك • وما أن وقع نظره على اسم « طه حسين » حتى انتفض قائلا :

ـ مستحيل ••• دا راجـــل أفكاره يسارية • قل للنحـــاس (والكلام هنا موجه لحسين سرى) اننى موش عاوزه •

« ولكن « النحاس » زى ما أنا قلت (لايزال حسين سرى هــو الذى يتكلم) • قال انه مستعد لان يتنازل عن الوزراء كلهم الا « طه حسين » • وهنا تدخل « كريم ثابت » وأقنع الملك بدخــول « طه حسين » الوزارة ••

ويسأل رئيس محكمة الثورة ، رئيس الديوان الملكى السابق :

ـ وما هى الوسيلة التى أقنع بها « كريم ثابت » الملك ؟

ويجيب رئيس الديوان :

ـ أهو قعد يكلمه بالطريقة اللى كان بيكلمه بها لحد ما أقنعه !

من هذه الرواية التى رواها « لمحــكمة الثورة » ، رئيس الديوان الملكى السابق نفهم ان « النحاس باشا » كان مستعدا للعدول عن تأليف الوزارة اذا لم يشـــترك فيها « الدكتور طه حسين » . ومعنى هذا ، ببساطة ، انه مدين بتأليفها « لكريم ثابت » ، وليس للدستور ، ولا للشعب . فهل اذا ذهب « كريم ثابت » بعد ذلك الى « النحاس باشا » الذى هو مدين له بتأليف وزارته ، وطلب منه ما يخطر . . وما لا يخطر على البال . . هل كان بوسع « النحاس » أن يرفض له طلبا . . ؟

***

ويبدو ان « كريم ثابت » كان قد اقنع الملك بأن يقبل « طه حسين » وزيرا « تحت الاختبار » • وان هــذه كانت هى الوسيلة التى استطاع ان يتغلب بها على معارضة الملك فى دخول « طه حسين » الوزارة • فلقد روى لى

وزير وفدى سابق — كان عضوا فى « وزارة النحاس » هذه — ان الملك انتهز فرصة اجتمـاع الوزراء به ، فى مناسبة حلف اليمين الدستورية ، ووجه الكلام « للدكتور طه حسين » ، على مسمع من الوزراء جميعا — قائلا :

— يا حسين بك (متجاهلا الاسم الاول للرجل ، ومتجاهلا كذلك لقبه العلمى) انا أعطيك فرصة للاختبار .. ولما أشوف حتنجح والا لا ..!!

وهكذا ... اصبح « لكريم ثابت » من النفوذ لدى الملك ما لم يكن لرئيس الديوان الملكى نفسه شىء قريب منه . واتذا به ينجح عنده فيما يفشل فيه الرسـميون جميعا . وعلى رأسهم رؤساء الوزارات . بل ان رؤساء الوزارات انفسهم كانوا يتعاملون مع « كريم ثابت » اكثر مما يتعاملون مع الملك .. ذلك لانهم لم يكونوا يستطيعون، فى اى وقت ، ان يروا الملك . لكنهم كانوا يستطيعون فى اى وقت ، ان يروا « كريم ثابت » . فان لم يستطيعوا هم الذهاب اليه . ذهب هو اليهم . ولم لا ؟؟ اليس كل شىء بثمنه ؟؟ .

ثم ماذا ؟ ؟ ..

ثم كان لابد مما ليس منه بد .

انتهى « كريم ثابت » بكل ما كان قد تجمع بين يديه من قوة ، وثروة ، وسطوة ، ونفوذ ..

انتهى النهاية الطبيعية التى لم يكن هناك مفر منهـا بالنسبة لرجل صعد صعودا غير طبيعى ، لا يحكمه عقل ولا منطق ، اللهم الا منطق الدنايا والشهوات ، ان كان للدنايا والشهوات منطق . فلقد تحول « كريم ثابت » من « صحفى تافه » .. الى « كلب صـيد » من نوع ممتاز .. الى « ملك غير متوج » يتحكم فى « الملك المتوج » .. ويؤثر فيه ، ويؤثر عليه ، من خلال اذكاء شهواته ، وارضاء انحرافاته ومجونه ، حتى اصبح لديه

« اثيرا » .. يقول فلا يعصى الملك له قولا ، ويطلب فلا يرفض له الملك طلبا .. حتى ولو كان هذا الطلب هو اغتيال مجلس الشيوخ ..

انتهى « كريم ثابت » ، بكل ما كان بين يديه عن قوة ، وسطوة ، وثروة ، ونفوذ ـ الى « محكمة الثورة » فى اكتوبر سنة ١٩٥٣ ، لتحكم عليه بالآتى :

● أولا : بالاشغال الشاقة المؤبدة .

● ثانيا : برد ما استولى عليه هو وزوجته من أموال الشعب الى الشعب . وذلك بمصادرة كل ما زاد من أموالهما ، وممتلكاتهما ، عما كانا يملكانه قبل ٢٧ مايو سنة ١٩٤٦ ـ تاريخ تعيينه مستشارا صحفيا للملك السابق .

هكذا كانت الخاتمة .. خاتمة طبيعية لرجل صعد صعودا غير طبيعى لا يحكمه عقل ، ولا منطق .

***

ويجيىء ، بعد « كريم ثابت » ، فى هذه « القائمة السوداء » ، التى افسدت الملك على امته ، بعد اذ افسدته على نفسه ـ يجيىء الياس اندراوس (باشا) ... المستشار الاقتصادى .. وصنو « كريم ثابت » وقرينه فى الاجهاز على الملك ، وفى المضى به ، بمعدل سرعة لا مثيل له ، نحو النهاية المحتومة التى انتهى اليها .

ومثلما كان « كريم ثابت » ابنا للانجليز بشكل ما ، كذلك كان « الياس اندراوس » ابنا لهم بشكل آخر فلقد بدأ هذا الرجل حياته سكرتيرا خاصا لمستر « كين بويد » الذى كان مديرا للادارة الاوروبية بوزارة الداخلية المصرية ، وعندما ترك هذا الانجليزى مكانه فى وزارة الداخلية ، وعين رئيسا لمجلس ادارة شركة « صباغى البيضا » سحب « الياس اندراوس » وراءه . فالانجليز

لا يتخلون بسهولة عن شيئين : كلابهم .. وخدمهم ..
ومن خلال اخلاصه الذى لا حدود له لذلك « السيد الانجليزى » ، راح « الياس اندراوس » يترقى حتى صار واحدا من الاعمدة الاساسية التى يعتمد عليها مستر « كين بويد » فى ادارته لتلك الشركة .

وفى سنة ١٩٣٩ ، قامت الحرب العالمية الثانية . وأخذ الالمان ، فى سنواتها الاولى ، يحققون انتصارا تلو انتصار . حتى اقتربوا ، فى سنة ١٩٤٢ ، من «العلمين» .. وباتوا قاب قوسين او ادنى من ابواب الاسكندرية . عندئذ اضطر الانجليز الموجودون فى مصر الى الفرار منها .. بعضهم الى السودان ، وبعضهم الى فلسطين . وكان الانجليز المسئولون عن ادارة شركة « صباغى البيضا » ، من بين أولئك الذين فروا الى هذه الجهـــة او تلك . فروا وتركوا الشركة امانة فى عنق هذا « الخادم الامين » الذى بذل من الاخلاص فى ادارتها ما جعلهم ، حين عادوا اليها بعد زوال الخطر ، يجدون امامهم ما يكافئونه به غير عضوية مجلس ادارة الشركة ، وعضوية مجـــالس شركات أخرى من تلك التى كانت تخضع لنفوذهم .

واثرى « الياس اندراوس » .. والمال ، كما يقولون ، مفسدة .. فعرف الرجل طريقه الى موائد القمار . وعلى هذه الموائد نفسها ، كان الحظ السعيد فى انتظاره .فقد التقى حولها « بالمقامر الاول » فى مصر . التقى «بفاروق» .. الملك . ولم يكن صعبا بالنسبة لرجل تدرب تدريبه ، وتمرس مراسه ، ان يعرف من أين يؤكل الملك . !
كان الملك معروفا بأنه يكره أن يخسر على مائدة القمار .. كما كانت تحتويه فرحة كفرحة الاطفال حين يكسب .. وقرر « الياس اندراوس » ، ان يسعد الملك . قرر ان لا يكسب منه ابدا ، وان يخسر ، دائما ، امامه . واحب

الملك « الياس اندراوس » ، وقربه اليه ، وادناه منه ، وجعله - لليالية الحمراء - رفيقا لا يغيب • واذ كان الرجل ثريا من الاصل ، فقد عرف كيف يستثمر علاقته بالملك لكى يعوض ، اولا ، ما يخسره امامـــه على موائد القمار .. ولكى يزداد ، ثانيا ، ثراء فوق ثرائه •

وما لبث صيت « الياس اندراوس » ، كرجل لصيق بالملك ، ان طار فى دوائر الشركات .. وما لبثت ، هذه بدورها ، ان راحت تلهث وراءه . حتى لقد عين عضوا فى مجلس ادارة ثلاث منها فى يوم واحد !!!

كانت الشركات تعرف ، مسبقا ، انها مهما اجزلت العطاء « لالياس اندراوس » ، فانها لن تعطيه شيئا لله ، ولا لعبقريته . وانما هى تعطيه خمسة آلاف ، او عشرة آلاف جنيه ، سنويا ، لكى تستعيدها - من وراء علاقته بالملك - مائة الف . لم تكن الشركات فى مثل هـذه الصفقات هى الضحية .. كذلك لم يكن « اليـــــاس اندراوس » هو الضحية .. وانمـــا كان « الشعب » ، دائما ، هو ، الضحية • فهو الذى كان يدفع الثمن غاليا من ماله ، ومن غذائه ، ومن كسائه ، لكى يستمر رجل « كالياس اندراوس » يقبض من هنا ، ويقبض من هناك ، ويقبض من حيث يعرف الناس .. ومن حيث لا يعرفون ..

واذ ضاقت « دنيا المال » بطموح « الياس اندراوس » فقد وجه عينيه ناحية « دنيا السياسة » • فهى دنيـــا واسعة الحول والطول ، تزيده نفوذا فوق نفوذه ، وتزيده ثراء فوق ثرائه ، ويستطيع عن طريقها ان يحقق ما لا يستطيع ان يحققه بماله •

ولكن ... كيف ؟؟

لا بد له ، أولا ، لتحقيق هذا الهدف من مكان رسمى فى « حاشية الملك » • لكنه لن يستطيع الوصـــول الى

هذا المكان بدون الاستيلاء على قلب احب الناس الى الملك ، لكى يرضى بأن يفسح له مكانا بجواره • ولم تكن هذه ، على كل حال ، مشكلة •• فلقد كان « كريم ثابت » ــ الذى هو احب الناس الى الملك ، واقواهم نفوذا عنده ، وأشدهم تأثيرا عليه ــ كان يعرض نفسه للبيع فى اسواق السياسة ، وفى اسواق المال ، لكل من يستطيع ان يدفع الثمن • واذن فالامر سهل • بل لعله كان آسهل من ان يشغل به الرجل باله •

ولعلنا لم ننس ، بعد ، ان العمارات الثلاث التى امتلكتها حرم « كريم ثابت » ، فجاة ، فى الاسكندرية ، اشتريت لها جميعا بمعرفة « الياس اندراوس » •وما اظن ان دوره فى هذه الصفقة التى بلغ ثمنها ٦١٥٠٠ جنيه كان دور « السمسار » • فالرجل كان اخطر من ان يرضى لنفسه بمثل هذا الدور الذى يتضاءل الى أبعد حد ، بجانب دور من يقدر على دفع الثمن •• وكان قادرا على دفعه ، وقادرا ، فى نفس الوقت ، على تعويضه بأسرع مما دفعه •

ولست اقول بهذا من باب الاستنتاج ، ولا من باب التجنى . وانما اقوله من واقع المستندات الرسمية التى كانت ماثلة تحت انظار قضاة « محكمة الثورة » اثناء محاكمة « كريم ثابت » .

فقد أثبتت هذه المستندات أن واحدة من هذه العمارات الثلاث كانت ملكا لشركة « صباغى البيضا » التى كان « الياس أندراوس » قد أصبح رئيسا لمجلس ادارتها • بينما كانت الثانية ملكا لالياس أندراوس نفسه •• بل لقد كانت هناك « فيللا » أخرى بالزمالك اشترتها حرم « كريم ثابت » ، فى سنة ١٩٤٩ ، ثم باعتها لالياس أندراوس •• وليس لاحد غيره ، فى سنة ١٩٥١ ــ سنة تعيينه مستشارا اقتصاديا للملك ــ فهل يمكن أن يكون هذا كله قد تم من قبيل المصادفة ؟!

المهم آن الرجل عرف كيف يحقق هدفه •فعين ،فى سنة ١٩٥١ ، مستشارا اقتصاديا للملك . وبذلك تفتحت فى

وجهه الابواب جميعا : أبواب المال ، وابواب السياسة ، وابواب السطوة والنفوذ ..

وعندما حصل « الياس اندراوس » على هذا (الشرف) كتبت صحيفة « اللواء الجديد » في عددها الصادر في ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٥١ ، تحت عنوان : « الياس اندراوس .. وشركاته » ــ تقول :

« لقد صار الياس أندراوس باشا شرف الانتساب الى « حاشية الملك » بتعيينه مستشارا اقتصاديا خاصــا . وهو منصب ينشأ انشاء ، اذ ليس في تاريخ الاسرة المالكة المصرية ما يدل على أن مصر قد عرفت مثل هذا المنصب ..

وعلى الياس أندراوس (باشا) أن يهيىء نفسه ، ويوائم بينها وبين تبعة هذه المكانة التي رفع اليها . وهو اليوم عضو في مجالس ادارة شركات تدر عليه الكثير . وقد كان ، من قبل ، حرا في أن يكسب من هذه الشركات ما يستطيع الوصول اليه ، أو الحصول عليه ، لاسيما وهو رجل عصامي استطاع بمواهبه الخاصة أن يقفز من منصب سكرتير « مستر كين بويد » في الادارة الاوروبية ، الى هذه الصدارة في عالمي المال والسياسة . ولكنه ، اليوم ، لا يستطيع أن يتمتع بحريته السابقة ، فصلاته بالشركات يجب أن تقطع ، لأن ما من موظف كبير في الحكومة سيتصل به « أندراوس باشا » في شأن من شئون الشركات التي يعمل لحسابها ، الا ويرى نفسه محمولا على مجاملة « أندراوس باشا » وفي هذا ما فيه من احراج للموظفين ، ومن الخروج بهم عن واجباتهم فضلا عما في ذلك من منافســـة غير مشروعة بين الشركات التي يعمــل « أندراوس باشــا » لحسابها ، وبين الشركات الاخرى التي لم تظفر بعضويته أو برئاسته .

« ولقد يظن ظان أن هذا الذي نطلبه شيء خيالي ، لا يتفق مع الاعتبارات المادية التي يعيش في ظلها المجتمع الآن . اذ اننــا ندعو « أندراوس باشا » الى تحمل خسائر مادية قد تكون فادحة . ولكننا نعتقد أن « الدور » الذي أصبح يلعبه ، الآن ، يقتضيه أن يتحمل هذه الخسائر بلا تردد . فان « لمراتب الشرف » مقتضيات ، كما يقول المثل الفرنسي ، وكما يقول كل مثل عربي ، وكما تنادي بذلك كل اعتبارات الحياة الشريفة .

« فليصدر أندراوس (باشا) بيانه السريع بأنه استقال من جميع الشركات التى له صلة بها ، فان ذلك أقل ما ينتظر من رجل نفذ هذه القفزة السريعة » .

***

ولكن « اللواء الجديد » كانت متفائلة الى ابعد حد اذ تصورت ان الرجل يمكن ان يستجيب لندائها . فان « مراتب الشرف » ، و « أعتبارات الحياة الشريفة » التى بنت نداءها الى « الياس اندراوس » على أساس منهما ، لم يكن لهما وجود ، فى نفوس العاملين فى كنف « فاروق » من طراز « الياس اندراوس » و « كريم ثابت » وأمثالهما ..

ولو ان « مراتب الشرف » و « اعتبارات الحياة الشريفة » ، كان لها وجود عند أولئك الاشخاص ، او عند الملك نفسه ، لكانوا قد ردوا انفسهم بأنفسهم عن كثير من مثل ذلك الذى هتفت « اللواء الجديد » بالياس اندراوس لكى يرد نفسه عنه ، ولما كان قد جرى لمصر على ايديهم ما جرى ، ولما كان قد جرى لهم هم انفسهم ما جرى ..

واذن ... لقد دخل «الياس اندراوس» الى «المسرح» من أوسع أبوابه . فبعد ان كان « سمير الليل » على موائد القمار ، أرتقى فأصبح «مستشار الملك الاقتصادى» .. وصار ، بصفته الرسمية هذه ، شريكا لصديقه « كريم ثابت » فى بطولة تلك المسرحية المأساة ، الملهاة ، التى كانت احداثها الاليمة تمثل على مسرح مصر .

ولقد روى صحفى ممن كانوا ، يوما ما ، قريبين من الملك — فى معرض التدليل على « المكانة » التى كان « الياس اندراوس » قد بلغها لدى « فاروق » — الحكاية الغريبة التالية :

ذات يوم ، دعا الملك صديقه « الياس أندراوس باشا » الى منزل والدة « الملكة ناريمان » • وبحضور الملكة ، وعدد من اقاربها ـ وجه « فاروق » الكلام الى « الياس أندراوس » قائلا :

ـ اسمع يا أندراوس •• ان كل الذين هنا ، وعلى راسهم الملكة ، ضدك • انهم يقولون انك تسىء الى ، وانك تستغل نفوذك• ولتتكلم الملكة » •

وقالت الملكة ، موجهة كلامها لالياس اندراوس :

ـ نعم • ان البلد كله يكرهك أنت وكريم ثابت • واذا كان عدد سكان البلد ٢٠ مليونا • فمعنى هذا ، أن ٢٠ مليون يكرهونك ، ويكرهون كريم ثابت •

الياس أندراوس : وماذا فعلت ؟

الملكة : انك تتدخل في شئون الدولة • انك تذهب الى الوزراء وتقول لهم الملك يريد كذا ، ويريد كيت •• وهذا يسىء الى سمعة الملك •

أندراوس : ان « مولانا » يكلفنى بمهام ، وأنا أقضيها •• وأنتم الذين أوعزتم الى « النجار » (أحد أقرباء الملكة) بأن يهاجمنى فى عملى بشركة « البيضا » ونشر بذلك مقالات فى الصحف •

الملكة : ان البلد كله مسرور من هذا الهجوم •

اندراوس : أريد أن أعرف من هو المسرور ؟

الملكة : لقد هنأ عبد المجيد عبد الحق (وزير وفدى سابق) •• « النجار » على الهجوم عليك •

اندراوس : انا لاأعرف عبد المجيد عبد الحق ، ولم اقابله سوى مرة واحدة لكى أطلب له رتبة الباشوية •••

الملكة : اذن أنت الذى تأتى بالباشوية للوزراء ؟؟

أندراوس : لا اقصد هذا • وانما أنا التمس من « مولانا » •• و « مولانا » هو الذى ينعم أو لا ينعم •

ثم تدخل الملك :

ـ الآن ساتكلم ••• اسمعى ••• ان اندراوس أكبر مخلص لى، وهو ليس محتاجا لى ، وانما أنا الذى أحتاج اليه • وأنا أمنعكم من التعرض له ، أو الحديث عنه ، أو عن كريم ثابت • واذا فتح احد منكم فمه عن اندراوس ، فستكون « واقعته سودة » • ان اندراوس قدم لى خدمات كثيرة •• وقدم لك أنت خدمات كثيرة •

ويجب أن تسكتي وتطلبي الى أهلك السكوت ‥ والا فانك لست أحسن من فريدة (الملكة السابقة) ‥

وسكتت الملكة ناريمان ، ولم تفتح فمها ...

ولم يستطع احد من الموجودين أن يفتح فمه ...

ثم التفت الملك الى « أندراوس » ، وقال له :

ـ مبسوط ... لقد أعطيتهم جميعا « علقة » ...

وقبل أن يغادر الملك المكان ، أمسك الملكة ناريمان من ذراعها وهو يقول :

ـ لا اريد مؤامرات ضد رجالى ... والا فلن تبقى يوما واحدا ملكة ...

من هذه الحكاية التى حكاها واحد ممن كانوا ، فى وقت ما ، من أقرب المقربين الى الملك . نستطيع أن نتبين كيف نجح « الياس اندراوس » فى التسلط عليه .. وكيف جعله يقتنع بأنه « محتاج » اليه ، بأكثر مما يحتاج هو الى الملك .. وكيف أنه أدى له .. ولزوجته الملكة .. خدمات ، وجد الملك نفسه مطالبا بأن يذكر زوجته بها ، عندما وجدها قد نسيتها ، وراحت تهاجم « اليـاس اندراوس » . وهكذا كان الرجل من « البراعة » بحيث لم يقصر « خدماته » على « فاروق » ، بل راح يمدها الى كل من حوله ‥ حتى يسيطر اكثر ، ويتسلط اكثر ، ويتحكم أكثر .

ولقد أوضح المؤرخ « عبد الرحمن الرافعى » نوع « الخدمات » التى كان « الياس اندراوس » يؤديها للملك ، عندما وصف الرجل فى كتابه : « مقدمات ثورة ٢٣ يوليو » بأنه : « كان اداة الملك فى سرقاته ‥ و « اختلاساته » ٠ فاذا كان هذا هو نوع الخدمات التى كان « اندراوس » يؤديها للملك .. فما هو يا ترى نوع « الخدمات » التى كان يؤديها للملكة ؟ !

وهل كان للملكة ، هى الاخرى ، « سرقات » ..

و « اختلاسات » ·· وكان الرجل هو أداتها فيها · ؟ !

ام ان الامر لا يعدو عددا من « العمارات » وكميات من « المجوهرات » ، اشتراها لها « بمعرفته » ، كتلك التى اشتراها لحرم « كريم ثابت » .. وصيفة جلالتها.؟!

***

ولا نكاد نبتعد عن تلك الحكاية التى حكاها واحد ممن كانوا يوما قريبين جدا من الملك · حتى نلتقى بالخبر التالى منشورا فى صحيفة « اللواء الجديد » بتاريخ ١٤ اغسطس سنة ١٩٥١ . تحت عنوان : « مصدر السلطات ... ؟؟ » .

« تحدث الى رفعة النحاس باشا ، رئيس الوزراء ، احد اقاربه فى سوء الحالة التى يشهدها كل انسان ، ويشكو منها كل عاقل · وكم كانت دهشة ذلك القريب بالغة ، حينما سمع « النحاس باشا » يقول : « الحالة عال ·· عال خالص ·· انا عايز اكثر من كده ايه « اندراوس » و « كريم » مبسوطين ·· مبسوطين جدا ··

« واندراوس ·· وكريم ـ ان كنت لا تعرف ـ ليسا هما البرلمان الممثل للامة ·· وليسا هما السلطة القضائية ·· وليسا هما السلطة التنفيذية ·· فاعجب ان يبعث « انبساطهما » كل هذا الرضا فى نفس رفعة (الرئيس) ···

***

ثم لا نكاد نطوى هذه الصفحة من صفحات « اللواء الجديد » ، حتى نلتقى ، بصفحة أخرى ، عليها مقال آخر عن الرجل ·· وعن تسلطه ، وسلطانه ، تحت عنوان : « ما هى العصا السحرية التى يملكها الياس اندراوس ؟! » : بقلم ـ : « ابن الوليد » (١) يقول :

« علمت أن « الياس اندراوس » ، وهو ـ ان كنت لا تعلم ـ « باشا » من « باشوات مصر » ، وعضو فى مجلس الشيوخ ـ قد

(١) « ابن الوليد » ـ هو كاتب هذه السطور · وكان يكتب فى « اللواء الجديد » تحت ذلك الاسم المستعار ، مراعاة لوضعه فى مجلة « المصور » التى كان يعمل « وقتذاك » مديرا لتحريرها .

« حظى » بزيارة من « عبد الفتاح عمرو باشا » اثناء وجوده بالمستشفى الذى يعالج فيه بلندن ·

ولست أستعمل كلمة « حظى » اعتباطا · فان « عبد الفتـــاح عمرو » سفيرنا فى لندن ، يعيش هناك كما لو كان « الها » لاينقصه الا العبيد الذين يسجدون له · فما من فرد ، او جماعة ، ساقهم القدر الى « لندن » الا وعادوا وقد ضاقت صدورهم بتصرفات سفير بلادهم الذى لا يحب أن يرى مواطنيه ، ولا يسمح لهم بان يروه · لا يعترف بحقهم عليه ، ولا بواجبـــه نحوهم ·· ولأضرب لذلك الامثال :

« فى اغسطس سنة ١٩٤٧ ، سافرت من مصر بعثة عسـكرية مصرية لمشاهدة آثار معارك الحرب العالمية الثانية · فلما وصلت البعثة الى لندن ، رأت أن واجبها يملى عليها أن تبدأ بزيارة سفير مصر ، ولكن السفير « الكريم » لم يتفضل بمقابلة أعضاء البعثة ، معتذرا بأنه مشغول ··

« هذه واحدة ···

« والثانية ·· ان وكيل وزارة الحربية البريطانية أقام حفـــل استقبال لأولئك الضباط بمناسبة زيارتهم للندن ·· وكان « سفير مصر » أول المدعوين لهذا الحفل · ولكنه لم يكن أول الحاضرين ، ولا آخر الحاضرين · ففى الموعد المحدد ، جاء المدعوون كلهم ، الا « عبد الفتاح عمرو » · فقد أرسل ــ مرة ثانية ــ يعتذر بأنه مشغول ·· وكان موقف ضباطنا أمام المضيف الانجليزى مخجلا ··

« ولـكن العجيب فى الامر أن « عبـــد الفتاح عمرو » لم يخجل من موقفه ، بدليل أنه كرره ، فيما بعد ، أكثر من مرة ، مع أكثر من شخص · كرره مع البطل العالمى « محمود عبد الكريم » فى كل مرة ذهب فيها الى لندن لينازل أبطالها فى لعبة « الاسكواش راكت » · ولقد كان المفروض أن يكون « سفير مصر » هو أول من يحتم عليهم واجبهم الوطنى حضور مباريات البطل المصرى ليشجعوه ، ويشدوا عزمه ، ويلهبوا حماسه · ولكن الذى كان يحدث ، فى كل مرة ، هو أن « الجالية المصرية » فى لندن ، كانت تذهب جميعها الى مباريات « عبد الكريم » لتقف بتشجيعها وراءه الا « رأس الجالية » ·· الا « عبد الفتاح عمرو » ، فانه كان ، دائما ، لا يذهب ···

« رويت هذا كله ، لكى أتساءل من بعده : ما هى « العصــــا السحرية » التى يملكها « الياس أندراوس » ، والتى جعلت سفيرنا

فى لندن ينزل من سمائه ، ويهرول مسرعا الى المستشفى ليطمئن على الصحة الغالية ؟!٠

« نعم ٠٠ ما هى « العصا السحرية » التى يملكها هـــذا « الالياس اندراوس » ٠ والتى جعلت ذلك « السفير العظيم » الذى لا يعترف بضباط مصر ٠٠ ولا يعترف بأبطال مصر ٠٠ ينحنى راكعا لرجل لا تحب مصر أن تعرفه ، ولا أن تعترف به ؟!

« ما هى « العصا السحرية » التى يملكها هذا « الاليـــاس اندراوس » وجعلته يرتفع من القاع الى القمة٠٠فيصبح « باشا » من باشوات البلد » ٠٠ وعضوا فى مجلس الشيوخ ٠٠ فى مكان عز على برلمانى كبير ككفكرى اباظة ٠٠ وعز على مجاهد جليــل كعبد الرحمن الرافعى ٠٠ وعز على وطنى قديم كمحمد محمود جلال ٠٠ كما عز على كثيرين غيرهم ممن أفنوا أنفسهم كفاحا ، وجهادا ، من أجل وطنهم ٠٠ وفى سبيله ؟!٠

« ماهى « العصا السحرية » التى يملكها هذا « الاليـــاس اندراوس » فجعلته ثانى رجلين يوجهان دفة الحكم فى البلاد ٠٠ ويجتمعان « بفؤاد سراج الدين » ليحلا معا ٠٠ أو ليحلا له ٠٠ معضلات السياسة ، ومعضلات المال ؟!!٠

« ترى ٠٠ هل صـــداقة الرجل للمستشار الصحفى الخطير الشأن ، هى هذه « العصا السحرية ؟!! »

« أم ان صداقته لانجلترا ، ورجالها ، والعاملين لحسابها ، والعاملين بوحيها ٠٠ هى هذه « العصا ؟!! »

« قد تكون « الاولى » هى « العصا السحرية » التى مكنت للرجل من كل هذا ٠٠ كما أنها قد تكون « الثانية » ٠ وقد تكون شــيئا آخر غير هذه ، وتلك ٠٠٠

« سبحانك ربى ٠٠ تعلم الغيب ، وتعلم بمـــا انزل « عمرو باشا » من سمائه » ٠٠٠

***

هــكذا راحت طلقات البنــادق تدوى فى جو مصر ، متوجهة الى رأس الملك .. والى رؤوس أخطر رجاله ، وأعوانه . لقــد كان « الشر » عنيفــا ، فتعين أن يكون الهجوم أشد عنفا . ولم يستطع واحد من « جند الشر » هؤلاء أن يحتمى بالظلام ٠٠ كذلك لم يستطع واحد منهم

أن يختبىء وراء جدار . فلقد كان الملك هو « الجدار » الوحيد الذى كانوا يستطيعون الاختباء وراءه .. وكان الملك نفسه - قد بدأ يهتز ، ويتداعى ، ويصبح آيــلا للسقوط !

ولقد عرفنا ماذا فعلت الثورة « بكريم ثابت » ... وبثروته الطائلة التى كان قد امتصها من دماء الشعب ، فأعادتها الثورة الى الشعب .

أما « الياس اندراوس » صــــنو « كريم ثابت » ، وقرينه ، فى افساد الملك .. وفى افساد الحياة السياسية فى مصر ، فان « الثورة » لم تفعل به شيئا .. لا لانه كان أكبر ، أو أخطر ، من أن تحاسبه . وانما لانه عرف كيف ينجو بنفسه منها .. ومن حسابها ، وعقابها ..

لقد مات قبل أن يدركه حسابها .

***

وقبل أن اترك «كريم ثابت» .. و «الياس اندرأوس» .. منتقلا الى البقية الباقية فى تلك « القائمة السوداء » التى تضم هذه « الحثالة » من الناس الذين نجحوا فى افساد « فاروق » على أمته ، بعد اذ نجحوا فى افساده على نفســه ـ أتوقف قليلا لأسأل هذا السؤال :

● **هل كانت صدفة محضة أن « فاروقا » كان محاطا دائما ، برجال معروفين بأنهم اما من أصدقاء الانجليــــز الحميمين من أمثال : « أحمد حسنين » ، و « عبد الفتاح عمرو » ، و « حافظ عفيفى » . واما من عملائهم الصريحين من أمثال : « كريم ثابت » ، و « الياس اندراوس » ؟؟**

● **وهل كان الانجليز هم الذين يعملون على احاطة « فاروق » باصدقائهم المخلصدن ، وبعملائهم الصريحين .. استبقاء لنفوذهم عليه ، واحاطة بكل تصرفاته .. وبكل تحركاته وسكناته ؟.. أم أن « فاروقا » هو الذى كان حريصا على أن يكون للرجال الذين يحيط بهم نفسه ، هـذا « اللون الفاقع » من الايمان بالانجليز والولاء لهم ، استبقاء لثقة الانجليز به .. ودفعا لكل مظنة يمكن أن تقوم عندهم فى صدق ولائه لهم ؟!**

ثم أتابع الحديث عن « القائمة السوداء » ...

لم يبق فى تلك « القائمة » ـ بعد « كريم ثابت » : و « اندراوس » ـ غير : « حلمى حسين » ، و « انطوان بوللى » و « محمد حسن » .

وأول هؤلاء الثلاثة ـ « حلمى حسين » ـ كان ، فى الاصل ، صولا ، بالحرس الملكى ، كان يقوم بمهمة السائق الخاص لسيارة الملك . ولأن هـــذا « الصول » كان « حليفا مخلصا للشيطان » ، فقد راح الملك يرقى به فى سلم « الرتب العسكرية » حتى أوصله فى آخر أيامه الى رتبة « الاميرالاى » ـ وهى تساوى رتبة « العميد » حاليا ـ وبمقدار ما ارتقى هذا الرجل فى سلم «الوظائف» بمقدار ماهبط فى سلم « الاخلاق » . اذ كان ـ بطبعه ـ مستعدا لأى عمل ، ولكل عمل يكلفه به « سيده » الذى كان يسحبه وراءه الى كل مكان يذهب اليه . وعندما نتذكر أن « سيده » لم يكن يعرف الطريق الى مكان واحد طاهر أو نظيف .. نستطيع أن ندرك طبيعة الرجل ، وطبيعة « المهام » التى كان يقوم بها لحساب « سيده » ومن أجل « سيده » . صحيح أن « فاروقا » أوفده مرة ، أو مرات ، فى بعثات الى أوروبا لشراء أســلحة للجيش . ولكن ، حتى هـــذه المهام ـ برغم ظاهرها الشريف ـ لم تكن بالنسبة لهذا الرجل « مهاما شريفة » .. فلقد أوفده « ســـيده » فى هذه البعثات ليكون « عينه » على الصفقات التى تعقدها بعثاته ، لكى يعرف ـ بالضبط ـ حجم « العمولات » التى سوف يتقاضاها فى مقابل التعاقد عليها ...

أما « انطوان بوللى » .. فانه رجل من « طراز آخر » .. وبالتالى فان له « شأنا آخر » !! .. فقد بدأ هــذا الرجل ـ وهو أصلا ايطالى الجنســية ـ بدأ حيــاته

« كهربائيا » فى « القصر الملكى » . ولكن « مواهبه الخاصة » مالبثت أن راحت تقفز به فى سلم الترقى حتى أصبح « مديرا للشئون الخصوصية للملك » ، وأنعم عليه برتبة « البكوية » .. وهى رتبة لم يحملها — الى أن سقط الملك ، وسقطت معه الرتب والالقاب — كثيرون من أشرف رجال مصر .. ومن أكثرهم ولاء لها ، وتضحية فى سبيلها .

واننا لنستطيع ، من اسم الوظيفة التى اختارها « فاروق » لصديقه « بوللى بك » ، أن ندرك طبيعتها . « فالشئون الخصوصية » لفاروق لم تكن مجهولة لاحد . أنها لم تخرج مطلقا عن « اصطياد النساء » ، واغرائهن ، وتطويع العنيدات منهن . كان طريق « الفانيات » الى الملك ، وطريق الملك الى « الفانيات » ، يمر دائما « ببوللى بك » . فاتصالاتهن التليفونية كانت تصل الى الملك عبر تليفون خاص موجود على مكتب « بوللى بك ».. ورسائلهن الغرامية الى الملك كانت ترسل الى « القصر الملكى » معنونة من الخارج باسم « بوللى بك » . وكان للنساء اللاتى عرفهن « فاروق » وما أكثرهن ، من كل نوع ، ومن كل جنس — كان لهن « أرشيف خاص » فى مكتب الملك (!!) يشرف على ترتيبه ، وتنسيقه ، « بوللى بك » . (وللنساء فى حياة « فاروق » حديث آخر طويل .. قد يكون مكانه كتابا قائما بذاته) .

كان هذا هو الرجل .. وكانت هذه هى وظيفته ...

ومع ان الرجل ، ووظيفته ، كانا معروفين للخاص والعام على السواء . ومع ان الرجل ، ووظيفته ، كانا يدعوان كل انسان شريف الى ازدرائه ، واحتقاره . الا أن كثيرين ، ومنهم رجال مفروض فيهم أنهم كانوا كبارا ،

لم يستطيعوا ان يردوا انفسهم عن التقرب منه ، والتمسح به ، والتودد اليه ..

فلقد حدث عندما كانت النيابة العامة تقوم بالتحقيق فى « قضية الذخيرة والاسلحة الفاسدة » أن حومت التهم فوق رؤوس عدد من « حاشية » الملك ، كان « بوللى بك » من بينهم . لكن التحقيق معه مالبث أن حفظ . ولم يكن غريبا أن يحفظ التحقيق مع « بوللى بك » ، وانما الغريب انه بدأ . فلما حفظ التحقيق مع «رجل الاسرار الملكية» ،لم يرد كثيرون — ممن كنا نعتبرهم من « علية القوم — لم يردوا أنفسهم عن الذهاب اليه حتى مكتبه .. مهنئين .. ومباركين !!

***

ثم أصل ، بعد ذلك ، الى ذيل القائمة .. الى « محمد حسن » .. «الشماشرجى» الخاص — أى « الخادم الخاص للملك » ..لقد كانت المهمة الرسمية لهذا «الخادم الخاص » هى الاشراف على ملابس الملك الخاصة ، ومعاونته فى ارتدائها ، ابتداء من الحذاء .. ووصولا الى « الطربوش » . ولأن هذا « الخادم الخاص » كان يعرف القراءة والكتابة ، على العكس من شريك له فى خدمة الملك ، اسمه : « عزيز » ، فقد كان الملك ينتهز فرصة الساعات القليلة التى كان يقتطعها لشئون الدولة من « وقته الثمين » .. ليجلسه أمامه ويملى عليه الاوامر ، والتعليمات ، التى يريد ابلاغها الى رئيس الديوان الملكى ، أو الى رئيس الوزراء . ومن خلال هذه المهمة ، عرف « الخادم الذكى » كيف يجعل له رأيا فى شئون الدولة . وصار كثيرون ممن كنا نعتبرهم كبراء يقصدونه ، ويتملقونه ، ويوسطونه . فارتفعت مكانة « محمد حسن » فى نظر نفسه .. من حيث هبطت الى

الحضيض مكانة أولئك الذين رضوا لأنفسهم أن يعترفوا به كانسان ذى مكانة على مستوى المسئولية فى الدولة ..

ولك أن تتصور مدى الهوان الذى كان « فاروق » يحيط به حياة أكبر رجال دولته ، عندما تعرف أن النائب العام ـ محمد عزمى ـ حاول ذات يوم مقابلة الملك ليشرح له موقفه من قضية الاسلحة الفاسدة ، فاستعصى ذلك عليه الى حد اضطره للالتجاء الى مورد « الفراخ » للقصور الملكية ، موسطا اياه ـ ليس لدى الملك بطبيعة الحال ـ وانما لدى « محمد حسن » ليقوم هذا باقناع الملك لكى يتفضل بمقابلته . !!

هوان ليس بعده هوان .. ولكن ، اذا لم ننس ان الدولة كانت قد تحولت ، على أيدى « فاروق » الى « عزبة خاصة » تحكمها مجموعة من الخدم والاتباع ، تتفاوت أقدارهم ، ووظائفهم ، لكنهم يظلون ـ على الرغم من كل شىء ـ خدما .. واتباعا ... اذا لم ننس هذه الحقيقة المرة التى كانت تكوى افئدة الاحرار بأسياخ من نار ، كان لنا أن ننظر الى سقطة النائب العام هذه ، وان كانت لاتغتفر ، على أنها شىء من الطبيعى أن يحدث فى دولة يحكمها الاتباع والخدم .

***

كان أولئك هم « الخدم العمالقة » الذين أحاط بهم « فاروق » نفسه .. يركبون كتفيه ، ويوجهون خطاه ، حتى أضاعوه وضاعوا معه . والى جانب هؤلاء « الخدم العمالقة » ، كانت هناك مجموعة أخرى من « الخدم الاقزام » .

كان هناك « جارو » ـ حلاق الملك الخاص ـ وكان هناك « بترو » ـ مساعد الحلاق ـ وكان هناك «كافاتس» ـ مدرب الكلاب الملكية ـ !! ومن هؤلاء ، وأولئك ، كانت

تتكون تلك « العصابة » الساقطة التى كان « فاروق » يسحبها وراءه الى « لياليه الحمراء » فى « نادى السيارات » وفى « أوبرج الاهرام » ، وفى « حلمية بالاس » وفى « الاسكارابيه » باسكندرية . وكلها أماكن شهدت من فضائح « فاروق » ومباذله ... وفضائح « عصابته » هذه ، ومباذلها ، ما لم تشهده من فضائح ومباذل ،أشد الناس سقوطا ،وانحلالا ،وضياعا

ولو ان الملك ... وهذه « الحثالة » التى كان يحيط بها نفسه .. ابتداء من « كريم ثابت » ، و « الياس اندراوس .. وانتهاء « بالحلاق » ، و «مساعد الحلاق» و « مدرب الكلاب » — كانوا يسفحون فى تلك الاماكن ، وعلى موائدها ، وحول كئوسها ، كرامتهم الشخصية — لهان الامر قليلا على ضمائر الاحرار . أما وان الملك ، ومعه هذه « الحثالة » من « حاشيته » و « بطانته » ، كانوا يسفحون فى تلك الاماكن كرامة مصر مع كرامتهم ، بل وقبل كرامتهم ، فان الامر كان أشق على ضمير الاحرار من أن يحتمل . ومن هنا اكتسبت المعركة بين هؤلاء الاحرار من ناحية ، وبين « فاروق » وحاشيته ، وعملائه ، وأتباعه ، من ناحية أخرى ، سخونة شديدة ، وعنفا شديدا .. ولم يكن أمام أى من الفريقين سبيل الى التراجع . فلقد وصلت المعركة بينهما الى نقطة اللارجوع

الفصل الرابع

ملك .. ضد جيشه!

كان طبيعيا ان لايكون لفاروق مع الجيش مسلك آخر يختلف عن مسلكه مع الشعب . فلم يكن الجيش - قبل ثورة ٢٣ يوليو ، واثناءها ، وبعدها - سوى جزء لايتجزأ من الشعب . واذا كان « فاروق » قد وجد بين قادة الجيش الكبار من رضوا لأنفسهم - جريا وراء ماعساه ان يكون قد لوح لهم به من جاه أو منصب - أن ينسلخوا عن الشعب ، ليمشوا فى ركابه . فان الكتلة الكبرى من الضباط والجنود ظلت دائما على ولائها الحقيقى للشعب الذى نبتت من شجرته الطيبة ، وجاءت من كل بيت نظيف من بيوته .

واذ لم يتردد « فاروق » فى أن يبيع للشيطان نفسه فلقد كان أسهل عليه من ذلك أن يبيع جيشه لنفس الشيطان الذى باع له نفسه ..

ولقد كانت حرب فلسطين التى أمر « فاروق » الجيش ، فى سنة ١٩٤٨ ، بدخولها دون أدنى استعداد لها ، ودون انتظار لموافقة البرلمان عليها ، كما تقضى بذلك احكام الدستور - كانت هذه الحرب ، بما صاحبها من جرائم وخيانات ، بلغت ذروة بشاعتها بما تكشف عن

اختفاء « فاروق » وراء صفقات الاسلحة والذخيرة الفاسدة ، هى بؤرة الضوء التى كشفت عن الحجم الحقيقى لتلك الجريمة البشعة التى ارتكبها الملك ضد شعبه وجيشه . كما كشفت ، فى نفس الوقت - عن الحجم الحقيقى للخيانة التى كانت تعشش فى أعماقه ، والتى لم ترده ـ فى سبيل أن يزداد ثراء فوق ثرائه ـ على أن يغمس يديه القذرتين ، وان كانتا « ملكيتين » ، فى الدماء الزكية لعشرات الآلاف من أبناء الشعب الذين دفعوا أرواحهم ، فضلا عن كرامة جيشهم وبلادهم ، ثمنا لخيانته ..

وقبل أن نمضى معا الى تفاصيل هذه الجريمة الملكية البشعة ، وظروفها ، وملابساتها ـ اريدك أن تعطى سمعك قليلا للمؤرخ « عبد الرحمن الرافعى » لكى تستمع اليه ، وهو يدلى بين يدى التاريخ بشهادته فيها :

« استغل « فاروق » حرب فلسطين استغلالا وضيعا ، قلما وصل اليه ملك من قبل . فقد انتهز حاجة الجيش الى الاسلحة والذخائر من الخارج لاستكمال تسليحه ، فاتجر شخصيا مع رهط من المقربين اليه فى صفقات من الاسلحة والذخائر التى تعاقدت عليها ادارة الجيش ، وتبين انها اسلحة وذخائر فاسدة ، كانت لاتصيب المرمى .. بل تنفجر فيمن كانوا يستعملونها من الضباط والجنود ، وقد أودت بحياة الكثيرين منهم . وكان عملاء « فاروق » يجوبون الاسواق فى أوربا ، ويعقدون هذه الصفقات الحرام ، ويرسلونها الى مصر فتنتقل الى ميدان الحرب فى فلسطين ، وتنفجر فى أيدى الجنود وفى صدورهم ، او تحدث دخانا يؤدى الى اختناق الجنود .

« ولقد نزل « فاروق » فى هذا الاستغلال الى احط دركات السقوط والخيانة . وأى جريمة افظع من أن يكسب ملك المال الحرام عن طريق تعريض بلاده للهزيمة ، وتعريض افراد الجيش للقتل والهلاك ؟..

« وليس فى مساوىء « فاروق » كلها ما يعادل هذا الاثم ، فى

فظاعته ووضاعته ، وكانت هذه الجريمة هى الضربة القاصمة التى زلزلت العرش ، وأطاحت بالبقية الباقية من سمعة « فاروق » ، وملأت نفوس المواطنين كراهية له ، وسخطا عليه » (١) .

***

كان رئيس ديوان المحاسبة « محمود محمد محمود » هو اول من سلط النور على جريمة الجرائم هذه ، اذ ضمن تقريره السنوى أول اشارة اليها . وما كاد المجرمون الذين اقترفوها — وعلى رأسهم كبيرهم .. « الملك » — يعلمون بما تضمنه تقرير رئيس ديوان المحاسبة من اشارة اليهم ، والى الجريمة السوداء التى اقترفوها ، حتى هرولوا — مدفوعين بالذعر ، وبالغيظ — الى «محمود محمد محمود» ، فى محاولة مستميتة للضغط عليه ، لكى يحذف من تقريره كل ماجاء فيه من اشارات الى صفقات الاسلحة والذخائر الفاسدة ...

ولكن « محمود محمد محمود » كان رجلا شريفا ، ولأنه رجل شريف ، فقد أبى عليهم أن يحولوه الى أداة من أدوات التضليل ، والعبث ، والخيانة . فصمم على ألا يحذف حرفا واحدا مما جاء فى تقريره . وكان لابد ، وهو يواجه قوة شرسة تدافع عن حصونها ، من أن يدفع ثمن أصراره على ألا يكون أداة من أدوات التضليل ، والخيانة . ودفع الرجل الثمن . استقال من منصبه فى سعادة ، ورضى .. وايضا فى صمت ..

وحسب المجرمون انهم قد اخرسوا صوت الحق الى الابد . وان ستارا كثيفا من الصمت قد نزل على جريمتهم وان احدا لن يجرؤ على الاقتراب منها ليخرجها من قبرها. ولكن المجرمين — على ذكائهم — كثيرا ما يخطئون الحساب. وككل المجرمين ، فى كل جريمة ، اخطأ مجرموا الذخيرة

---

(١) مقدمات ثورة ٢٣ يوليو — للاستاذ عبد الرحمن الرافعى .

الفاسدة الحساب · فبينما اكتفى «محمود محمد محمود» باستقالته من منصبه ، كثمن لرفضه الرضوخ لما حاول المجرمون ان يفرضوه عليه · فان مصريا اخر تقدم · فى جسارة المؤمنين بأنفسهم ، وبواجبهم ، وبوطنهم والتقط « الحربة » من يد «محمود محمد محمود» ·· وراح يهاجم الاسد ··

كان ذلك المصرى المؤمن ، الجسـور ، هو « مصطفى مرعى » عضو مجلس الشيوخ حينذاك ·

لقد علم الرجل بما جرى من رئيس ديوان المحاسبة ، وبما جرى معه · فقدم لرئيس الوزراء سؤالا عن الاسباب التى ادت الى استقالة « محمود محمد محمود » من منصبه واجاب رئيس الوزراء على سؤال « مصطفى مرعى » فقال فى اجابته كل شىء اراد ان يقـوله ·· الا الحقيقـة · عندئذ ، حول « مصطفى مرعى » سؤاله الى « استجواب » هز قاعة مجلس الشيوخ ، بل هز مصر كلها هزا عنيفا ·

(ولقد جئنا على ذكر هذا الاستجواب ، وما قد ترتب عليه من نتائج بالغة الاثر ، والخطر ، ونحن نعرض ، فى صفحات سبقت، لقصة ارتفاع وسقوط « كريم ثابت »)·

واذ استطاع الملك ــ اعتمادا على ما بين يديه من سلطات غير مشروعة ، من ناحية ، واعتمادا على تأييد « حكومة الوفد » لتصرفاته ، من ناحية اخرى ــ ان يسكت صوت الحق فى مجلس الشيوخ ، بذلك العدوان الصارخ الـذى انزله بالمجلس ، وبالدستور معه ــ فانه لم يستطع ان يسكت صوت الحق الذى انطلق يدوى من منبر اخر ، غير ذلك المنبر الذى نجح فى ان يهدمه ·· ولسوء حظ الملك ، وشركائه فى الجريمة ، ان المنبر الجديد كان من الاتساع ، والانتشار ، بحيث غطى مصر كلها ·

فلقد دخلت « الصحافة » المعركة ·· وتقدمت مجلـة « روز اليوسف » ، وتقدم « احسان عبد القدوس » فاخذا

مكانهما فى ساحتها ٠

ففى ٦ يونيو سنة ١٩٥٠ ، صدرت مجلة « روزاليوسف » حاملة للناس أول حلقة فى سلسلة مقالات نارية كتبها « احسان عبد القدوس » حول « الاسلحة ٠٠ والذخيرة الفاسدة » ٠ وفى هذا المقال الاول ، كتب « احسان » يقول :

« كان استجواب « الاستاذ مصطفى مرعى » عن أسباب استقالة رئيس ديوان المحاسبة السابق من منصبه ، شهادة مجد وفخار لضباط وجنود الجيش المصرى ٠ فقد أثبت « المستجوب » أن هؤلاء الضباط والجنود لم تهزمهم جرأة العدو وحنكته ، انما هزمتهم جرأة موردى السلاح والذخيرة الذين تعاملت معهم وزارة الدفاع ٠٠

« واذكر اننى سألت المرحوم « احمد عبد العزيز » ، قائد الفدائيين فى حرب فلسطين ، عن اليوم الذى لاينساه من أيام القتال ٠ فأجابنى والدموع تملأ عينيه : « اننى لا استطيع أن أنسى يوم كان الباشجاويش يطلق مدفعه على مواقع العدو ، وقد وقف من حوله «طاقم المدفع » من الجنود ٠٠ فاذا باحدى القنابل تنفجر الى الوراء فتحطم المدفع ، وتقتل الباشجاويش وجميع رجاله ، فيخرون صرعى فوق حطام المدفع ، وابتسامة الاستشهاد تضىء وجوههم » ٠

« ولقد سبق أن أشرت أكثر من مرة الى أن حديث صفقات الاسلحة التى عقدت فى ايطاليا لم يعد سرا ، وأنه حديث تستطيع أن تسمعه فى كل شارع من شوارع روما ، ونابلى ، وميلان ، كما أشرت الى أن هناك «مندوبا خاصا » لايزال يقيم فى ايطاليا ، واكتفى بأن أقول ان اسمه « أمين » ، يستطيع أن يتحدث طويلا عن هذه الصفقات التى كان اليهود أنفسهم يحاولون بيعها الى الجيش المصرى ليحاربهم بها ٠

كذلك أشرت الى أن هذا « المندوب الخاص » قاسى الامرين ، وهو يحاول أن يؤدى واجبه بصدق وشرف ٠٠ ولم يقاس ما قاساه من عملاء « دولة اسرائيل » ، بل من عملاء « مصر » الذين يشترون السلاح باسمها ٠٠ والذين كان كل منهم يتستر على الآخر ، وكل منهم يدافع عن شريكه فى الاثم !!٠

« وسبق أن طالبت ، على صفحات هذه المجلة ، باجراء تحقيق

سريع ننقذ به سمعة « مصر » التى أصبح معروفا فى العالم اجمع ، انها دولة « مغفلة » ، وأصبحت اداتها الحكومية علما على الرشوة ·· وفساد الخلق والذمم ···

« وقلت انى لا أستطيع ان اذكر اســـماء ، لأنه ليس لدى مستندات · ولكنى اعرف ان احد ضباط الجيش اصبح يمتلك قصرا فى جزيرة « كابرى » ـ مصيف أصحاب الملايين ـ يدعو اليه كل عام شخصيات مصرية كبيرة للتمتع بالجمال ، وبالراحة ·· والهدوء ·· على حساب شهداء حرب فلسطين الذين قتلهم الرصاص المغشوش ، وعلى حساب الشعب المصرى الذى ابتزت أمواله باسم العروبة ، والشهامة · ثم ناشدت وزير الدفاع أن يدعو اليه هذا الضابط ويسأله : من اين لك هذا ؟؟ · وان يراجع حسابات جميع الضباط والمتعهدين فى البنوك المحلية والاجنبية ، لعله ـ على الاقل ـ يجد مجالا للشك ·

« الى أن تولى « مصطفى مرعى » شرح استجوابه فى مجلس الشيوخ · فاستخرج من تقرير رئيس ديوان المحاسبة السابق ادلة دامغة تثبت التلاعب الخطير الذى حدث فى شراء هـــذه الصفقات ، كما ثبت انها كانت تتم مع علم رجال وزارة الدفاع بما فيها من تلاعب ، ومع علمهم بانها اسلحة مغشوشة ، ومع علمهم بأن هذه الاسلحة المغشوشة سوف توضع فى ايدى جنود وضباط مصريين ليحاربوا بها ، فى حين انها لا تصلح للحرب ، ولا للدفاع عن النفس !!

« ورغم ذلك ، فقد حاول وزير الدفاع ان يدافع عن هـــذه الصفقات ·· ولم ينتظر حتى يجرى بنفسه تحقيقا دقيقا ·· ولم يسمح بأن يترك فى نفسه حتى مجالا للشك ، وسوء الظن الذى يدل على حسن الفطنة ·· بل لقد اعد الوزير دفاعا ، او أعد له دفاع ، قام بالقائه فى مجلس الشيوخ · وعندما رفض المجلس ان يستمع اليه ـ لأن الوثائق كانت أقوى من ان تحتمل دفاعا ـ نشر الوزير دفاعه فى الصحف ···

« وفى مجلس الشيوخ ·· حاول « فؤاد سراج الدين » الكلام باسم الحكومة · فبدأ كلامه منشدا ، معجبا بسحر بيانه ، قائلا : « لم تر هذه القاعة استجوابا انتحل فيه المتهم صفة المدعى ، وصفق فيه المطعون للطاعن ، وهش فيه المضروب لجلاده ، كما وقع فى هذا الاستجواب » ·

« ولقد اراد « فؤاد سراج الدين » ، بهذه الكلمات ، أن يقول

ان الاتهامات التى ضمنها « مصطفى مرعى » استجوابه ، وقعت كلها فى عهد الحكومات السابقة على « حكومة الوفد » ٠

وهذا صحيح ٠٠ فان المتهم هو الحكومات السابقة ، والرجل الذى يوجه الاتهام كان وزيرا فى احدى هذه الحكومات السابقة، فهو يعترف ولا يتهم ٠ فلماذا ، اذن ، تحمس « سراج الدين » كل هذا الحماس الذى كاد يفقده أعصابه ، وهو يحاول الدفاع عن الاتهامات التى وردت فى تقرير رئيس ديوان المحاسبة ؟؟ ٠

« هل كان « سراج الدين » يدافع عن « السعديين » و « الدستوريين » ، ووزراء « السعديين » و « الدستوريين » ، ومن عاونهم فى حكوماتهم ؟؟ ٠

« وما هذا الحب المفقود الذى تحرك ، فجاة ، فى قلب « سراج الدين » ودفعه لأن يدافع عن فضائح وقعت فى عهد حكومات غير وفدية ؟ ٠

«ولماذا لم يؤيد هذه الاتهامات ، حتى يدمغ حكم الاقليات بفضيحة لا تمحى مدى الدهر ، وهو ما يدعوه اليه واجبه ، وتعصبه الحزبى ؟ ٠

« ان هناك سرا ٠٠٠ !

« وهو سر ليس فى حاجة لأن يفصح عنه « فؤاد سراج الدين » لأنه سر مفضوح !!

« وبعد ٠٠٠

« فان الرأى العام كله يؤمن بأن هناك جريمة وطنية قد وقعت ٠٠ وكل جريمة لا بد لها من فاعل ٠

« فاين الفاعل فى هذه الجريمة ٠٠ ؟؟

« اين المجرم ٠٠ ؟؟

« ان كل ضابط وجندى ـ واقولها صريحة ـ لم يعد يطمئن ، بعد الذى سمعه فى مجلس الشيوخ ، الى سلاحه وذخيرته ٠ وعندما يفقد الجندى ثقته بسلاحه ، يفقد ثقته بنفسه ، ويفقد روح القتال ، ويضيع مستقبل مصر ٠

« ولن يستعيد الجندى المصرى ثقته بسلاحه ، وبنفسه ، الا اذا اطمأن الى ان الحكومة جادة فى تحقيق اتهامات ديوان المحاسبة ـ وهو الرقيب الاعلى فى الدولة ـ واطمأن الى ان وزارة الدفاع قد طهرت ، وطهر المتعاملون معها من كل شائبة ، ومن كل شك ٠

« واتقوا الله فى مصر ·· وفى جنود مصر ·· وفى ضباط مصر .

***

كانت تلك هى الحلقة الاولى فى سلسلة مقـــالات « احسان عبد القدوس » التى راحت تتتـابع أســبوعا بعد أسبوع ·· وتزداد ، مع كل اسبوع حدة وعنفا ·· وتصبح كل واحدة منها اكثر تحديدا من سابقتها بالنسبة لنوعية الصفقات ، وبالنسبة لنوعية « المتجـرين » فيها وبها .

عندئذ ، لم يجد وزير الحربية مفرا ــ وقد ذاعت فضيحة الفضـــائح ، وانتشرت ، واصبحت على كل لسان ــ من ابلاغ النائب العام ليتولى التحقيق . ولكن ، ليس مع الذين عقدوا تلك الصفقات ، وانما مع « احسان عبد القدوس » !!!

وبدأ النائب العام ــ محمد عزمى بك ــ تحقيقه . وبدأ « احسان عبد القدوس » يقدم اليه ما كان تحت يده من مستندات مؤيدة لكل حرف كان ينشره . ومن خلال هذه المستندات نفسها، وخطوة بعد خطوة ، بدأت دائرة الاتهام تتسع ·· واخذت تشد الى محيطها كثيرين من رجال «الحاشية» على رأسهم« انطون بوللى» و «محمد حلمى حسين» ، و « ادمون جهلان » الذى لم يكن ــ رسميا ــ من رجال « الحـاشية » ،ولكنه كان يقـــوم بدور « السمسار الاول » للملك فى صفقاتالذخيرة الفاسدة .

ووجد النائب العام نفسه مطالبا بالتحقيق مع اولئك جميعا ·· كما وجد نفسه مضطرا لان يطـالب بابعـــاد الفريق « محمدحيدر باشا » ــ القائد العام للقـــوات المسلحة ، ورجل الملك الاول فيها ــ وكذلك الفـــريق « عثمان المهدى » ــ رئيس هيئة اركان حرب الجيش ــ عن

منصبيهما حرصا على سير التحقيق ·

لكن الملك مالبث حتى ادرك ان التحقيق — وقد نجح فى ان يشد الى دائرته ، رجال حاشيته وعملائه — فانه لابد ممتد الى شخصه ؟ وهو ما لن يسمح به · ومن هنا ، بدأ — بكل ما يملك من سطوة ، وقوة — يتحرك للتدخل فى سير التحقيق · فاذا به — اعنى التحقيق — يلتوى ، ويتعثر ، ويفقد الكثير من قوته ، ومن استقامته ، ومن نقائه · واذا به « يحفظ » بالنسبة لرجال الحاشية · واذا بالفريقين : « محمد حيدر » ، و «عثمان المهدى» ·· يعودان ، احدهما تلو الاخر ، الى منصبيهما · واذا بالنائب العام الذى كان قد ارتفع فى نظر الشعب ، الى اعلى عليين ، يعود فيسقط من حالق · فلا يعطف عليه أحد ، ولا يترحم عليه احد !!

***

وما كاد النائب العام يستسلم للاغواء او للارهاب . ويخنع ويخضع ·· ثم يقوده استسلامه للاغواء أو للارهاب ، الى السير بذلك التحقيق التاريخى الخطير فى دروب أخرى غير تلك التى كان قد سلكها من قبل — ما كاد النائب العام يفعل هذا ، حتى انفجرت « الاقلام الحرة » فى ثورة عنيفة · ومضت تهاجمه ، وتدينه ·· وتدين معه ، بل وقبله ، اولئك الذين نجحوا بما يملكون من قدرة على الاغواء والارهاب ، فى ان يحولوه عن طريقه . !

ففى يوم الثلاثاء ٢٤ ابريل سنة ١٩٥١ ، صدرت «اللواء الجديد» وبها الخبر التالى ، تحت عنوان : «نقل النائب العام » :

« كانت الحكومة قد خيرت النائب العام بين الاستقالة ، او النقل الى منصب آخر · وقد فضل النائب العام ان ينقل !! ·

» وعلى ذلك ، وافق مجلس الوزراء فى جلسته التى عقدت

امس الاول على نقل « محمد عزمى بك » الى منصب رئيس ادارة قضايا الحكومة . !! » .

وفى صباح الثلاثاء ٢٢ مايو سنة ١٩٥١ ، صــــــدرت « اللواء الجديد » مرة ثانية ، حاملة على صفحتها الاولى طلقة جديدة من طلقات « مصطفى مرعى » ، تحت عنوان : « الدائرة تدور » ـ قال فيها :

« نعم الدائرة تدور ... وانها لتدور بسرعة سريعة ، وعنف عنيف . يحركها الطمع الطامع الذى لا يعــرف حداً ، وتدفعها الانانية السوداء التى تجرد الانسان من انسانيته ، فاذا به وحش مفترس . وقد يكون الوحش اكثر منه برا ورحمة .

« ولقد هم « محمد عزمى بك » ، يوم كان نائبا عاما ، ان يعترضها ، وان يقف فى سبيلها باسم القانون ، ولحساب القانون فاشتد فى الحق بعض الشـــدة ، وقطع برأى جرىء فى بعض تحقيقات الجيش ، واحال منها ما احاله على القضاء ، فلم تشأ « الدائرة » أن تصرعه فورا ، لأنها لو كانت قد صرعته وقتها لسقط « بطلا » فيه انفاس تتردد . فامهلته قليلا ، وسلطت عليه مؤثراتها .. فاذا هو يلين ، وينطوى ، ويسلم ، ويعلن البراءة المطلوبة . !!

« ولقد ظن الرجل انه مستحق بعد هذا ان يستريح ، وان يطمع فى مستقبل باسم .. فاذا بها تصرعه وتلقى به فى عرض الطريق جثة هامدة ، لاتجد من يشفق على صاحبها ، او يرثى له . !!

« واراد وزير العدل أن يكون اكثر مهارة وكياسة ، فغضب او تغاضب على النائب العام المعزول . وراح يتجر بغضبه او تغاضبه على الطغاة والناس معا . يتجر به على الطغاة ، فيفهمهم انه ما كان يود ان تصل الامور الى ما وصلت اليه ، وان تمرد النائب العام المعزول هو الذى ادى الى هذه النتيجة . ويتجـر به على الناس فيفهمهم ان النائب العام المعزول لم يؤد واجبـه على وجهه الصحيح ، وانه ـ هو ـ كان يود لو كان هذا النائب اكثر جراة وشدة فى الحق . !!

« ولكن « اللعبة » تتكشف . فلا ينخدع الطغاة ، ولا ينخـدع الناس . ولهذا ، فسوف ترى ، عما قريب ، ان « الدائرة » لابد

مستانفة دورتها ، وان وزير العدل الغاضب ، المتغاضب ، موشك ان يجد من يلزمه بأن يستقيل • !

« وكان على « النحاس باشا » أن يساهم فى هذه المأساة ، وان يستغلها ، وان يتجر ، هو الاخر ، بها ، فما ونى ، ولا فرط • بل وثب ، وتحفز •

« كان عليه أن يسهم في المأساة ، فاسهم فيها فعلا بمقدار ما اثر فى النائب العام المعزول ، وأوحى اليه فكان « الحفظ » المطلوب !!

« وكان عليه أن يستغل هذا « الحفظ » • فمـــا أن اســـتقر عليه الرأى ، واعلن على الملأ ، حتى راح « النحاس باشا » ، يباركه ، ويؤيده ، ويشيد بفضل « النيابة العامة » التى قضت به • ولا يقوته فى هذا المقام ان يدس للمعارضة ، فيزعم انها تجنت على ابرياء •• واساءت الى من لا يستحقون الاساءة • !!

« والحق ان « النحاس باشا » كان قاضيا نزيها ، لكن الحق ايضا انه اليوم آخر من يصح له التحدث فى النزاهة •

« والحق ان « النحاس باشا » رجل سياسى ، لأنه هو الذى يوجه السياسة المصرية منذ اكثر من عشرين عاما ، لكن الحق أيضا أنه سياسى قصير النظر • لانه لو كان غير ذلك ، لادرك ان « الدائرة تدور » ، وان دوره مرتقب •• ان لم يكن اليوم ، فغدا • »

***

وفى يوم الاثنين التالى لقيام « مصطفى مرعى » باطلاق طلقته المدوية هذه ، كنا ـ هو وانا ـ نتنـــاول العشـــاء على مائدة الاستاذ فتحى رضوان ، صاحب « اللواء الجديد » ، بدعوة منه • وكان طبيعيا ان يكون ما جرى للنائب العام ـ محمد عزمى بك ـ وما جرى منـــه ، هو حديث المائدة فى تلك الليلة . واليك ما كتبته فى مذكراتى بتاريخ : الاثنين ٢٨ مايو سنة ١٩٥١ ، حـــول ذلك الحديث ..

« كنا ثلاثة على مائدة العشاء عند الاستاذ فتحى رضوان هو ، ومصطفى مرعى بك ، وانا ، وقد امتدت جلستنا ، بعد ان فرغنا

من عشائنا الى ما بعد منتصف الليل · وكان الموضـــوع الذى فرض نفسه على جلستنا هذه ، هو موضوع النائب العام ـ محمد عزمى ـ وموقفه من قضية الذخيرة الفاسدة · وقلت ، موجهـا الحديث لمصطفى مرعى :

ـ المعتقد أن النائب العام تصور أن الملك كان سيقتله ، فيما لو استمر فى تحقيق هذه القضية حتى نهايتها المحتومة ، فقعـد به الخوف من الموت عن الاستمرار فى طريقه ·

ـ ان هذه أوهام صورها « لعزمى » خياله ، فلم يكن هناك من يفكر فى قتله ، بل لم يكن هناك من يجرؤ ـ وسط الظروف المحيطة كلها ـ على قتله ، وحتى اذا سلمنا بوجود هذا الاحتمال الـذى لاأريد أن أسلم به فلقد كان على « عزمى » أن يذكر ان المرء ميت لا محالة ، وانه ليس من الضرورى أن يقتل الانسان لــكى يموت ·· ولقد كان على « عزمى » ـ تبعا لهذا الايمــان بالله ، وبقضائه ، وقدره ـ ان يرعى الامانة المقدسة التى وضعها الوطن بين يديه · لقد كنت ممن رشحوا « عزمى بك » لمنصب النــائب العام ، وقد رشحته لهذا المنصب بحماس شديد ، ولعلى لم اندم فى حياتى على شىء ، قدر ندمى على حماسى القديم لهذا الرجل ·

ثم أنهى « مصطفى مرعى » كلامه بقوله :

ـ لقد كتبت فى « اللواء » أهاجم « عزمى » ، ولكننى لم اكتب ما كتبته ضده ، الا بعد أن قابلته ، وعرفت حقيقة موقفه كمــا رواه لى بنفسه ، وبلسانه !·

وانتقل بنا الحديث بعد ذلك الى ما ينتظر ان يكون عليــه موقف « قاضى الاحالة » الذى احيل اليه بعض المتهمين فى تلك القضية · فقلت :

ـ أن القضية اكبر بكثير من القاضى الذى احيلت اليه ، فهــو شاب حديث عهد بالقضاء ، وليس له من التجـــارب ما يجعله يستطيع السيطرة على التيارات التى سوف تتقاذفه ·

فقال « مصطفى مرعى » :

ـ الحقيقة ان القضية كانت اكبر من كل يد تولتها ·· وهــذا هو سر ضياعها ·

ولم تكن « الدائرة تدور » هي اول طلقة مدوية يطلقها الاحرار في معركة النائب العام • فقبلها ـ بنحو شهر تقريبا ـ اطلق « فتحي رضـــوان » طلقة لا تقـــل عن « الدائرة تدور » دويا وعنفا. والحق ان النائب العام، وقد نجح الاغواء من ناحية ، والارهاب من ناحية اخرى ، في ان يفعلا به فعلهما •• لم يلبث ان فقد توازنه ، كل توازنه .. ومضى يتصرف على نحو اصاب النـــاس بما هو اكثر من الحيرة في امره • اصابهم بالذهول • فلقد تأكد لديهم ان الرجل لم يفقد شجاعته فحسب، بل فقد معها الحد الادنى من القـــــدرة على الاحتفاظ بالكرامة : كرامته كانسان .. وكرامته كموظف عـــام يشغل اخطر مناصب القضاء الواقف •

وكأنما ابى الطغاة ، وقد نجحوا في ان يجـــردوا الرجل من شجاعته ، الا ان يجردوه من كرامته • وكان افظع ما في الامر انه استسلم لما اراده الطغاة به .. !

فبعد ان فرغ النائب العام من تحقيق تلك القضيـــة الخطيرة •• وبعد ان اصدر « امره » بحفظ التحقيق بالنسبة لرجال « الحاشية » الذين شملتهم قائمة الاتهام فيها •• خطا على طريق السقوط خطوة واسعة ـ فتوجه الى « قصر عابدين » ـ مصطحبا معه رجال النيـــابة الذين كانوا يعاونونه في تحقيقها ـ وقيـــد الجميـــع اسماءهم في « دفتر التشريفات الملكية » مؤكدين أو مجددين ، لا ندرى ، ولاءهم للجالس على العرش • !!

لكن « الاحرار » ،لم يدعوا هذه السقطة البشـــعة تمر .. فقد شرع «فتحي رضوان » قلمه ، وكتب الى النائب العام خطابا مفتوحا حملته اليه ، والى الرأى العام كله ، صحيفة « اللواء الجديد » في عددها الصادر في ١٧

ابريل سنة ١٩٥١ ٠ وجاء فى هذا الخطاب المفتوح الذى نشره كاتبه تحت عنوان : « ما هى المناسبة السعيدة التى سجل النائب العام من اجلها اسمه فى دفتر التشريفات؟» ما يلى :

« حضرة صاحب العزة النائب العمومى ٠٠

« طلعت علينا الصحف بانكم قصدتم « قصر عابدين » ، ومعكم معاونوكم ووكلاؤكم الذين اشتركوا فى تحقيق « قضية الجيش » ثم وقعتم جميعا فى دفتر التشريفات ٠

« وقد تساءل كل مصرى عن هـــــذه « المناسبة السعيدة » التى انفردتم ، ووكلاؤكم ، بالوقوف عليها ، والتى فات عليهم جميعا ان ينتهزوها ليعبروا عن ولائهم لجلالة الملك ٠ !

« ولعله من فضول القول أن نسجل هنا ان التعبير عن الولاء عمل ممدوح ٠ ولكن التقاليد جرت على ان المصريين ينتهزون الفرص العامة ، والمناسبات الشخصية ، لاظهار هذا الولاء ، فهم اعتادوا أن يقصدوا الى القصور الملكية فى القاهـــــرة أو الاسكندرية فى الاعياد الدينية ، وفى الاعياد الوطنية ، وما الى ذلك من المناسبات العامة ٠ كما الفوا ان يذهبوا فرادى اذا كانوا على سفر ، وعادوا الى الوطن ٠ او اذا كانوا [illegible] من مرضهم وتمت لهم نعمة الشفاء ٠ أو كان الملك قد شملهم بعطفه فمنحهم رتبة ، او اغدق عليهم نيشانا ، او ولاهم بعض المناصب العامة أو واساهم فى مصاب ٠

« ولم يسمع الناس ان شيئا من هذه الدواعى قد وقـــع ـ فلا اليوم الذى قصدتم فيه الى « القصر الملكى » كان يوم عيد، ولا انتم مرضى أو على سفر ، ولم نسمع انكم قد منحتم رتبة او نيشانا ! ٠

« ولقد اعتكفتم عزتكم مرارا ، وخرجتم من اعتكافكم ، فلم تروا ما يدعو الى قيـــد اسمكم فى دفتر التشريفات ، لان الامر لم يعد أن يكون وعكة لم يطل فيهـــــا غيابكم عن العمل ، بل لعلكم لم تنقطعوا خلالها عنه ٠

« ولا اكتم عزتكم ان الذى زاد من حيرة المصريين ، انكم لم تقصدوا الى « قصر عابدين » ، وحدكم ٠ انما اصطحبتم معكم حضرات محققى « قضية الجيش » ، فتساءلوا : ما المقصود من تخصيص هؤلاء الاساتذة المحققين بشرف صحبتكم لأداء هــذا

الواجب العظيم ؟ !! وما الذى حال دون بقية حضرات وكـــلاء النيابة ، في طول البلاد وعرضها ، وبين التمتع بهذه الحظوة المرموقة ، وهذه الفرصة الغالية ٠ ؟ !!

« ولقد ضرب الناس اخماسا لاسداس ، ليحلوا هذا « اللغز » المعمى ٠ فلم يهتدوا الى حل ٠ !

« وقد كان من الخير الا يفكروا فيما وراء القيد « بدفتـــر التشريفات » من معان ، باعتباره واجبا عاديا ومألوفا ، ولكنهم حملوا على هذا التفكير حملا ٠ والذى يلومهم على انهم فكروا هذا التفكير ، انما يتجنى عليهم ، فلقد جاء ذهابكم الى القصر الملكى ، ومعكم محققو قضية بذاتها ــ دون غيرها من القضايا ــ عقب صدور قراركم بحفظ الدعوى بالنسبة لبعض المتهمين من أفراد الحاشية الملكية ــ أمرا غير مسبوق في عالم القضاء ٠ ولعله لم يلق ارتياحا فى دوائر « القصر » نفسه ٠٠ لأنه بماذا يفسر ؟ !

« ايفسر بانه اعتذار عن اجراء التحقيق مع هؤلاء الكبار ؟ ! اذن ، لتكونن الطامة الكبرى ان يجد « الامين على الدعـــوى العمومية » نفسه مضطرا الى الاعتذار عن تحقيق رأى ان دواعى العدالة تقتضيه ، مهما كان المتهم ، وايا كانت التهمة ٠

« أم هو رد على ما يكون قد تناثر من الخصوم ، والحاسدين ، ماسا باسلوب عزتكم فى تحقيق الوقائع الخاصة بهؤلاء الكبار الذين حفظت القضية بالنسبة لهم ؟ !

« ولكن ٠٠٠ متى كان القاضى مطالبا بأن يفسر اجـــراءاته ، ويكشف عن عواطفه الخاصة وهو يتناول دعوى من الدعاوى ؟ !

« ومع ذلك ، فان هذا التفسير هو اسلم التفاسير ٠ ولكن ، ينقضده انكم تأخرتم فى اتخاذ هذه الخطوة حتى صدر قـــرار الحفظ ٠ !

« ولقد ظن بعض المتعمقين انكم اعتبرتم الفراغ من تحقيق « قضية الجيش » مناسبة غيـــر عادية لا تعرض فى حيـــاة النائب العام كل يوم ، وقد لا تعرض له ابدا ، وانكم رأيتم ان تنتهزوها فرصة لتعلنوا ولاءكم ، وولاء من اعانوكم فى هذا العمل الشاق ٠ كانما كان تحقيق هذه القضية محنة من المحن ٠٠ وكأن زوال هذه المحنة يستوجب الحمد لله ، وللملك !!

« بقى بعد ذلك أن نقول : ان الذين يأخذون الامور من ظواهرها ٠٠ والذين يتعمقون فيها ، ويبحثون عن خوافيها واسرارها ــ

هؤلاء ، واولئك مجمعون على ان قيد اسمكم ، مع اسماء محققى « قضية الجيش » ـ بعد صدور قرار الحفظ ـ هو عمل لم يستطع الناس ان يفهموا الغاية منه ، واحس كل منهم بقلق لم يعرفوا بالضبط مصدره ، وقد كانوا يودون الا يصيبهم مثل هـــذا القلق ٠ !!

« ومن حق المصريين جميعا أن يعلنوا هــذا اليكم ٠ وقد لا يطمعون في أن تصدروا بيانا تكشفون فيه غوامض هذا المسلك غير المألوف ٠ ولكنهم يتركون لكم اختيار الوسيلة التى تبدد قلقهم ، وتريح ضمائرهم ٠ »

***

على ان النائب العام ، فى ذاته ، وعلى الرغم من مواقفه التى اعتصرت قلوبنا حزنا ، والما ، لم يكن هو الهـدف الحقيقى لذلك الهجوم المكثف الذى شنه « الكتاب الاحرار» عليه بسبب ترديه ، وانهياره ، بقـــدر ما كان الهدف الحقيقى هم اولئك الذين ساقه طغيانهم الى هذا التردى، وذلك الانهيار ٠ كان ذلك واضحا كل الوضوح فى كلمة « مصطفى مرعى » : « الدائرة تدور » ٠ كما كان واضحا بنفس الدرجة فى مقال فتحى رضوان : « خطاب الى النائب العام » ٠ ثم بلغ هذا الوضوح أشـده ، فيما تلا ذلك من هجمات اتجه بها « فتحى رضوان » ، مباشرة ، الى «رجال الحاشية الملكية » ، فكتب فى « اللواء الجديد » يقول : « على رجال الحاشية الذين حفظت الدعوى بالنسبة لهم ان يستقيلوا من مناصبهم » ٠ فلما لم يســتقيلوا ـ وما كان ممكنا ان يستقيلوا ـ عاود الهجوم عليهم بمقـــال جديد ٠٠ بطلقة جديدة ، جعـل عنوانها : « المفســـدون الملتصقون بالحاشية يضرونها اكثر مما ينفعونها » !!

واذ اسرف الطغاة فى طغيانهم على ذلك النحو ٠ كان طبيعيا ان يزداد الهجوم عليهم حدة وعنفا ٠ فلقد ترتب على انهيار النائب العام ، نتيجة لاستسلامه للاغواء أو

للارهاب ، ان عاد « الفريق محمد حيدر » ــ رجل الملك الاول فى الجيش ــ الى مكانه القديم كقائد عام للقوات المسلحة •• بعد ان كان قد ابعد عنه بنــــاء على طلب النائب العام ، قبل ان يتردى وينهــــار • ثم ما لبث « الفريق عثمان المهدى » ــ بعد فترة وجيزة من عــودة « حيدر » ــ ان استرد هو الآخر موقعه القديم بجواره ، كرئيس لهيئة اركان حرب الجيش !! •

وبينما كان ظاهر هذه التصرفات ، واشباهها ،يوحى بأن الطغاة قد اخذوا يســتعيدون قواهم التى كانت قد تبعثرت • كان واقع الامر يؤكد آنهم يلفظون انفاسهم الاخيرة ، وان ما بدا منهم للناس وكأنه فورة القوة ، لم يكن ــ فى حقيقته ــ سوى صحوة الموت ! •

***

واذ امعن الطغاة فى تحديهم لمشاعر الشعب على هذه الصورة التى تمثلت فى حفظ القضية بالنسبة للمتهمين فيها من رجال « الحاشية » ، ومن أتباع الملك وعملائه •• ثم فى استرداد «حيدر» و «عثمان» لموقعيهما ، فان الرد على هذا التحدى ــ وبكل الجرأة والعنف ــ كان جاهزا دائما على اسنة اقلام اولئك الذين كانوا قد نذروا انفســـهم لتعرية الطغيان، ولمقاومته ،ومقاتلته حتى الانفاس الاخيرة •• انفاسه ، او انفاسهم •

ومن هنا ، فانه ما كاد نبأ رجوع « حيدر » الى موقعه القديم يذاع بين الناس، حتى تولت صحيفة «الاشتراكية» ــ وكانت علما خفاقا من أعلام المقـــاومة ــ الرد عليه من خلال واحدة من صرخات « احمد حسين » العالية ،تاريخها ٤ مايو سنة ١٩٥١ ، جاء فيها :

« يتردد فى الصحف هذه الايام ان « الفريق محمد حيدر » فى طريقه الى منصبه الذى سبق ان استبعد عنه • وقد لا تظهر هذه

الجريدة الا بعد أن يكون قد عاد بالفعل الى منصبه · ولقد كانت هذه الجريدة على راس الذين نادوا بضرورة اخراج « الفريق حيدر » من منصبه ، بل ومحاكمته أمام المحكمة المخصوصة المعدة لمحاكمة الوزراء ·

« ونحن ، اليوم ، اشد استمساكا بهذا الرأى · ولا يغير من الموقف انتهاء التحقيق فى قضايا الجيش · فان أحدا لم يوجه الى « الفريق حيدر » اتهاما فى شرفه ، أو فى نزاهته · ونحن الذين قسونا فى الكتابة ضده ، لم نتعرض أبدا لهذه النزاهة · بل لعلنا أشرنا ؛ فى أكثر من مرة ، ان لحيدر من كبريائه ، وعجرفته ، وغناه الموروث ، ما من شانه أن يجتبه التلــــوث بالرشوة أو الاختلاس ·

« ولكن مسئولية « حيدر » الكبرى ، كوزير ، تتلخص فى ان تلك الكوارث التى حاقت بالجيش المصرى ابان معركة فلسطين ، وهذه الجرائم البشعة التى لا مثيل لها فى تاريخ اية أمة مــن الامم ، قد وقعت خلال مسئوليته كوزير للحربية ·

« وفى استطاعة أى موظف صغر او كبر فى وزارة الحربية ان يتخلى عن المسئولية بأن يلقيها على عاتق غيره · فى استطاعة كل انسان أن يتحلل من المســئولية ، الا رجل واحد لا يســـتطيع ان يتحلل من مسئوليته · ذلك الرجل هو الوزير · فان الوزير ، فى مصر ، يتمتع بسلطان مطلق · ولا يبرم فى وزارته أمر ، مهما صغر ، الا بعد استئذانه · والدســـــتور يفرض أن الوزير مسئول عن اخطاء جميع التابعين له · ولا يمكن ان يمارى انسان فى هذا البلد ـ الا ان يكون معتوها ، أو أحمق ـ فى أن جرائم بشعة قد ارتكبت فى وزارة الحربية ابان حملة فلسطين ·

« وليس يعنينا ، كما قلنا أكثر من مرة ، من الذى ارتكب هذه الجرائم · انما المهم هو انها ارتكبت · والمسئول الاول عن وقوع هذه الجرائم ـ من الناحية السياسية والادبية ـ هـــو الوزير · ولا يستطيع الوزير أن يفر من هـــذه المسئولية · لانه لو قال عن نفسه انه كان « مغفـــلا » ، فالوزارة ليست ناديا للمغفلين ·· ولو قال عن نفسه انه كان « لا يدرى » فالوزارة ليست محلا للمهملين · ولذلك ، ففى كل البلاد الدستورية يتحمـل الوزير نتيجة الاخطاء التى يرتكبها بقية الموظفين · وفى أعقاب كارثة ككارثة فلسطين ، لا ينحى الوزير والوزارة المســـئولة فحسب ، بل ويحاكمون ·

« هذا هو الدستور ·· وهذه هى تقاليد الديمقراطية · ولذلك، فانه عندما تقدم الحكومة على اعادة « الفريق حيدر » ، على الرغم من كل هذه الظروف ، فان هذا يكون معناه اهـــــدار الدستور ، واهدار الديمقراطية ·

« وحسبك ان تطالع السخف الذى نشرته الصحف ، من أن « جنابه » اشترط لعودته للخدمة أن يعاد اعطاء رتب «الباشوية» و « البكوية » — اتوماتيكيا — لكبار ضباط الجيش ، وان يزاد من سـلطانه ، وان يتبع رئيس الوزراء مباشرة ، لا وزير الحربية · !!

« ولك ، بعد هذا ، ان تسأل : وما جدوى وجود وزير الحربية اذن ؟ ! بل ما جدوى وجود البرلمان ، والدستور نفسه ·· اذا كان أحد ضباط الجيش يريد ان يتمتع بسلطان مطلق ، لا يحاسب عليه امام ممثلى الامة · ؟ !!

ثم اعقبت « اللواء الجديد » ، فى ٢٢ مايو سنة١٩٥١ صرخة « احمــد حسين » هذه ، بصرخة من عنـــدها ، عنوانها : « لحساب من هذا ؟ » جاء فيها :

« هناك أشياء عجيبة تقع في حياة هذا الشعب ، ولا يمكن أن تقع فى حياة أى شعب آخر · وواحدة منها تكفى فى الشعوب الحية لاحداث هزة عنيفة ، ولكنها فى مصر تتجمع ، وتتوالى ، وتمر · كل شيء يمكن أن يقع ، وكل شيء يمكن أن ينسى !!

« فحيثما تلفت الانسان ، والقى بصره ، وقع على لغز محير· او على تصرف عجيب ، ويتساءل : لحساب من هذا ؟ واذا لم يكن لحساب الشعب — ولا شيء في هذا البلد يتم لحساب الشعب — فكيف يتم ؟ · وكيف يتركه الشعب يمر ؟ أم أن هذا الشعب ذاته خرافة ، ونحن الذين نعتقد بوجوده واهمون مخدوعون ؟!

لحساب من يرجع رجل من طراز حيدر (باشا) الى خـــدمة الدولة ؟

« الحساب الشعب ؟ ان الشعب يكره جلاديه · يكره الرجال الذين ربطوه الى ذيول الخيول لانه ثار فى وجه الانجليز · يكره الذين حاربوا وثبته الى الحرية ، وكانوا دائما فى صفوف اعدائه ، ولم يكونوا يوما فى صفه · !

« الحساب الجيش ؟ ان القواد المهزومين ، ووزراء الحربية الفاشلين ، تشـكل الشعوب الحية المجـالس التاديبية لمعاقبتهم ،

والحكم عليهم .. على الاقل بابعادهم عن الجيش ، احتفاظا بروحه المعنوية ، وابعادا لروح الضعف والهزيمة . !
« لحساب من ، اذن ، يعود هذا الرجل ؟

لا بد انه يعود لحساب جبهة اخرى غير جبهة الشعب والجيش . اليس هذا هو المنطق العادى البسيط ؟ اذا كان الشعب لا يريد ، فمن هذا اذن الذى يعود « حيدر » ليحقق مصلحته ؟! واية مصلحة هذه التى لا تتفق مع مصلحة الشعب والجيش ، ثم يصح ان تكون . ؟ !
« الهم ان يتم هذا حين لا يكون هناك شعب ، ولا يكون هناك جيش ، ولا يكون هناك وطن يضم الشعب والجيش . فهل تراها خرافة تلك المصطلحات كلها : فلا وطن ، ولا شعب ، ولا جيش. ونحن الذين نؤمن بهذا كله ، واهمون مخدوعون ؟ !

« ان عودة حيدر (باشا) ليست سوى مثال واحد من امثلة لا تنتهى . فما تطلع الشمس فى هذه الايام ، وما تغيب ، حتى تطالعنا بمثال من هذا النوع جديد . !!
« انها روح التحدى لهذا الشعب واضحة ظاهرة. ففى مصلحة من يا ترى يدون هذا التحدى .. ؟ !
« لعله فى مصلحة هذا الوطن ، ومصلحة هذا الشعب ، ونحن الذين لم نشرب ــ بعد ــ من نهر الجنون ، واهمون مخدوعون . »

***

اما عندما استرد « الفريق عثمان المهدى » موقعه القديم بجوار « حيدر » شريكه فى « الغفلة » ، وشريكه فى «المسئولية » ، وشريكه فى « العود الحميد » . فقد صدرت « اللواء الجديد » حاملة المقال التالى ،تحت عنوان:

« عثمان المهدى .. كان لابد ان يعود ؟ » (١)

« أجل ... كان لابد أن يعود « عثمان المهدى » على راس الجيش من جديد . فما دام « القديم » قد عاد سيرته الاولى ..

(١) نشر كاتب هذه السطور ، ذلك المقال فى « اللواء الجديد » بتوقيع « ابن الوليد » . ولم يكن هذا هو اول مقال له عن « الفساد فى الجيش » فلقد بلغ عدد المقالات التى كتبها الكاتب فى هذا الموضوع باسمه الصريح فى مجلة « المصور » وباسمه المستعار فى اللواء الجديد » اكثر من ثلاثين مقالا .

وما دام « الهدف » قد أصبح أن نعيد كل شيء ، وكل شخص ، الى ما كان عليه ·· فلماذا لا يعود الرجل الذى انحصر كل دفاعه عن نفسه ـ حين سئل أمام النيابة فى قضية الاسلحة الفاسدة ـ فى قوله : « انه لم يكن مسئولا ، وانه لم يكن يدرى من كل ما حدث شيئا » · على الرغم من انه كان رئيسا لهيئة اركان حرب الجيش · !!

« لقد اعترف « عثمان المهدى » ، بالامس القريب ، باشياء خطيرة ، عندما خيل اليه أن الاعتراف بهذه الاشياء الخطيرة ، قد ينجيه · !! ثم عاد فانكر كل ما كان قد اعترف به ، عندما رأى ان « الانكار » قد يعيده الى مكانه القديم ·· بل وقد يرفعه ويرقيه · !!

« وهكذا ينبغى أن يكون « المثل » الذى نقـدمه لشباب جيشنا ليتمثل به ·· ويحتذيه ·!!

« أجل ·· كان لابد أن يعود « عثمان المهدى » الى جـوار « حيدر » لتتحقق لهذا الاخير « ديكتاتورية » القيادة التى لا يستطيع العيش بدونها · فان « حيدر » لن يجد رجلا يجيـد كلمة : « نعم » ، كما يجيدها « عثمان المهدى » ·· ولن يجد رجلا يمقت كلمة : « لا » ، كما يمقتها « عثمان المهدى » ·· ولن يجد رجلا يحسن « الموافقة » على كل شيء ، وعلى أى شيء ، كما يحسنها « عثمان المهدى » · !!

« وانى لأعلم ان مجلس الوزراء حريص ، كل الحرص ، على مزاج » حيـدر (باشا) ·· وليس من الحـرص على مزاج » حيدر « باشـا » فى شيء ان يصر مجلس الوزراء على استبقاء اللواء حسين فريد ، كرئيس لاركان حـرب الجيش ، واستبعاد « الفريق عثمان المهدى » · فلقد تبين ان « حسين فريد » يعرف كلمة : « لا » التى لم يسمع بها « عثمان المهدى »، ولا يحب أن يسمع بها ·· كما تبين ان « حسين فريد » لم يجد فى نفسه استعدادا لأن يؤله « حيدر » ·· ولا لأنْ يعبد «الصنم» ·· بعد اذ حطم الناس الاصنام منذ آلاف السنين · وعلى ذلك ، أخذ يعامل « رئيسه » « حيدر باشا » كانسان يحترم نفسه ، ويحترم فى نفس الوقت ، رئيسه الذى كان يجب ان يحترم اولئك الذين يحترمون انفسهم ·

« ولكن ·· لان « حيدر » ليس رئيسا من هذا الطراز ، فقد أوغرت هذه المعاملة صدره على « حسين فريد » وأوشكت النار

ان تشب بينهما • ولكن « حسين فريد » رأى الا يزيد النـــــار اشتعالا . فعاد الى بيته ، ريثما يعود « القائد الخطير » الى رشده ، فيدرك ان احترام الرجل ، اى رجل ، لنفسه ، ليس جريمة يعاقب عليه بتنغيص العيش ، وبالاهمال ، وبالابعاد •

« ولست الوم « الفريق حيدر » على هذا السلوك ، بقدر ما اعذره • فلقد عاش الرجل اربعة وثلاثين ســـنة من عمره مع السجناء وبينهم (١) • عاش « حيدر » اربعة وثلاثين سنة كاملة مع اولئك التعساء الذين لا يستطيعون شيئا الا ان ينحنـــوا لمعاليه » ، وينحنوا للمامور ، وينحنوا حتى للسجان • !! فالرجل ، اذن ، معذوراذا لم يجد في نفسه القدرة على معايشة اولئك الذين يرفضون ان ينحنوا ، كما يرفضـــون ان يرددوا كلمة : « نعم » مثلما يردد الببغاوات اية كلمة تسمعها !!•

واذن ، فمن واجب مجلس الوزراء ان يغينه على ان يمكن لنفسه في الارض ، من واجبه ان يريحه من « حسين فريد » ، ومن واجبه ايضا ان يعيد اليه « عثمان المهدى » • فذلك ادعى الى راحته • والى اعتدال « مزاجه » • ويستطيع مجلس الوزراء وان يفاخر بانه قد فعل •

« ولقد اعادت الحكومة « الفريق عثمان المهدى » رئيسا لهيئة اركان حرب الجيش ، دون ان توجه اليه سؤالا واحدا عن اخطائه في حرب فلسطين • ودون ان تحاسبه على ارواح الشهداء الذين فقدناهم نتيجة للخطأ ، ونتيجة للجهل ، ونتيجة لكل كلمة •• بل لكل حركة كانت تصـــدر عن رأس القائد العـــام الخطير •• « الفريق محمد حيدر » !!

اعادت الحكومة « عثمان المهدى » الى مكانه القديم دون ان تسأله عن الاموال الطائلة التى ضيعناها ، ولا عن الاسلحة التى

---

(١) خدم « الفريق محمد حيدر » فى الجيش سنة واحدة . انتقل بعدها الى البوليس وكان احد رجلين اشتهرا ، خلال ثورة سنة ١٩١٩ ، بقسوتهما الوحشية فى معاملة المتظاهرين الذين كانوا يهتفون مطالبين باستقلال مصر . ثم نقل بعد ذلك الى مصلحة السجون ، وظل يترقى فى مناصبها حتى أصبح مديرا لها ، ثم عين فى سنة ١٩٤٨ وزيرا للحربية ، وكان معروفا بأنه يدير حرب فلسطين من مكتبه فى القاهرة . وفى يناير سنة ١٩٥٠ فرضه الملك على « حكومة الوفد » كقائد عام للقوات المسلحة !

بددناها ، ولا عن كرامة مصر التى اهدرها جهل « حيـــدر » و «عثمان » • !!

« اعادت الحكومة « عثمان المهدى » الى مكانه القديم ، دون ان توجه اليه سؤالا واحدا عن شيء من هذا كله •• واغلب الظن ان الحكومة لم تكن لتقدر على ان توجه اليه سؤالا واحدا عن شيء من هذا كله • ذلك لانها حريصة ، كل الحرص ، على الا يصيبها ما اصاب اعضاء مجلس الشيوخ الذين ساقتهم شجاعتهم الى الوقوف فى وجه « حيدر » وعصابته ، ليقولوا لهم باعلى الصوت : كيف بددتم اموالنا •••؟! كيف ضيعتم شـــهداءنا •••؟! كيف جعلتم « مصر » سخرية الساخرين ، لتحققوا لانفسكم مجدا ، ذاتيا •• ومنافع شخصية •• ورفعة اقمتموها ـ ان كانت هنـــاك رفعة ـ على اشلاء آلاف الشهداء من ابنائنا • ؟؟!

***

ورب سائل يتســاءل : هل كنا « مجــانين » ونحن نكتب ضد اولئك الطغاة •• ضد الملك ، وضد حاشيته ، وضد اعوانه ، تلك « الكلمات » التى كانت كأسنة الحراب •• مدوية كطلقات البنادق ؟!!

ام اننا كنا مؤيدين « بســـلطان » خفى اقــوى من « سلطان » الملك ، و « سلطان » حاشيته ، و « سلطان » عملائه • ؟ ! وان هذا « السلطان الخفى » الذى كنـا مؤيدين به ، هو الذى كان يشجعنا على أن نقول ما كنا نقوله ، ونكتب ما كنا نكتبه ؟!

والحقيقة اننا لم نكن « مجانين » حين كنـــا نقـــول ما نقوله ، ونكتب ما كنا نكتبه ••• بل الصحيح اننا كنا فى قمة عقلنا • ولاننا كنا فى قمة عقلنا ، فقد فتح « العقل » عيوننا ، اوسع ما تكون ، على نيران الفســاد التى كانت قد اشتعلت من حولنا، وكادت تلتهم كل شيء •• كل غال وعزيز فى أرضنا : الحـــرية ، والحق ، والعدل ، والقانون ، وانسانية الانسان ، وكرامته •

وفضلا عن اننا كنا فى قمة عقلنا ٠٠ وان « العقل » هو الذي فتح عيوننا ، اوسع ما تكون ، على نيران الفساد التى كادت تلتهم كل شيء فى ارضنا ٠ فاننا ، ايضا ، لم نكن نحرص على شيء ٠٠ اى شيء ٠ لم نكن نحرص على منصب ، ولا على جاه ، ولا على الحياة نفسها ٠ لم يكن هناك حرص من اى نوع يمكن ان يذل اعناقنا ٠٠ ومن هنا ، واتتنا الجرأة ، وأوتينا الشجاعة لكى نقول ، ونكتب كل ذلك الذى كان البعض يعتبرنا « مجانين » حين كنا نقوله ، ونكتبه ٠

اما اننا كنا « مؤيدين » بسلطان خفى ، اقوى من سلطان الملك ، واقوى من سلطان حاشيته ، واقوى من سلطان اتباعه وعملائه ٠ فذلك صحيح ٠ وكان هذا « السلطان الخفى » الذى كنا مؤيدين به ، هو « سلطان الايمان » ٠٠ ايماننا ببلدنا ، وبشعبنا ، وبحقه المقدس فى التحرر من الظلم ، ومن الخوف ، ومن القهر ، ومن كل ما من شأنه ان يستذل انسانيته ، ويهدر كرامته٠

الفصل الخامس

أوربا : القمار .. والغوانى !

بينما كان قلب مصر يحترق بكل ذلك الذى كان يجرى ·· وبينما كان اهلها - على اختلاف اقدارهم ، وثقافاتهم ، ومواقعهم - قد اضحوا وليس لهم من هم غير ذلك الفساد المروع الذى غرق فيه الملك حتى اذنيه، واغرق فيه حياتهم ·· اذا بالملك - بكل الجرأة ، واللامبالاة بما جرى ويجرى - يدير ظهره لمصر الحزينة ، ولقلبها الذى كان يحترق، ويستقل يخته الملكي الخاص: « فخر البحار » متوجها الى « اوربا » فى رحلة مجون لاتحده حدود !!

ولم تكن « اوربا » التى ادار « فاروق » ظهره لمصر الحزينة متوجها اليها ، هى « اوربا الفكر » ·· ولا هى « اوربا العلم » ·· ولا هى « اوربا الصناعة » · وانما كانت « اوربا » التى قصدها « فاروق » ، شيئا آخر غير هذا كله ·· كانت « اوربا : القمار ··والغوانى »·!! فلم يكن « فاروق » ، بكل ما تأصل فيه ، وانحدر اليه، ليستطيع ان يقصد « اوربا » اخرى غير هذه · بعد اذ صار « عبدا مطيعا » للفساد ·· يأتمر بأمره ، ويسلس له قياده ! ·

ويبدو ان « فاروقا » كان يعرف ، مقـــدما ، حجم الفساد الذى انتوى ان يغرق فيه نفسه ، وسـمعته ، وسمعة بلاده وشعبه · ومن ثم ، اختار ان يسافر فى رحلة المجون هذه ، متنكرا تحت اسم مســتعار هو : « فؤاد باشا المصرى » · !! كأن التنكر تحت هذا الاسم المستعار يمكن ان يضلل « اوربا » عن حقيقته · ! أو كأن « اوربا » ، فى رأيـه ، كانت من الســذاجة بحيث لاتستطيع ان تتبين حقيقته لمجرد انه سافر اليها متنكرا تحت اسم « فؤاد باشا المصرى » !!

ولم يكن هناك ما هو اشد اغراقا فى الجهل ·· جهل الملك ، وجهل مستشاريه ، من هذا التصور الساذج · ودليل ذلك ، ان « فاروقا » لم يكد يطأ ارض « اوربا » بقدمه حتى كانت عيونها كلها ـ ممثلة فى صحافتها ، وفى مصوريها ، وفى وكالات الانباء فيها ـ قد احاطت به ، وتركزت عليه ·· ثم مضت ـ بغير عنـاء كبير ـ ترصد جميع حركاته وسـكناته ، اذ كان بالنسبة لهـا صيدا ثمينا ، ثم تطيرها اولا بأول ، للعالم الذى اخـذ يأسى لمصر بمقدار ما كان فى تصرفات ملكها من مجون ، ومن ابتذال ، وترخص !

ولم تكن رحلة « فاروق » هذه ، هى اولى رحلاته الى « اوربا : القمار ·· والغوانى » · فلقد قصد اليها مـرة سابقة ، عندما استقل ، فى سنة ١٩٤٦ ، ذلك « اليخت الملكى » نفسه ، متـوجها الى جزيرة « قبرص » ، حيث كان على موعد غرام مع ممثلة الســينما : ليليان كوهين (كاميليا) ·· التى كانت ، فى ذلك الوقت ، قد دخلت قائمة عشيقاته ، كأحدث عشيقة فى تلك القائمة التى كانت طويلة جدا ·· وقذرة جدا · !!

لم يكن « فاروق » ، وقتئذ ، قد كشف ، تماما ،عن

ذلك الوجه القبيح الذى عرف به بين النــاس فيما تلا ذلك من سنوات . كان لايزال فى وجهه بقيـــــة من حياء .. كان لايزال يحاول ، ان يستخفى ، وان يتستر بالظلام ، وان يمضى الى صحبة الشيطان بعيدا ، ما امكن، عن نظرات الناس الذين لم يكن قد قرر ، بعد ، آن يلقى بنظراتهم تحت حذائه الملكى !!!

ولكن ... لان « فاروقا » كان ملكا .. ولان الملوك لهم لمعتهم الخاصة التى تشبه لمعة النجوم فى اشد الليالى ظلمة . فان التستر بالظلام ، والمضى الى صحبة الشيطان فى غفلة من اعين الناس ، كان بالنسبة اليه ، حلما يصعب تحقيقه . ومن ثم، فانه ماكاد يستقر فى«قبرص»،حتى كانت الجزيرة كلها قد تحولت الى عيون مفتوحة عليه ، وعلى من يذهبون معه ، ويجيئون اليه . وما هى الا ايام قليلة .. حتى كان كل الناس ، فى كل الجزيرة — وعلى الرغم من كل الظلام الذى حاول « فاروق » ان يتستر وراءه — قد عرفوا لماذا جاء « فاروق » الى جزيرتهم .. ومع من كان يقضى ايامه ولياليه !! .

اما وقد عرف الناس ، فانهم كانوا لابد وان يتكلموا ... وتكلم الناس فعــلا .. تكلمـــوا كثيرا عن ذلك « الزائر الكبير » .. عن استهتاره ، وتبذله ، ومجونه . وعندما ادرك « فاروق » ان الظلام فى « قبرص » لم يكن كثيفا بالقدر الذى تصوره ، وانه لم ينجح فى ان يخفى عن اعين اهلها فساده ومجونه .. امر « يخته الملــكى » بالرحيل عنها الى جهة اخرى ، بعد ان اوفد الى احــدث عشيقاته رسولا يحمل اليها « رسالة ملكية » من سطر واحد قال فيه : « اضطررت الى السـفر » . ولم ينس الملك العاشق ان يطوى « رســالته الملكية » هذه على خمسين جنيها !! .. ثمنا لاى شيء .. ؟! لا ندرى .

وذهلت احدث العشيقات ·· ثم افافت من ذهـولها لتجرى نحو الميناء في محاولة يائسة للحاق «بفخر البحار» قبيل رحيله · وهناك كانت المفاجأة الكبرىفى انتظارها· لقد غادر « اليخت الملكى » الميناء عند الفجـر · وعندئذ ادركت « كاميليا » ان « فاروقا » كان قد رتب الامـــور بحيث لاتصلها رسالته الا بعد ان يكون « اليخت الملكى » قد رحل عن « قبرص » !!

توجه « فخر البحار » ، بأمـر ملكى ، الى تركيا ·· لكن الارصاد كانت لاتزال تتابعه ·فما كاد يلقى مراسيه بميناء « مرسين » التركى ، حتى كانت وكالة انبـــاء « رويتر » قد اذاعت نبأ وصوله اليها ·

وبينمـا كان « فاروق » يتنقـــل بين « قبرص » و « تركيا » على هذه الصورة من الطيش واللامسئولية · كان مجلس الوزراء فى مصر برئاسـة « اسـماعيل صدقى » ، يغلى · فقد كانت هناك ازمـــة وزارية بين رئيس الوزراء وبعض وزرائه ، كما كانت المفاوضـات المصرية ـ الانجليزية التى كانتتدور وقتئذ بين «آساعيل صدقى » من ناحية ، وبين « اللورد ستانسجيت » من ناحية اخرى ، قد اخذت تتعثر ، وتقترب من دائرة الازمة ·· وكان ذلك كله يقتضى أن يكون الملك موجودا فى بلاده ·

وراحت برقيات « القصر الملكى » تتوالى على « فخر البحار » مناشدة الملك سرعة العودة آلى مصر · وقرر « فاروق » ان يعود · لكن برقيـــة عاجلة ما لبثت ان هبطت على « فخر البحار » جعلته يغير طريقه · كانت البرقيـة من احدث عشـيقات الملك ·· من « كاميليا » ·· تقول فيها : « اما ان تعود ·· واما آن انتحر » !!

وعاد الملك ... ولكن ، ليس الى مصر .. وانما الى « كاميليا » !!

وبنفس الطيش ، واللامسئولية اللذين كان « فاروق » يدير بهما حياته كلها ، قرر اطالة اقامته بجوار احدث عشيقاته ، ضاربا عرض البحر بالازمـــة الوزارية التي كانت قائمة بين رئيس الوزراء وبعض وزرائه ، وبالازمة السياسية التى كانت وشيكة القيام بين وفدى المفاوضات المصرية - الانجليزية . كما ضرب عرض البحر بنظرات النـــاس التي كان قد هرب بســـببها من « قبرص » متوجها الى « تركيا » !! .

غير أن برقيات القاهرة الى الملك ، لم تدع له فرصة لكي يستمتع بالهناء ، او على الاصح بالضياع الذى كان يغرق فيه نفسه . فلقد حملت اليه البرقيات انبـــاء مزعجة : ان رئيس الوزراء يهدد بالاستقالة ، ان هو لم يعد الى مصر فورا .

وقرر « فاروق » ان يقابل رئيس الوزراء فى منتصف الطريق ، فارسل يستدعيه الى « رودس » ، بعد ان اقنع « كاميليا » بأن تتركه يذهب الى هناك ، حتى لا يعرف رئيس الوزراء بوجودها فى « قبرص » ان هو جاء اليها .

وطار رئيس الوزراء الى « رودس » لمقابلة الملك الذى نجح في ان يحصل من « كاميليا » على « اجازة خاطفة » يدبر فيها امور دولته . !!

وفي « رودس » .. وخلال هذه « الاجازة الخاطفة » التى حصل عليها الملك من أحدث عشيقاته ، وقع « فاروق » عددا من اخطر المراسيم الملكية . وقع مرسوما بالتعـــديل الوزارى الذى ادخله (اسماعيل صدقي) عـــلى وزارته . ومرسوما ثانيا بانشـــاء « مجلس الدولة ، وتعيين محمد كامل مرسى (باشا) رئيســـا له » ومرسوما ثالثا بتعيين مستشارى المجلس ونوابه . ومرسوما رابعا بالحركة القضائية . وقد وقع الملك هذه المراسيم جميعها

على ظهر اليخت الملكى « فخر البحار » باعتباره ارضا مصرية ، حتى تكتسب المراسيم « الشرعية اللازمة » !!..

***

كانت تلك هى رحلة « فاروق » الاولى الى « اوربا : القمار .. والغوانى » . اما رحلته الثانية الى « اوربا » هذه ، وهى الرحلة التى حدثتك عن قيامه بها متنكرا تحت اسم : « فؤاد باشا المصرى » .. فكانت فى صيف سنة ١٩٥٠ . وعلى طول المسافة بين سنتى ١٩٤٦ و ١٩٥٠ ، كان « فاروق » قد احرز فى ميدان الفساد ، والمجون ، تقدما اوسع . واستهتارا اكبر . اذ كان قد طلق — فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٨ — زوجته الفاضلة .. « الملكة فريدة » فتم له ، بطلاقها ، الخلاص من آخر قيد — وان يكن من حرير — على تصرفاته الطائشة التى كانت تقوده بسرعة مجنونة نحو الهاوية . !

وهكذا سافر « فاروق » الى اوربا فى سنة ١٩٥٠ . وقد كشف تماما عن وجهه القبيح الذى عرف به بين الناس منذ ذلك التاريخ . والى ان ابتلعته الهاوية .

لم يعد فى وجهه بقية من حياء .. وبالتالى ، لم يعد يتخفى .. ولم يعد يتستر بالظلام .. ولم يعد يبحث عن اماكن لا يعرفه فيها احد .. بل لقد ذهب فى تحدى كل شخص ، وكل شيء ، الى ابعد ما يمكن ان يذهب اليه التحدى . كان يتصرف كانسان اصابه الجنون فجأة . غير أن المجنون .. أى مجنون .. يلتمس له الناس عذرا من جنونه . ولكن ، لان « فاروقا » لم يكن مجنونا ، فانه لم يجد بين الناس من يلتمس له العذر عن تصرفاته التى سفح بها سمعة مصر وكرامتها .. قبل ان يسفح بها سمعته ، وكرامته .

ويصف « الدكتور محمد حسين هيكل » ما جرى فى

رحلة « فاروق » هذه . وما نشأ عنها من خزى وعار لحقا بالمصريين جميعا بقوله :

« بعد أيام من صدور مراسيم ١٧ يونيو المشهورة . اعلنت الصحف ان « الملك » سيسافر الى أوربا متنكرا باسم « فؤاد باشا المصرى » . فلما كان بفرنسا ، جعل مقره الرئيسى فيها مصيف « دوفيل » ، وجعل نادى هذه المدينة مكان سمره ، وسهره ، ولعبه القمار .. كما كان الحال في نادى السيارات بالقـــاهرة ، وما لبثت غانيات باريس ، والفاتنات الدوليات ، حين عرفن ذلك ، ان هرع عدد كبير منهن الى « دوفيل » ، مؤمنات بان « ملك مصر » يريد أن يقضى صيفه فى مرح ومسره . وزادهن ايمانا بذلك ان دعيت الراقصة المصرية « سامية جمال » الى « دوفيل » لتبعث برقصاتها الى هذا المجتمع المصرى ، الفرنسى ، الدولى ، النعمة والنعيم . !!!

« واوفدت صحف فرنسا ، وصحف أوربا ، وصحف أمريكا ، مراسليها الى المدينة الرافلة في حلل هذه البهجة الغناء لموافاتها بانباء « الملك الشرقى » ومغامراته .

« واخذت الصحف ، فى أرجاء العالم ، تنشر من انبـــاء الملايين « التى يكسبهـــا « فاروق » أو يخسرها على مائدة القمار ، ما فتح العيون في العالمين القديم والجديد واسعة على هذا الملك الشاب الذى أعاد فى القـــرن العشرين ، وفى قلب أوربا ، صورا أعجب مئات المرات من صور ألف ليلة وليلة !!

« وانتهزت الصحف هذه الفرصة للتشـهير بملك مصر . ولم تكتف ، فيما راحت تنشره ، بأنباء الملك فى « دوفيل » بل لجأت الى حياته الخاصة فجعلت منها مادة زادت بها استهتار الملك بروزا ووضوحا .

« وأثر ما نشرته الصحف . حتى كان المصريون المصـطافون بأوربا يخجلون فلا يذكرون جنسيتهم لمن يسأل عنها . وقد لمست ذلك بنفسى ، اذ كنت بباريس عائدا من مؤتمر الاتحاد البرلمانى الدولى الذى عقد ذلك العام بدبلن . عاصمة « ايرلاندا » . فقد اطلعت فى مجموعة الصحف الفرنسية عند أحـــد أصدقائى الفرنسيين على طائفة من المقـــالات والصور التى نشرت عن « فاروق » فطأطأت رأسى . واطلعت كذلك على بعض المجـــلات الامريكية ، ، فاذا هى تنشر عن حوادث « فاروق » وتصفه بأقبح

الصفات • ورأيت فى بعض مسارح « باريس » تعريضا بالملك ومغامراته ، يندى لها الجبين • وسمعت من بعض معـــارفى ـ رجال وسيدات ـ ما ووجهوا به حين عرف محدثوهم أنهم مصريون • فاثرت الا أتعرض لمثل ما تعرضوا له •

« وزاد الطين بلة أن كانت الصحف الاوربية ، والامريكية ، تنشر عن التحقيقات التى كانت تجـــرى فى مصر عن الاسلحة والذخيرة الفاسدة التى اشتريت للجيش المصرى المحـــارب فى فلسطين ، ما يندى له الجبين •

« كانت صحف أوربا تنشر من التفاصيل الخاصة بهـــذا التحقيق ما يزيد الدعاية ضد الملك ، وضد مصر اثارة لنفس كل من يتابعها ، وما يجعـــل المصريين المقيمين بباريس ، وباوربا ، يطأطئون رءوسهم خزيا وخجلا (١) •

***

ذلك ما سجله « الدكتور محمد حسين هيكل »ـ اجمالا عن فضائح « فاروق » •• وعن الخزى والعــــار اللذين الحقهما بكل مصرى تصادف وجـــوده باوربا فى ذلك الوقت • حتى لقد وصل الامر بالمصريين الى حد انكار جنسيتهم ، فرارا من العار الذى الحقه بهم ملكهم .

اما « تفصيل » هذه الفضائح ، فقد تولته صحف فرنسا واحدة تلو الاخرى ، وراحت تنشره تحت ابرز العناوين .

فهذه صحيفة « فرانس بريس » تقول :

« فاروق ينتزع قصب السباق فى « دوفيل » ويخسر اربعة مليون فرنك ونصف فى نصف ساعة » !!

وهذه صحيفة « بارى بريس » تقول :

« الف ليلة وليلة فى « دوفيـــل » •• الملك فاروق بين البيجوم اغاخان ، ومدام كحيل ، ومدام كريم ثابت » ••

وهذه صحيفة « فرانس بريس » تقول :

« اشترى « فاروق » بعض المجوهرات الثمينة من محلات « فان كليف » • ولكن ، لم يعرف بعد من التى سوف تفوز بهـــذه

---

(١) « مذكرات فى السياســـة المصرية » للدكتور محمد حسين هيكل الجزء الثانى •

المجوهرات : هل ستكون « ســـامية جمال » هى الفائزة : ام الراقصة « سيرين اوجيمونا » ام المغنية « انى بريبيه » ؟° انه على كل حال ، يحمل المجوهرات فى جيب سترته الايمن °° ويقال ان « سونيا » عارضة الازياء فى محلات « كارفن » ســـتكون هى الفائزة بهذه المجوهرات » !!

وهذه صحيفة « **رادار** » تقول :

« ان فاروقا له راقصة مفضلة °° تماما مثل « الملك هيرود » فى التاريخ القديم ـ اما « سالومى » الحديثة فاسمها : « سامية جمال » ° وقد شهدت «دوفيل» ، فى ليلة من ليالى الشرق الساخنة، « سامية جمال » وهى ترقص حافيـــة القدمين فى ثوب مطرز بالفضة ، وقد ارسلت شعرها يصرخ فى الهواء » °!!

***

اما فضيحة الفضائح التى لم تنفرد بها صحيفة من صحف فرنسا ، بل شاركت جميعا فى نشرها .. فهى تلك التى كانت بطلتها فتاة امريكية فى السادسة عشرة من عمرها ، اسمها : « ميمى ميدار » ابنة احد الاثرياء الامريكيين الذين ساقهم قدرهم الى الاصـــطياف فى « دوفيل » اثناء وجود « فاروق » بها . لقد وقعت عليها عينه ، لاول مرة فى صالة الفندق فأسال شبابها لعابه ° وبيت ، فيما بينه وبين نفسه ، امرا ، لكنه لم يتمكن من الانفراد بهذه الحمامة الوديعة . الا فى مصعد الفندق . وفى المصعد ، راح « فاروق » يهاجم الحمامة الوديعة التى لم تكن تستطيع ، لضعفها تجاه وحشيته ، ان تدفع عن نفسها اذاه .. حتى هيض جناحها !!

كانت تلك فضيحة صارخة ° تناقلها النزلاء ، ونقلوها بدورهم الى مراسلى الصحف الفرنسية التى شـاركت جميعها فى نشرها تحت ابرز العناوين . ولكن ذلك كله لم يمنع « فاروقا » من ارسال الزهور كل صباح الى

غرفة الفتاة .. وكأنه كان يريد ان يؤكد تلك الفضيحة الصارخة التى هزت المجتمع الفرنسى هزا عنيفا . !!

وقبيل ان يعود « فاروق » من رحلته المجنونة هذه التى تردى فيها الى أحط درجات التردى ، كانت اخبار فضائحه كلها ـ وعلى رأسها فضيحة « ميمى ميدار » ـ قد سبقته الى القاهرة . وحصلت « روز اليوسف » على صورة الفتاة الامريكية ، ونشرتها فى عددها الذى صدر فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٥٠ وتحتها « الخبر » التالى .

« يتحدث المصريون العائدون من اوربا عن الانسة « ميمى ميدار » . وهى آنسة امريكية فى السادسة عشرة من عمرها . وابنة أحد كبار أصحاب مصانع الصلب فى ولاية « ميسورى » بامريكا . وقد وجهت الى الانسة « ميمى » أكثر من دعوة لزيارة مصر . ولكنها لم تقرر ، بعد ، قبول اى دعوة منها . » !!

كما نشرت « روز اليوسف » فى العدد نفسه .. وفى الصفحة المقابلة للصفحة التى نشرت عليها صورة الفتاة ، صورة أخرى لها ، فى وضع آخر ، وتحتها « الخبر » التالى :

« الانسة ميمى عند وصولها الى مطار لندن لتكمل دراستها فى جامعات انجلترا ، بعد أن قامت برحلة فى اوربا بصحبة والديها. وقد اعلنت أنها فقدت حقيبتين من حقائبها بين مدينتى « سان سبستيان » و « بيارتز » وهما حقيبتا ملابسها . واشارت «ميمى» الى « السويتر » الذى كانت ترتديه ، وقالت للصحفيين : هذا كل ما املكه الان من ملابس » .

كان هذا ـ بطبيعة الحال ـ هو كل ما تستطيع « روزاليوسف » أن تنشره ، أو ترمز اليه حول تلك الفضيحة الملكية الصارخة . لكن النشر ، على هذه الصورة ، كان موحيا للقراء ، وبالقدر الكافى ، بأن فى الامر « سرا » !!!

فلم تكن « الآنسة ميمى ميدار » هى أول فتاة أمريكية تصطاف فى أوربا . كذلك لم تكن هى أول فتاة أمريكية

لتذهب الى انجلترا لاستكمال تعليمها فى جامعاتهـــا .
وإذن ، فما هو « السر » الذى يختفى وراء اهتمام مجلة مصرية بهذه الفتاة ، على هذا النحو الذى تمثل فى نشر صورتين لها ، وليست صورة واحـــدة ، على صفحتين متقابلتين فى عدد واحد ؟!

وتحرك فى الناس فضولهم .. وراحوا يبحثون عن « السر » المختفى وراء هاتين الصـــورتين اللتين نشرتهما « روزاليوسـف » فى عدد واحد ، لفتاة واحدة .. وما لبثوا حتى عرفوا « الحقيقة » كاملة .. ولم يكن من شأن الحقيقة التى عرفوها ، الا أن يزدادوا احتقارا للملك ، وبغضا له ، وسخطا عليه . !

وفى عددها الصادر بتاريخ ٢٨ اغســطس سنة ١٩٥١ ــ أى بعد ١١ شهرا من نشر هاتين الصورتين ــ عــادت « روزاليوسف » مرة أخرى الى قصة « الآنسة ميمى ميدار » . فنشرت تحت عنــــوان بارز : « البرقية التى اهتمت بها الاوساط المصرية» ، صورة الفتاة .. وتحتها وبالبنط البارز أيضا ــ الخبر التالى :

« بعثت الانسة ميمى ميدار فى صباح يوم السبت ١٨ اغسطس ببرقية عاجلة الى القاهرة باسم شـــخصية مصرية كبيرة ، تقول فيها : انها انجبت ولدا جميل الطلعة !!.
« والانسة « ميمى ميدار » ، امريكية فى الثـــامنة عشرة من عمرها . وهى فاتنة ، رائعة الجمال . وقد لمع اسمها لمعانا شديدا فى موسم « دوفيل » فى العام الماضى.

« وهى ابنة احد كبار رجال الصناعات فى ولاية « ميسورى » . وقد انتحر والدها فى العام الماضى ، عقب عودته من قضاء اجازته فى « دوفيل » .!!
« وكان من المنتظر ان تزور « ميمى » القاهرة فى شتاء هـــذا العام ، ولكن ، حدثت ظروف قد تحول دون دخولها الاراضى المصرية الى الابد !.
« وقد اهتمت جميع الاوساط المصرية الرسمية وغير الرسمية ،

بهذه البرقية التى ارسلتها الانسة ميمى ميدار الى القاهرة » !!.

وهكذا وضعت «روزاليوسف» ـ وإن يكن بعد مرور ١١ شهرا من نشرها الخبر الاول ـ كل النقط على كل الحروف فى قصة « الآنسة ميمى ميدار » . وبعـــــدها لم تعد « ميمى ميدار » لغزا يجهد الناس أنفسهم بحثا عن مفتاحه . فقد عرفوا كل شيء ، وفهموا كل شيء .. واعتصرهم خذى عميق بسبب ما عرفوا ، وما فهموا .

الفصل السادس

فى الطريق إلى الهاوية !

عاد« فاروق »من رحلته الماجنة هذه فى منتصف أكتوبر سنة ١٩٥٠ ، ليجد مصر الحزينة كلها تلوك فضائحه ، وتتحدث بصوت عال عما اقترفه فى حقها من مخاز نشرتها ، على اوسع نطاق ، صحف العالمين : القديم والجديد .

وعلى الرغم من ان الحكومة التى كانت قائمة فى الحكم وقتئذ ، كانت قد منعت دخول هذه الصحف الى مصر . الا أن الحصول على نسخ منها لم يكن ، بالنسبة للكثيرين ، شيئا عسيرا ..!

كان السيل ، كما يقولون ، قد بلغ الزبى • وكانت مصر قد اضحت بركانا تغلى مراجله ، واخذ يتهيأ للانفجار • ولكن « فاروقا » ، من حيث يشعر او لا يشعر ، كان مصمما على السقوط فى الهاوية . فأصم اذنيه تماما عن كل نصح ، وكل تحذير ، واستسلم للفساد ينوشه من كل جانب • وما احسبه كان مستطيعا ان ينجو بنفسه من براثن ذلك الفساد الذى اخذ ينوشه من كل جانب •• فلقد تهيأت له ــ بحكم تربيته الفاسدة، وطبيعته الموروثة ، وظروفه المواتية ــ جميع الأسباب التى

جعلته عاجزاً كل العجز ، عن التخلى عن فساده ، أو ترك فساده يتخلى عنه .

وآية ذلك ، ان سنة ١٩٥٠ حملت اليه من نذر الخطر ما كان كافيا لاقناعه ، لو انه كان يريد ان يقتنع ، ان عرشه قد اضحى قائما على الماء .. وانه ليس ثمة سياج من الولاء ، ولا من الحب ، ولا حتى من مجرد العطف يمكن ان يحمى عرشه من ذلك الموج الذى اخذ يعلو ليبتلعه .! حتى الجيش الذى صور له خياله المريض، أنه يمكن ان يكون معه ضد الشعب ، جاءته من ناحيته انذر بانه يعرف تماماً اين يضع ولاءه ، وانه لن يضع هذا الولاء فى اى ارض غير الارض التى يقف الشعب عليها .صحيح ان اذناب الملك من قادة الجيش ، كانوا قد غيروا ، فى وقت ما، صيغة « القسم » الذى يقسم الضباط على الولاء له ، فجعلوها : « الله . الملك . الوطن »، بعد ان كانت : « الله . الوطن . الملك » .. الا ان هذا التغيير الذى قدم « الملك » على « الوطن » ــ على الرغم من أن « الوطن » هو الباقى ، مابقيت الحياة . وكل « ملك » ، واى « ملك » .. الى زوال ــ لم يتجاوز مطلقا شفاه الضباط الى قلوبهم التى ظل ولاؤها العميق ، والاكيد ، لله .. ثم للوطن الذى حمل الضباط همومه ، واعتصرتهم احزانه ، فلما ان نفد صبرهم ، استداروا ــ ــ فى ثورة شجاعة ــ اقتلعوا بها الملك من فوق عرشه الذى كان قد أضحى قائما على الماء ، وليس ثمة سياج يحيط به .. لا من الحب ، ولا من الولاء . !

***

ويحضرنى ، وانا اتحدث عن فساد « فاروق » . وعن عجزه الكامل عن التخلص من فساده ــ يحضرنى رأى للوزير الوفدى السابق « عبد الفتاح حسن » فى فساد «فاروق»

وفى دواعيه ، واسبابه .. وقد افضى الى الوزير السابق بهذا الرأى صباح يوم الجمعة ٤ يناير سنة ١٩٥٢ ، وكنت على موعد معه بمكتبه فى وزارة الشئون الاجتماعية لحديث صحفى لمجلة « المصور » ..

قال لى «عبد الفتاح حسن» ونحن نتحدث عن «فاروق» حديثا جانبيا - كان مستحيلا - ، وقتها ، ان ينشر لان نشره كان كفيلا بان يكلف صاحبه ليس مقعده فى الوزارة فحسب .. بل وعنقه ايضا :

« كنت دائما آخذ علي اخواننا الذين يهاجمون الملك موقفهم . ذلك لان الملوك - وفاروق واحد منهم - لايمكن ، بحكم ظروفهم ، ان يكونوا أحسن مما هم عليه . وليس فى هذا الذى أقوله شيء من الغرابة . فكل امرىء يولد ، وتولد معه آمال يريد أن يحققها ، الا الملوك ، فانهميولدون ليجدوا جميع آمالهم محققة. ففى الساعة الاولى من وجودهم على الارض ، يصبحون أولياء للعهد . ومن هنا تجد ان الطاقات التى نوجهها انا ، وانت ، والناس كلهم ، الى تحقيق آمالنا .. يوجهها الملوك الى ما يجرهم الى المزالق ، والخطايا ، والعيوب . وهم يفعلون ذلك ، ويستمرئونه ، لانه ليس هناك ما يخشونه نتيجة لوقوعهم فى هذه الخطايا ، وتلك العيوب . فان آمالهم كلها ، كما قدمت ، محققة .. وغاياتهم معروفة . ومن المسلم به انه لا يخشى المزالق والخطايا ، الا من كانت له آمال يريد أن يحققها ، وغاياتيريد بلوغها . لذلك فهو يخشى أن تقف خطاياه حجر عثرة فى طريق آماله ، وغاياته .

« اننى أصارحك باننى لا أرى جدوى من الهجوم على الملك . انما الذى يجب أن نفعله ، وأن نركز عليه جهدنا كله ، وتفكيرنا كله ، هو العمل على اخراج الانجليز من مصر . عندها ، سوف يصبح هذا الملك نفسه أتفه من ريشة فى مهب الرياح ، فهم قد أفهموه - كما أفهموا أجداده من قبله - انهم حماته . وانه لا أمان له من هذا الشعب الا بوجودهم بجانبه ، وقد درج الانجليز ، منذ أن احتلوا أرضنا ، على تقسيم بلدنا الى ثلاث جبهات : الملك فى ناحية ، والشعب فى ناحية ثانية ، والحكومة فى ناحية ثالثة . ومن بين الثغرات الموجودة فى هذه الجبهات الثلاث ، كانوا ينفذون دائما لتحقيق اغراضهم فينا . واياك ان

تصدق أن الانجليز سيبطل لهم تدخل فى شئوننا ماداموا على ارضنا » •

***

واعود بعد هذا الراى الذى نقلته ، بحروفه ، من مذكراتى عن ذلك اليوم ـ اعود الى ذلك الفساد الذى عجز « فاروق » ـ بحكم تربيته ـ وطبيعته ، وظروفه ـ عن الخلاص من براثنه •

فلقد حملت سنة ١٩٥٠ ـ كما ذكرنا ـ الى «فاروق» من نذر الخطر ما كان كافيا لجعله يرجع ، ويرتدع •• او فى القليل ، يتحسب ويحاذر . لكنه ، بما تأصل فيه من فساد ، ومن صلف ورثهما عن آبائه واجداده ، ادار ظهره لكل تلك النذر ، ومضى يتحدى .. انطلاقا من وهم كبير بانه يستطيع ، عن طريق التحدى ، ان يسترد اعتباره ، وان يثبت قوائم عرشه الذى كان قد اخذ يهتز ،ويتداعى تهيؤا للانهيار •

على انه كان مستحيلا ، الى ابعد حدود الاستحالة ، ان ينجح « فاروق » فى استرداد اعتباره عند الشعب . ذلك لان ما تكشف من أمره ـ خاصة فى سنة ١٩٥٠ وما بعدها ـ لم يكن من قبيل « الهفوات » التى يسهل اغتفارها ، او التسامح فيها ، وانما كان من قبيل « الجرائم » التى تجر العار ، ليس على مقترفها فحسب بل وعلى الذين يسمعون بها ، ويسكتون عنها • !

● فدوره البشع فى حرب فلسطين ، وفى قضية الاخيرة الفاسدة ، كان جريمة يستحيل اغتفارها •

● وموقفه من رئيس ديوان المحاسبة ، ومن اعضاء مجلس الشيوخ الذين اثاروا هذه القضية ، كانجريمة يستحيل اغتفارها •

● ووقوفه وراء الملوثين من رجال حاشيته ، بالحماية المستترة تارة ، وبالتكريم العلنى تارة اخرى ، كان جريمة يستحيل اغتفارها •

● ولياليه الداعرة التى كان يقضيها فى رفقـة الساقطات من النساء ، ويريق فيها اموال الشعب على موائد القمـــار ، وتحت أقدام الغوانى كانت جريمة يستحيل اغتفارها .

● وسطوه العلنى على الاموال ، والاعراض ، كان جريمـة يستحيل اغتفارها .

من خلال هذه الجرائم البشعة جميعها ، وغيرها ، كان مستحيلا ـ كل الاستحالة ـ ان ينجح « فاروق » فى استرداد اعتباره عند الشعب . واذن ، لم يكن أمامـه الا ان يتحدى .. وهو ما راح يفعله .

وهنا .. يقابلنا سؤال على غاية من الاهمية :

اعتمادا على من .. وعلى ماذا .. لجأ « فاروق » الى ذالك التحدى .. ؟

من المؤكد ان « فاروقا » لم يقدم على هذا التحدى الا معتمدا على اسناد ثلاثة :

● اولا : تاكـــده الكامل من وقوف الانجليز بجانبــه ، ومن حمايتهم له من كل خطر شعبى يمكن أن يتهدده .

● ثانيا : تهالك الزعامات السياسية التى كانت قائمـــة ، وانصرافها عن مجاهدته الى الجهاد من اجل كراسى الحكم التى كانت دائما ملك يمينه .. يخلع عنها من يشاء ، ويجلس عليهـا من يريد !.

● ثالثا : ثقته المطلقة ـ وقد اثبتت له الايام انه كان واهما ـ ان الجيش معه .. وانه بالجيش يستطيع أن يضرب اية قوة تحدثها نفسها ، أو تحملها الامها على الثورة عليه ، أو التحرك ضده .

من هنا .. واعتماداً على هذه الاسناد الثلاثة ، مضى « فاروق » .. يتحدى ..

ومن هنا أيضا نستطيع ان نتفهم جيداً معنى هـــذا « الخبر » الذى نشرته « روز اليوسف » فى اول سبتمبر سنة ١٩٥١ ، وجاء فيه : « ان شخصية كبيرة تصطاف الان فى اوربا . طلبت من الانجليز اطـلاق يدها لتأديب « الشعب المصرى » !!

ويتلقف واحد من اولئك الكتاب الاحرار الذين كانت قلوبهم تتمزق بمصائب الشعب ، وآلامه ، هذا الخبر المزرى ، وينشر عليه ردا فى « روز اليوسف » بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٩٥١ ـ بعنوان : « لن ملنا ·· يا جورج » · وتحت هذا العنوان ، راح الناس يقرأون « لخالد محمد خالد » :

« يتحدثون عن مشروعات جديدة يحاولون بها تكبيل الحرية الظاهرة ·· ويتحدثون عن ذلك الكبير الذى توسل الى « الانجليز » أن يطلقوا يده لتأديب الشعب المصرى الذى يخاف ، ولا يستحى !!·

« وتكدح أذهان السادة كدحا عنيفا باحثة عن البطشة الكبرى التى تريحهم من الرواد الاحرار الذين مضوا فى طليعة وعى جارف ، يرتادون الطريق المحفوفة بالوحوش والذئاب !·

« وتنظر اليهم الحرية ضاحكة ساخرة · اذ قد علمها الزمن الطويل أن أعداءها دائما فى خدمتها طائعين أو مكرهين · قديما ـ مثلا ـ أراد « فرعون غليظ » أن يبطش بطليعة حرة كفرت بألوهته ، فاستضافها الى مشانقه الظالمة · ومضى الاحرار نحو المشانق كما يمضى العابد الى محرابه ، وكما يسارع العاشق الى موعد حب جميل ·· شنقوا وهم يصرخون فى وجه الطاغية : يا فرعون ·· اقض ما أنت قاض ·· انما تقضى هذه الحياة الدنيا !!·

« ترى ·· هل بقى « فرعون » من الخالدين ؟·· كلا · بل لقد سار شعبه على ضوء المشاعل ـ أعنى المشانق ـ حتى وصل · أما « فرعون » ، فابتلعه اليم وهو ذميم · وبعد أن اشبعه الموج الثائر صفعا ، وركلا ، بصقه على الشاطىء ليظل عبرة زاجرة لاخوانه الفراعين ·· ولكن الفراعين لا يعتبرون !·

« ألا ليت المسئولين فى هذا البلد يقرأون التاريخ · اذن لرأوا وراء كل ثورة قامت على ظهر هذا الكوكب ركاما هائلا من القوانين الظالمة !·

« انظروا ··· عندما همت بعض الولايات الامريكية بالتحرر من التاج البريطانى ، خشيت أم الملك « جورج الثالث » أن تنتقل عدوى الحرية الى بقية الولايات ·· وتقدم بعض مشيرى الملك ،

وهمسوا فى اذنه الا يصارع ارادة شعب اثر الحرية او الموت، بيد أن امه صرخت فى اذنه الاخرى : « كن ملكا يا جورج » !!

« وأصغى « جورج » لصوت أمه ، وأدرك قصدها ·· فأسرف فى اصدار القوانين الباغية ، وتحدى الثوار تحديا قاسيا ·· هنالك وقفت الثورة ينادى بعضها بعضـــا ·· وقامت حرب الاستقلال التى أودت بسلطان « جورج » ، وخلصت أمريكا من « التاج » الى الابد !

« ومن الحكام من لا يجد بجواره « اما » تصيح به · « كن ملكا يا جورج ·· ولكن غروره يقوم مقام هذه الام الغائبة (١) · فيضله ، ويغريه ، ويمعن فى استهتاره بحقوق الشعب ، وارادته، وسلطانه ·

« الا ان مصارع السوء لفى انتظار هـــذا اللون العـــابث الضال من الحاكمين · وهم حين يذهبون لن تبكى عليهم السماء· والجولة الاخيرة من نصيب الحرية دائما ·

« فليقض « فرعون » ماهو قاض · أما نحن الـــذين نذرنا حياتنا لحرية هذا الشعب ، فلن نتراجع أبدا · وسنلاقى جميع المحاولات المضادة بسخرية ، مرددين قول « ابن تيمية » العظيم: « ما يصنع اعدائى بى ؟ ·· ان سجنى خلوة ·· ونفى نزهة ·· وقتلى شهادة ·· فماذا يصنع الاعداء بى ؟! »

***

عاد « فاروق » من رحلته الماجنة ، فى منتصف اكتوبر سنة ١٩٥٠ ، وقد انتوى ، فيما بينه وبين نفسه امرا · ذلك ان يتحدى ·· وان يذهب فى التحدى الى اقصى ما يستطيع · فهل فعل «فاروق» ذلك لانه حصل من «الانجليز» على « الاذن » به ؟ أم انه ــ كمقامر عظيم ــ احس بغريزة المقامر ، انه يلعب « ورقته الاخـــيرة » ، وان « قوانين اللعبة » تفرض عليه ان يلعب « ورقته الاخيرة » هذه ، بكل عنف المغامرة التى لا توسط فيها : فاما ان تجىء له بكل شىء .. واما ان تفقده كل شىء ؟!

(١) يلاحظ أن أم «فاروق» ــ الملكة نازلى ــ كانت «غائبة» حينذاك فى امريكا ، بعد أن اتخذتها لها مقرا ·

على كل حال .. ما كاد « فاروق » يلتقط انفاسه من رحلة صيف سنة ١٩٥٠ ، حتى طلب من الحكومة ان تصرف له مرتبه لمدة سنة — ومقداره مائة الف جنيه — مقدما .. « لان جلالته مدين ، ويرغب فى تسديد ديونه » . !!

نعم .. هكذا قال « ناظر الخاصة الملكية » فى « خطابه السرى » الذى كتبه الى وزير المالية ، وقتئذ ، « فؤاد سراج الدين » .!

ومع مخالفة هذا الطلب الملكى لكل القوانين المالية التى تحكم الدولة ، فان الحكومة لم تفكر ، للحظة ،فى الاعتراض عليه . بل لقد بادرت الى تلبيته بأسرع مما كان الملك نفسه يتصور .

« وكان حرص وزير المالية : « فؤاد سراج الدين » .. على سرعة التلبية شديدا الى حد أنه لما لم يجد المبلغ المطلوب متوفرا فى خزانة وزارة المالية ، تفتق ذهنه عن ايجاد الحل السريع . كتب « خطابا سريا » الى وزير الداخلية طالبا اقتراض مرتب الملك لمدة سنة من بند « المصروفات السرية » المخصصة لهذه الوزارة ، لحين اعتماد الميزانية الجديدة للدولة .

« وفى ثوان ، وبغير تفكير طويل ، او قصير — وافق وزير الداخلية على طلب وزير المالية . وذلك لسبب بسيط جدا . هو ان وزير الداخلية فى ذلك الوقت ، كان هو نفسه وزير المالية . وكان مستحيلا ، بطبيعة الحال ، ان يرفض « فؤاد سراج الدين » طلبا « لفؤاد سراج الدين » !!

ويضيف المؤرخ « عبد الرحمن الرافعى » — وهو من لايطعن احد فى حرصه الشديد على تحرى الحقيقة — يضيف الى الواقعة السابقة التى رواها لى صديق لا اشك مطلقا فى صدق روايته .. وكان — بحكم موقعه — واحدا من اثنين او ثلاثة اتيح لهم ان يروا بأعينهم وثائقها : « ان الملك ، بعد أن حصل على مرتبه لمدة سنة ، مقدما ، طلب تحويله الى دولارات ، وارساله الى امريكا لايداعه فى احد بنوكها باسمه . وايضا لم تتردد

« الحكومة » فى أن تصدر امرها للبنك الاهلى بتنفيذ رغبة الملك » !!

وهكذا عاونت الحكومة ــ من حيث تعلم ــ فى تهريب هذا المبلغ الضخم الى الخارج · فى وقت كانت الدولة فيه اشد ما تكون احتياجا الى العملة الصعبة . خاصه وان رصيدها من الدولارات كان فى هبوط مستمر بسبب المبالغ الضخمة التى كانت ترسل للملكة « نازلى » ــ والدة فاروق ــ والى اخته « فتحيه » اللتين كانتا قد اختارتا « امريكا » مكانا مختارا لاقامتهما · !!

***

لم تكن هذه على أية حال ، هى المرة الاولى التى يغتال فيها « فاروق » اموال الدولة على هذه الصورة ، التى لا يقدم عليها الا انسان له مثل طباعه . واذا كان « فاروق » ، فى هذه المرة ، قد رضي لنفسه أن يقبض مرتبه لمدة سنة مقدما ، بزعم انه « مدين » !! ــ وهو ما كان يتحتم ان ترده عنه حكومته ، ما دام هو لم يشأ ان يرد نفسه عنه ــ فانه ، فى مرات سبقت ، سمح لنفسه ان يغتال اموال الدولة بنفس الطريقة التى يغتال بها « الافاقون المحترفون » اموال الاخرين . !!

حدث ذلك فى سنة ١٩٤٩ · حين فكر اولئك الذين كان قد جمعهم حوله ، وجعلهم اصحاب مشورته ، فى ان يدخلوا الى جيبه الملكى مبلغا ضخما من المال يسيل له لعابه ، ويزيده رضاء عليهم ، وتمسكا بهم · فزينوا له ان يبيع يخته الخاص « فخر البحار » الى الحكومة . وكان الملك قد اشترى هذا « اليخت » فى سنة ١٩٤٣ من صاحبه بمبلغ ٧٦ الف جنيه .

ولكن ·· ما هى الطريقة التى يمكن للملك ان يبيع بها يخته الخاص الى الحكومة ؟!

الامر غاية فى البساطة . وقد تولاه رجاله هؤلاء نيابة عن سيدهم . حركوا اتباعهم فى السلاح البحرى لكى يزعموا ، اولا ، ان السلاح محتاج ، اشد الاحتياج ، الى قطعة بحرية تصلح « مدرسة » للتدريب العسكرى . ثم يرشحون ، ثانيا ، اليخت الملكى « فخر البحار » لهذا الغرض ، ثم يحددون ، ثالثا ، ثمنا تشتريه الحكومة به مقداره ١٧٦ الف جنيه !! اى بزيادة قدرها ١٠٠ الف جنيه عن ثمنه الاصلى .. بعد استعماله ست سنوات كاملة !!

ومضى رجال البحرية ، من اتباع حاشية الملك ، ينفذون المسرحية ، حسبما رسمت لهم .. فأمروا ، بدورهم ، بتشكيل لجنة توافق على شراء « فخر البحار » ، طبقا للخطة الموضوعة — ورشحوا لرئاسة هذه اللجنة « القائمقام بحرى .. عز الدين عاطف » . وكانت هذه هى غلطتهم الوحيدة . فقد كان هذا الضابط الكبير ، على قدر من الشجاعة ، جعله يرفض رئاسة اللجنة المقترحة ، قائلا ان عنده لهذا الرفض سببين :

اولهما : ان اليخت لا يصلح للغرض المطلوب شراؤه من اجله ، فضلا عن انه لا توجد بحرية فى العالم تشترى يخوتا . !

ثانيهما : ان الثمن المقترح لشراء اليخت املى على اللجنة املاء ، وهو لا يقبل هذا الاملاء .

ابدى « عز الدين عاطف » هذا الاعتراض الخطير ، ثم قدم استقالته .. ومضى !

ولكن « اذناب » الملك كانوا اذكياء . فرأوا انهم لو قبلوا استقالة هذا الضابط الكبير ، فسوف يتيحون له الفرصة ليجعلها فضيحة تزكم الانوف . وعلى ذلك ، رفضوا قبول استقالته .. واصدروا قرار بندبه بعيدا عن السلاح البحرى .. وعن « فخر البحار » وصفقته ..

ثم جاءوا بواحد من اولئك الذين اعتادوا أن يوافقوهم على أى شيء ، وعلى كل شيء ·· فوافق على اتمام الصــفقة بصورتها التى اقترحها اذناب الملك · وبهذا دخل جيب « فاروق » فى لحظة ، مائة الف جنيه لا يستحق منها قرشا واحدا · !

كان ذلك عملا شائنا وخطيرا · ولكن هــذا العمل الشائن ، والخطير ، كانت لاتزال له بقية ·· وكانت بقيته أكثر دناءة مــن العمل ذاته · فلقد قبض الملك ثمن اليخت من حكومته ، لكنه لم يسلمه لها بل ظل محتفظا به لنفسه ، كما كان عليه الوضع من قبل · وكل الذى حدث أنه « نصب » على حكومته · فقبض منهــا ١٠٠ الف جنيه ثمنا لشيء لم يبعه لها !!·

***

كانت هذه واحدة من ابشع جرائم السطو على اموال الدولة التى اقترفها « فاروق » ·· لكنها ، على كل حال ، لم تكن ابشع جرائمه ·· فلا يزال هناك ، وفى هــذا المضمار ذاته ، جريمة اخرى اشد بشاعة من سابقتها

ولئن دلت هاتان الجريمتان ·· تلك التى رويتها ، وهذه التى سوف ارويها ، الان ، على شيء ·· فانما تدلان على ان « فاروقا » - وان كان « ملكا » - الا انه كان مجبولا على طبيعة اللصوص الذين لا يخشون شيئا ·· ولا يحترمون قانونا ·· ولا يترددون فى الاقــدام على اقتراف اى جرم مهما بلغ من دناءة · !

كانت الباخرة « المحروسة » هى بطلة هذه الجريمة الثانية ·· و « المحروسة » - « الحرية » الان - يخت ملكى اخر بنى لخديو مصر فى سنة ١٨٧٠ · وفى سنة ١٩٤٦ ، فكر «فاروق» فى اصلاح هذا «اليخت» الذى انتقل اليه عن طريق الوراثة ·· وكان العهد قد طال عليه ، وبدأ البلى يتسرب اليه ، ويتهدد بنيانه · فعرضه «فاروق» على البحرية البريطانية فى مالطة لاصلاحه ، فقدرت هــذه

تكاليف العملية بمبلغ عشرين الف جنيه ، على ان تضمن اليخت بعد ذلك لمدة ١٥ سنة ، وهى اقصى مدة تقدرها البحرية الحديثة لاعمار اليخوت ٠ ومع ان المبلغ الـــذى طلبته البحرية البريطانية لم يكن بسيطا ، الا ان «فاروقا» فاجأ «مجلس الوزراء بطلب مليون جنيه ـ بالدولارات ـ لاصلاح « اليخت » لدى شركة ايطالية معينة ٠٠ وبدون مناقصة !! وكان لهـــذه الشركـــة فى مصر سمساران معروفان ٠ هما : «انطوان بوللى» ٠٠ و « ادمون جهلان »! واول هذين الرجلين هو «مدير الشئون الخصوصية» للملك والثانى « سمساره الخاص » ، ومنظم رحلاته الماجنة الى اوربا ٠ !

وعرض طلب « فاروق » على رئيس مجـلس الوزراء ، وقتئذ ، « المرحوم محمود فهمى النقراشى » ٠ ومن الانصاف لرجل رحل عن دنيانا ، أن نقرر ان موقف « النقراشى » من هذا المطلب الملكى كان موقفا رائعا ، وجديرا بأن يسجل له كرجل ، وكرئيس مسئول ٠ فلقد رفض الرجـــل الموافقة على طلب الملك ٠ ولم يكتف بأن يكون الرفض شفاهيا بل كتب الى الملك يقول :

« فى الوقت الذى يشتد فيه التذمر من الفاقة التى تحيط بافراد الشعب ، فان الناس لن يقبلوا منا التفكير فى مثل هذا العمل ، ولذلك ، فاني لا استطيع ـ مادمت رئيسا للوزراء ـ أن اوافق على طلب كهذا ، واستقالتى بين يدى جلالتكم » !

تسلم الملك رد « النقراشى » وراح يتربص ٠ اخـــذ يتحين الفرصة التى تمكنه من توقيع العقاب على رئيس الوزراء الذي جرؤ على ان يقول له : « لا » ٠٠ !

لكن القدر لم يتح « لفاروق » فرصة النيل من كرامة « النقراشى » ، فلقد اغتيل الرجل قبل ان يتمكن «فاروق» من ايذاء كرامته بأية صورة من صور الايذاء ٠ وحـــل

محله في رئاسة الوزارة زميله ، وصديقه ·· « أبراهيم عبد الهادى » رئيس الديوان الملكى ·

كان موقف رئيس الحكومة الجديد دقيقا تجاه تلك « الرغبة الملكية » التى رفض « النقراشى » الموافقة عليها ، فقد جعلته الظروف بمثابة « الاب الشرعى » لهذه الرغبة التى ولدت فى احضانه ، حين كان رئيسا للديوان الملكى، وهو الذى كتب بها ــ بوصفه رئيسا للديوان ــ الى زميله رئيس الحكومة · فكيف يتنكر ، بعد ان صار رئيسا للحكومة ، لما سبق ووافق عليه عندما كان رئيسا للديوان ؟!

ويبدو ان « ابراهيم عبد الهادى » اراد ان يكون وفيا لموقف صديقه وزميله ، « النقراشى » ، ووفيا فى نفس الوقت لما سبق له هو نفسه اقراره ·· فوافق ، من حيث المبدأ ، على اصلاح « المحروسة » ، لكنه احاط موافقته هذه بعدة تحفظات ، اهمها : اجراء مناقصة عالمية لاصلاحها واستشارة خبراء عالميين فيما اذا كان شراء « يخت » جديد، انسب لخزانة الدولة من اصلاح « المحروسة » بهذا المبلغ الضخم المطلوب لاصلاحها ·

الا أن شيئا من ذلك لم يتم ·· فقد عصفت العواصف الملكية بوزارة « ابراهيم عبد الهادى » ، وحلت محلها وزارة « حسين سرى » التى تمت فى عهدها ، صفقة اليخت « فخر البحار » · ولكن وزارة « حسين سرى » هذه لم تلبث حتى استقالت من الحكم تمشيا مع نتيجة الانتخابات التى جاءت « بالوفد » الى الحكم بأغلبية شعبية ساحقة·

***

كان ذلك فى سنة ١٩٥٠ ــ وكانت « حكومة الوفد » ــ قد جاءت الى الحكم ، كما قلنا قبلا ــ وفى طليعة اهدافها ان تكون اطوع للملك من بنانه · ! فاذا بها ،

حين عرض عليها امر المليون جنيه التى طلبهــا الملك لاصــلاح « محروسته » ، تحذف كل التحفظات التى كانت « وزارة عبد الهادى » قد وضعتها على مطلب الملك، وتوافق على المبلغ المطلوب ، بل وتضيف اليه من عندها ، مبلغ ٢٠٠٠ر٢٠ جنيه • قالت فى تبرير صرفها : « آنهـا فرق العملة الذى نشأ نتيجة لتخفيض قيمة الجنيــه المصرى • !! »

تم هـذا كله فى الوقت الـذى كانت ميزانية الدولة تعانى فيه عجزا مقداره ١٦ مليون جنيه !!

ولم تكن هذه ، على أية حال ، هى الهدية الوحيدة التى اهدتها « حكومة الوفد » من اموال الشعب لفاروق • بل كانت هناك هدية اخرى اكبر من هذه واضــخم • قدمتها الحكومة للملك فى صورة اعفاء •• أو « صهينة مقصودة » •• عن مطالبة الملك بضريبة الايراد العام المستحقة عليه • وكانت هذه الضريبة تقدر بعدة ملايين من الجنيهات • !!

وفى امكاننا ، بغير تجاوز للحقيقــة ، ان نعتبر ان « سنة ١٩٥١ » كانت بداية النهاية بالنسبة « للوفد » وبالنسبة للملك معا • اذ راح الوفد ، من جهته ، يوافق — بغير قيد ولا شرط — على كل طلبات « فاروق » ، وعلى كل رغباته ، مهما كان فيها من مخالفات للدســتور ، وللقانون ، وللاصول • الامر الذى افقد الوفد جزءا كبيرا من رصيده ، ان لم يكن كل رصيده ، باعتباره القــوة الشعبية التى كانت قادرة على الوقوف ، بحزم ، فى وجه الملك ، وفى وجه ما كان يبديه من طلبــات ورغبات • خاصة وان القسم الاكبر من هذه الطلبات ، أو الرغبات ، لم يكن يستند لا الى حق ، ولا الى قانون ! • !

اما من جهة « الملك » ، فليس من شك فى ان مسارعة

« حكومة الوفد » الى تلبية رغباته وطلباته غير المشروعة ، على هذه الصورة من المسارعة التى لم يكن هو نفسه يتوقعها منها ، قد زادته سعاراً ، وفتحت شهيته لكل ما هو ليس من حقه . سواء كان ذلك فى الرغبات التى راح يبديها ، أو فى الطلبات التى راح يطلبها ، أو حتى فى القرارات الكبرى التى راح يصدرها من ورائها ، وبغير علمها !!

وقد ادى ذلك كله الى تزايد حجم السخط عليه ، والكراهة له ، واستعجال يوم الخلاص منه .

وهناك رأيان فى تفسير مسارعة حكومة الوفد ، فى سنة ١٩٥٠ ، الى تلبية جميع رغبات الملك ، وجميع طلباته ، على هذا النحو الذى بيناه .

● رأى يقول بأن « الوفد » كان يفعل هذا لانه كان حريصا على ان يشترى بقاءه فى الحكم ـ اطول مدة ممكنة ـ باى ثمن ، وبكل ثمن ، حتى يعوض ما فاته خلال الفترة الطويلة التى اقصى فيها عن الحكم . ومن ثم ، اختار سبيل الملاينة .. والمسايرة .. والموافقة على اى شىء ، وسيلة لتحقيق هذا الهدف .

● ورأى ثان يقول بان الوفد كان يقصد من مسارعته الى تلبية رغبات الملك ، الى تعريته ، واضعافه ، بحيث يستشعر حاجته الدائمة الى وجود « الوفد » بجانبه ، بوصفه قوة شعبية قادرة على ان توفر له برغم كل شىء ، قدرا من تأييد الجماهير بحمله ـ أى الملك ـ على الحرص عليه ، فلا يستغنى عنه بالسرعة التى اعتاد ان يستغنى عنه بها .

والرأى الاول ، فى تقديرى ، هو الصحيح . لانه يتفق تماما ومنطق الاحداث التى جرت خلال السنتين اللتين حكم فيهما « الوفد » حكمه الاخير . فلو ان « حكومة الوفد » كانت تقصد ، حقيقة ، الى تعرية الملك ، والى اضعافه ، كما يقول بذلك اصحاب الرأى الثانى ، لما دخلت مع الذين كانوا يهاجمون الملك ، ويعرونه ، ويكشفون للناس عن فضائحه ، وفساده ، تلك المعركة

الحامية التى بدأتها فى مجلس الشيوخ ضد « مصطفى مرعى » ، وزملائه ممن وقفوا بجانبه يدعمون وقفتـــه التاريخية من الملك ، وفساده . ولما طاردت « الصحف الحرة » ، « والكتاب الاحرار » ، بكل ذلك العنف الذى راحت تطاردهم به ، والذى تمثل فى مصادرة الصحف واحدة تلو اخرى .. وفى تقديم « الكتاب الاحرار » الى المحاكمة مرات ، ومرات . ولما جاوزت ذلك كله الى حد التفكير فى الغاء « مجلس الدولة » ، لانه – اى مجلس الدولة – كان ينصف « الصحف الحرة » و « الصحفيين الاحرار » ، عندما كانوا يحتكمون اليه من عُسف الحكومة بهم . !

والحق ان دور « الصحافة الحرة » ، ودور « الكتاب الاحرار » فى تلك المرحلة الخطيرة من تاريخنا ، جدير بأن يسجل لها ، ولهم فى انصع الصفحات – بأحرف من نور . فلقد كانت هى – أعنى « الصحافة الحرة » – وكانوا هم – أعني « الكتاب الاحرار » – اول من علق الجرس فى رقبة القط » .. اول من صرخ باعلى الصوت في وجه الطغاة .. اول من رفع المعول الذي هدم المعبد على رؤوس كهنته .

وبسبب هذا كله .. بسبب هذه الوقفة المجيدة التي وقفتها « الصحافة الحرة » ضد الطغاة والطغيان ، راح الملك .. ومن ورائه حكومته ، يكدحون اذهانهم بحثا عن « قيد من حديد » يغللون به اقدامها ، ويقيدون به خطاها.. لكنهم لم ينجحوا . لانها كانت قد صارت اقوى منهم .. واشد بأسا من « الحديد » الذى فكروا فى ان يصنعوا منه قيدا يغللون به اقدامها ، ويقيدون به خطـــاها . وسوف نصل الى هذا الدور المجيد – تفصيلا – فى موضعه من تسلسل الاحداث .

استهل « فاروق » سنة ١٩٥١ ـ وهي السنة التي اعتبرناها بداية النهاية ، بالنسبة له ٠٠ وبالنسبة لحكومة الوفد معا ـ استهلها بتلك السقطة البشعة التي تمثلت في قبض مرتبه لمدة سنة ، مقدما ، وتحويله الى دولارات ٠ وارساله الى امريكا لايداعه باسمه في احد بنوكها !!

ثم ما كاد شهر فبراير من تلك السنة يحل ، حتى كان الملك قد اتبع تلك السقطة البشعة بسقطة خلقية جديدة اكثر بشاعة من سابقتها !

لقد اراد ان يتزوج ٠٠ فلم يجد بين فتيات اسرته جميعا ، ولا بين فتيات مصر كلهن من تصلح للزواج منه غير فتاة كانت مخطوبة ، بالفعل ، لرجل آخر ٠٠ ! وكان الامر قد جاوز بالفتاة ، وخطيبها ، مرحلة الخطبة الى تحديد يوم الزواج ، وتوزيع بطاقات الدعوة اليه على أصدقاء الطرفين ٠

كانت « ناريمان صادق » ـ كريمة حسين فهمى صادق « بك » ٠٠ سكرتير عام وزارة المواصلات وقتئذ ـ ـ وهى الفتاة التى اختطفها « فاروق » من خطيبها ـ قد ذهبت ، بصحبة والدتها ، الى محل « احمد نجيب الجواهرجى » لتختار « خاتم الزواج » ٠ فلما رآها صاحب المحل ـ وكان واحدا من كثيرين كلفهم الملك بالبحث عن فتاة تصلح زوجة له ـ راقت فى عينيه كزوجة لفاروق ٠ فعمل على عودتها فى اليوم التالى الى محله ٠٠ وفى الموعد المحدد ، كان « فاروق » هناك !!

رأى الملك « ناريمان صادق » فى محل الجواهرجى ، فاعجبته ٠ ولعلها لم تعجبه الا لانها كانت مخطوبة لرجل آخر ٠ فلقد كان « فاروق » مجنونا بالسطو على ما يملك الاخرون !!٠

وعلى ذلك ، صدرت « الارادة الملكية » ـ الى والدى « ناريمان صادق » بفسخ الخطبة القديمة ، وبرد دبلة

الخطوبة الى صاحبها ·· ثم اعلن « فاروق » على الناس انه خطب « ناريمان » لنفسه · !!

ولم يسع الناس - حين ترامت اليهم تفاصيل هذه الخطبة الملكية ، وملابساتها - الا ان يزدادوا احتقارا لهذا الملك الذي سولت له نفسه ، اعتمادا على سلطانه كملك ، ان يخطف فتاة من خطيبها · فقد كان ذلك العمل جديراً بان يجلب الاحتقار لاى رجل عادى يقدم عليه · فما بالك اذا كان من أقدم على ذلك العمل الصغير ، والحقير معا ، هو الملك الذى يفترض فيه ان يكون قدوة للاخرين ، فى كل ما يصدر عنه من تصرفات ، وفعال ؟!

وبينما كانت « ناريمان صادق » ماضية فى استعدادها للذهاب الى القصر الملكى ، فى السادس من مايو سنة ١٩٥١ - وهو اليوم الذى تحدد كموعد لزفافها الى الملك - صدرت « اللواء الجديد » فى الرابع والعشرين من ابريل ، وعلى صفحتها الاخيرة مقال كتبه : « احمد شوقى » ·· جعل عنوانه : « الملكة فى طريقها الى المقصلة » · !!

كان المقال يعنى « مارى انطوانيت » ·· ملكة فرنسا · لكن عنوان المقال ، وتوقيت نشره ، كانا يعنيان « لملكة مصر » الشىء الكثير ·

ويهمك ، ولا شك ، أن تعرف ان تكاليف حفلة زفاف « ناريمان » الى « فاروق » بلغت ٤٨٣ر٧٣ جنيها !! كما بلغ ثمن الملابس التى اشترتها الملكة الجديدة ، من ايطاليا ، ٥٥٠٥ جنيه · اما فستان الزفاف وحده فقد بلغت تكاليفه ٥٠٠ جنيه !! وكل ذلك باسعار تلك الايام طبعا ؟

***

ولقد تصور بعض الناس - ولعلها كانت امنية يرجونها - ان يكون زواج الملك ، بداية جديدة لعهد جديد يبدأه « فاروق » فى حياته الخاصة ، وفى

حياته العامة على السواء . ولم يكن هناك ما هو اشد بعدا عن الحقيقة من هذا التصور . ذلك لان « الفساد » كان قد سرى فى دماء « فاروق » مسرى السرطان فى الجسد . ولقد يهدأ السرطان احيانا ، ولعله قد يستكين، احيانا اخرى ، استجابة للعلاجات المخففة . لكنه ، ابدا لا يبرح الجسد الذى انشب فيه مخالبه الا بالاجهاز عليه .
ومن هنا لم يكن غريبا ان يرى الناس ان حياة « فاروق » الخاصة ، والعامة ــ بعد زواجه الثانى ــ لم تكن الا استمرارا ، امينا ، ودقيقا ، لحياته قبل الزواج . ولو ان « فاروقا » كان مستعدا ، حقا ، لان يصلح بالزواج ما فسد من امره ، لفعل ذلك وهو مرتبط بزوجته الاولى « الملكة فريدة » .. لكن الذى حدث هو ان الفساد اخذ ينهشه نهشا « قاسيا » خلال الفترة التى كان مرتبطا فيها بهذه الزوجة الفاضلة التى توفر لها من الاحتشام ،ومن لاخلاق ، ومن عراقة الاصل ، ما جعلها تحاول جاهدة ، وصادقة ، ومخلصة ان تنقذه من براثن ذلك الفساد الذى اخذ ينهشه . فلما لم تنجح محاولاتها ، ابت عليها كرامتها ان تستمر فى العيش هى وذلك الزوج الفاسد تحت سقف واحد . وفضلت ان تسترد حريتها ، وتعود ـدة عادية من عامة الناس ، على ان تعيش ملكة متوجة ـ ملكى يزحف عليه الفساد من كل جانب .

داخل قصر ... ان القضية اولا ، وآساسا ، انما كان « فاروق » فاسدا بطبعه
وفى هذا تاكيد ... . كذلك لم يستطع احد
هى قضية « طباع » . واد ... الايمان ــ بعض
فان احدا لم يستطع ان يصلحه .
ان يحمله على ان يضع ــ فى اضعف
القيود على فساده !

على ان « فاروقا » لم يكن ملكا فاسدا فحسب . بل

كان ، اصلا ، « انسانا عاقا » بكل ما فى « العقوق »
من قسوة ٠٠ ومن ظلم ، وظلام !!

ولقد بدا « فاروق » كانسان عاق ـ بنفسه ، فعقها اقسى عقوق
حين اوردها ـ بكل القسوة واللامبالاة ـ موارد التلف والضياع ٠٠
وكانه مسلط عليها ، او كانه مكلف من الشيطان ـ تكليفا ـ بذلك ،
ومن ثم ، كان طبيعيا للغاية ان نجده « زوجا عاقا » بزوجته الاولى
التى تزوجها عن حب ، وعاقا بزوجته الثانية التى تزوجها عن
سطو ٠٠ فلا يتردد ان يجرح هذه ، وتلك ، فى كرامتيهما ، وفى
انوثتيهما ، اعمق الجراح بمصاحبته للساقطات من النســـاء ،
وبـ ائعات الهوى فى عرض الطريق ، او فى جانب الطريق ، لا فرق
ـ بلا اية مراعاة ، وبلا اى حرص على مشاعر احداهمـــا تلو
الاخرى !٠

كــــذلك كان فاروق « ملكا عاقا » انزل بشعبه ، اقسى الوان
العقوق ، حين راح يستلبه ماله ، وكرامته ، ويجر عليه بفضائحه ،
وباستهتاره ومجـ ونه ـ ذلك العار الذى جعل الشعب محل سخرية
الساخرين ، وهز الهازئين !!٠

كذلك كان فاروق « قائدا عاقا » ٠ افرغ فى جيشه اسود ما لديه
من عقوق ، حين امره ، فى سنة ١٩٤٨ ، بدخول حرب فلسطين
بغير ادنى استعداد لها ، ارضاء لشهواته من ناحية ، وامتثـــالا
لاوامر اسياده الانجليز من نـ احية اخرى ٠ فمن المؤكد ان «فاروقا»
لم يامر الجيش بدخول تلك الحر ب الا تنفيذا لرغبة الانجليز الذين
ربما يكونون قد صارحوه برغبتهم هذه مباشرة ٠ وربما يكونون
قد تركوها لعملائهم الـــذين يتوهم من حوله ، ومكنوا لهم من
ركوب اكتافه ، لكى يتولوا اقناعه بتنفيذ ما ، فيتحقق للانجليز من
ورائها عدة اهداف ، لا هدف واحد ؛ منها ، اولا ، تحطيم الجيش٠
ومنها ، ثانيا ، اضاعة ثقة الشعب بنفسه ، وبـ جيشه ٠ ومنهـــا ،
ثالثا ، اضاعة ثقة الشعوب العربية بزعامة مصر ٠ ومنها رابعا ،
ترسيخ اليقين عنـــد « فاروق » نفسه بانهم ـ اعنى الانجليز ـ
لايزالون هم القوة الوحيدة التي باستطاعته الاعتماد عليها ،
والاحتماء بها ٠

ولقد كان « فاروق » بعد هذا كله ، او قبل هذا كله
« ابنا عاقا » ٠٠ عق امه اشد عقوق حين لم يفكر في
السؤال عنها ، وهي طريحة الفراش في احد مستشفيات

امريكا اثر جراحة خطيرة اشرفت خلالها على المـوت . صحيح ان سلوك هذه الام نفسها كان شائنا . ولكن ،هل كان «فاروق» نفسه شريفا ، أو عفيفا ، حتى يمكن القول ان عدم سؤاله عنها كان مرجعه الى غضبه من سلوكها ، وليس الى ما تأصل فيه هو من عقوق ؟!

ولقد كشفت « الملكة نازلى » عن حجم هذا « العقوق » الذى كان محتشدا داخل اعماق ابنها ، فى حديث لها مع صحفى ممن كانوا ملتصقين به ، وبها .. وكان قد ذهب اليها فى امريكا فى محاولة لمصالحتها مع ابنها ـ كشفت الام عن المدى الذى وصل اليه عقوق « فاروق » كابن ، حين قالت له :

ـ قد يعتذر « فاروق » بانه مشغول . قد يعتذر بان امور الدولة قد أنسته كل شىء حتى امه . وكنت على استعداد أن اقبل هـذا العذر ، فكل أم تبحث لابنائها عن اعذار وهمية تستر بها تصرفاتهم. ولكن « فاروقا » لم يكن له عذر . فقـد كان يتكلم يوميا مع مستشفى « مايوكلينك » حيث كنت أرقد . ولـكنه لم يكن يتكلم معى ، ولا مع أخته الأميرة فايقة ، ولا مع اخته الاميرة فتحية ، ولا مع كبيرة الممرضات ، ولا مع الطبيب الـذى كان يعالجنى . وانما كان يتحدث مع « السيدة ناهد رشاد » .. فقد كانت «ناهد» تجرى عملية جراحيـة فى نفس الوقت الـذى كنت أجرى فيه عمليتى ، فكان « فاروق » يتحدث يوميـا معها مستفسرا عن صحتها !. ولم يفكر فى أن يحدثنى ـ انا امه ـ فى التليفون مرة واحدة !!.

« وكانت الممرضات يجئن الى ، ويقلن لى : ان الملك كان يتحدث الان ، مع « ناهد » فى التليفون . وكنت أحاول أن أدافع عن كرامة ابنى .. فكنت ادعى ، كذبا ، انه كان يتحدث مع « ناهد رشاد » مستفسرا عن صحتى لانه لا يريد أن يتعبنى ، ويخشى أن تتأثر صحتى عندما اسمع صوته يحدثنى من وراء البحار ، وانا راقدة على فراشى ، بين الحياة والموت !!.

« ولم اغضب على « ناهد رشاد » بسبب ما كان يحدث ، بل لقد حرصت أن اقوم بالواجب معها بصفتها « وصيفة الملكة » ، فى

الوقت الذي كنت أعرف فيه انه ليست هناك ملكة لتكون لهـــا وصيفة ؟!!

***

انسان هذه هي جميع جوانب صورته • كان مستحيلا ان يكون هناك أقل امل في ان ينزل نفسه ، ولا في ان ينزله الاخرون ، من فوق ظهر ذلك « الحصان الوحشى » الذى ركبه ، وراح يعدو به ، فى سرعة مجنونة ، على طريق الهاوية • !

ومن هنا ، كانت سنة ١٩٥١ ــ على الرغم من زواجه الثاني ــ استمرارا لكل ما كان قبلها •• كمـــا كانت اتصالا بكل ما جاء بعدها • !

فما كاد يتم فى السادس من مايو من تلك السنة ، زواجه من « ناريمان » حتى اصطحبها معه على ظهر اليخت الملكى : « فخر البحار » ، متوجها الى « كابرى » ليقضيا بين مغانيها •• شهر العسل • !!

ولـكن « فخـر البحـار » ما كاد يلقى مراســيه « بكابرى » ، حتى كان « فاروق » قد نسى كل شيء ••• نسى نفسه ، ونسى عروســه الجــديدة ، ونسى « شهر العسل » ، ونسى كل نذر الخطر التى حملتها له سنة ١٩٥٠ ، وراح يصل ما كان قد انقطع بعودته الى مصر في منتصف اكتوبر من تلك السنة •• عاد مرة اخرى ــ وبسعار اشد ــ الى القمار : والى الغوانى ، والى الفضائح التى كانت صحف العالم كله قد تعودتها منه ، وغودت عليها قراءها •• !!

واذ كان لرحلة « فاروق » هذه قيمة خاصة ، فقيمتها فى انها كانت تأكيدا قاطعا على انه قد باع نفسه للشيطان بيعا كاملا ، وانه كان عازما ــ عزما اكيدا ــ على الا يسترجع نفسه من بين أحضان الشيطان •• مهما ارتفع

من حولة الموج ·· وتفاقمت النذر ·

وما من شك في ان المأساة الحقيقية في حياة هذا الملك ، هى انه افتقد في جميع المحيطين به ـ ومنذ ان رأت عيناه النور ـ النجم الذى يمكن ان يهديه · وحين لاح له هذا النجم ، لبعض الوقت ، فى صورة زوجته الاولى ·· الملكة فريدة ·· ما لبث ـ بحكم ما ورث من طباع ـ ان ضاق به ·· واشاح بوجهه عنه ، فى تصميم شيطانى ، على ان يضل ، وان يغوى ·· !!

وبينما كان « فاروق » يفرغ على شواطىء «كابرى» وتحت اقدام غوانيها ، وفى قلب مراقصها وملاهيها ، كل ما لديه من غى ، ومن ضلال .. كان الشعب هنا يسمع ، ويعجب ، ويسائل نفسه : أهذا ممكن ·· ؟! أيستطيع ذلك الرجل ان يتجاهل ـ فى استهتاره الاعمى ـ كل تلك النذر التى أخذت ترعد على طريقه ، ويعيش رحلته هذه بنفس الجنون الذى عاش به رحلته السابقة·؟!

واخذت صحف العالم تتولى الـرد ، اولا بأول ، على ما راح الشعب يسائل به نفسه :

● « ففى أول يوليو سـنة ١٩٥١ ، نشرت صحيفة « امبايرنيوز » رسالة لمراسلها الخاص « نورمان برايس » الذى كان ، وقتئذ ، موجوداً فى كابرى . جاء فيها :

« لم يحدث فى تاريخ العالم ، أن تعرض ملك لمثل ما تعرض له ، « فاروق » من حملات النقد والتجريح · فهو متهم بانه طاغية يحيط نفسه بجو فاسد مفضوح · وهو متهم بانه خطف زوجته الجديدة « ناريمان صادق » من بين ذراعى خطيبها · وهو متهم بانه طلق زوجته السابقة « فريدة » لانها لم تلد له ولدا · وهـو متهم بانه مقامر سفيه · ولايكاد يمضى يوم دون ان يتلقى «فاروق» سيلا من الرسائل المقذعة المهينة ـ واكثرها من انجلترا ـ وقـد سمح لى « فاروق » بالاطلاع على بعضها ، وقرات فى احداها ، وكانت من مواطن بريطانى من « مانشستر » ما يلى : اذا حدثتك نفسك بالقدوم الى انجلترا ، وحاولت ان تمنعنى من التقاط صورة

لكتك ، فانى سالقنك درسا لن تنساه » !!

وكتبت جريدة « صنداى اكسبريس » بتاريخ ٢٩ يوليو سنه ١٩٥١ ـ تقول :

« لم يسبق للعصور الحديثة أن شهدت مثل هذا البذخ والاسراف اللذين شهدهما خلال الشهرين اللذين انقضيا على شهر العسل الذى يمضيه « الملك فاروق » مع عروسه !٠

« ففى كل يوم مضى ، منذ أن غادر اليخت « فخر البحـــار » المياه المصرية ، خرجت الوف من الجنيهات من جيب الملك لاحاطة فاروق وزوجته بمظاهر الترف والابهة !!٠٠

« ولا تشمل هذه الالوف التى تنفق كل يوم ، بغير حســاب ، مبلغ الـ ٧٠٠ الف جنيه التى دفعها « فاروق » ثمنا لقطار خاص ، امر بصنعه ، فى مصانع « تورين » ، كما انهـــا لا تشمل مبلغ الـ ٥٠٠ الف جنيه التى دفعها لبناء يخت جديد يحل محل « فخر البحار » !!٠٠

ومضت « الصـــنداى اكسبريس » فى وصف حياة السفه واللامسئولية التى كان يحياها « ملك مصر » التى كانت الغالبية العظمى من ابنائها الفلاحين والعمال يتضورون جوعا ـ قائلة :

٠٠« ولقد بدأ هذا السيل المتدفق من الاموال فى يوم ٧ يونيو ، عندما وصل اليخت الملكى الى « تورمنيا » بصقلية ، حيث نزل « فاروق » وأفراد حاشيته بفندق « سان دومنكو » ٠ وكان هـذا الفندق رخيص الاجر نسبيا ٠ فقد دفع « فاروق » تسعمائة جنيه نظير اقامته به لمدة ستة أيام فقط ، انتقل بعدها الى « كابرى » !

● وتتـولى جريـدة « الديلى امريكان » عن جـريدة « الصنداى اكسـبريس » ـ سـباق بين الصـحف ـ وصف وصول « فاروق » الى « كابرى » ، وحيـاته فيها ، بقولها :

« استأجر « فاروق » فندق « قيصر اغسطس » بأكمله ٠ ويتكون هذا الفندق من ١٥٠ حجرة ، أجرة المبيت فيها ١٢٠٠ جنيه عن الليلة الواحدة ٠ غير نفقات الاقامة والاكل ٠ وقد دفع « فاروق »

ـ فى عشرين يوما ـ ٠٠٠ر٢٤ جنيه نظير المبيت فقط !!

● وتدلي مجلة « باراد » بدلوها فى ذلك السباق الصحفى الذى كان دائرا على اشده حول حياة ذلك الملك الضليل ـ فتقول :

« يقضى الملك فاروق فى أوربا أعظم « شهر عسل » عرفه القرن العشرون . وفى كل ليلة .. وبينما زوجته الصغيرة تنام نوما هادئا فى فندق « كارلتون » يكون هو غارقا الى اذنيه فى لعب « البكاراه » و « الروليت » ... وفى دفع آلاف الدولارات الى المائدة . وهو يقول ضاحكا : الناس يقولون أننى أخسر أموالا كثيرة فى اللعب . ولكنى املك اكثر مما يتصورون .. !!

وتضيف المجلة :

« لقد خسر الملك ، فى تسع ليال فقط ، مبلغ ثلثمائة الف دولار . اما نفقاته ، على هذا النحو . خلال ثلاثة شهور ، فهذا ما لا يمكن احصاؤه . ولقد اصبح مالوفا ، فى اوربا كلها ، منظر هذا الملك الذى لا يعنيه سوى قضاء أوقات بهيجة يدفع ثمنها ملايين التعساء من ابناء مصر » !!.. (١)

***

هذا قليل من كثير .. كثير جداً .. راحت صحف أوربا ، وامريكا ، يسابق بعضها بعضا فى نشره عن ذلك الملك الذى بلغ من الجنون ، ومن السفه ، ومن التحدى لمشاعر الشعب حدا لم يصل اليه « شارل الاول » ملك انجلترا ، الذى شنقه شعبه .. ولا « لويس السادس عشر » ، ملك فرنسا الذى أجتثت « المقصلة » عنقه ، ومعها عنق زوجته « الملكة مارى أنطوانيت » .

---

(١) قدرت تكاليف شهر العسل بألف جنيه لليوم الواحد، وقد استمر « شهر العسل » هذا ١٣ اسبوعا .. !!! وبذلك يصبح هذا الشهر اطول شهر فى التاريخ !!..

ولم تكن « الصحف الحرة » فى مصر ، بعيـدة عن متابعة فساد الملك ، ومباذلة ، ومجونة . لكنها – من خلال الرقابة الصحفية الصارمة التى كانت مفروضة عليها ، خاصة بالنسبة لاخبار الملك – لم تكن قادرة على المشاركة فى ذلك السباق الصحفى المحموم الذى كان دائرا بين صحف أوربا ، وامريكا ، حول مباذل الملك ، الا انها فى حدود قدرتها على اختراق تلك الرقابة الصارمة ، كانت تفعل المستحيل لكى تساعد الشعب على أن ينفذ بعيونه من خلال ذلك الضباب الكثيف الذى اريد أن يكـون « حجابا حاجزا » يحـول بين الشعب وبين اطلاعه على ما يقترفه ملكه من فساد ومجون . !

ففى ٢٨ اغسطس سنة ١٩٥١ – نشرت «روزاليوسف» تحت عنوان : « قيصر السينما يلعب القمار سـبع ساعات » الخبر التالى ، من مراسلها فى « مونت كارلو » .

« يتحدث الناس فى « مونت كارلو » .. وفى « كان » .. وفى كازينو « بالم بيتش » عن شخصية مستر « داريل زانوك » المنتج السينمائى الامريكى ، الملقب « بقيصر السينما » .

« وقد حدث أن كان « مستر زانوك » يسير فى احـدى الطرقات الجميلة المؤدية الى الشاطىء ، حينما التقى بشخصية مصرية كبيرة . ودار بينهما ، بالحرف الواحد ، الحديث التالى :

« قالت الشخصية المصرية :

– الى أين انت ذاهب ؟

فقال « زانوك » :

– لماذا ؟!

– أريد أن أرافقك ..

– ولماذا ؟

– الديك اعتراض على ذلك ؟

– من انت أولا ؟

– انا فلان ..

– آه .. لقد سمعت عنك .. وقرأت عنك ايضا .

– اذن تعال ...

« وركب الاثنان في سيارة « كاديلاك » فاخرة ٠٠ ثم اتجها معا الى الكازينو ، وجلسا الى احدى موائد القمار !٠

« ولعب الاثنان القمار سبع ساعات متواصلة ، خسرت فيها الشخصية المصرية عدة ملايين من الفرنكات ، قدرتهـــا بعض الصحف بمبلغ مائة الف دولار !!

« وقد بعثرت الشخصية المصرية ما تبقي معهـــا على بعض الجرسونات والزبائن الـــذين كانوا يصفقون للخـــاسرين المقامرين !! »

***

وفى مكان آخر من نفس العدد ، نشرت «روزاليوسف» الخبر التالى ــ من مراسلها فى « الكوت دازير » تحت عنوان : « الفتاة التى تجلس على اليمين » :

« جاكلين دونى ٠٠ فتاة رائعة الجمـــال ، زارت مصر عام ١٩٤٩ ٠٠٠ عندما كانت ملكة جمال أوربا فى ذلك العام ٠

« وقد صرحت لى « جاكلين » انهـــا سوف تسافر الى مصر قريبا ٠٠ فان لها فى مصر ، كما تقول ، أصدقاء عظاما !

« وجاكلين دونى ٠٠ تجلس الان ــ دائمـــا فى مقعـــد معين لا تبرحه ، ولا تغيره ، ويعد لها بصفة مستمرة ، وهذا المقعـــد على الطرف الايمن من تراس « بالم بيتش » بعيـــدا عن كل الجالسين !٠

« ويحدث في بعض الليالى أن يزدحم الكازينو ، فتضـــطر ادارته الى أن تكتب ورقة عليهـــا اسم « جاكلين دونى » ، وتلصقها بالمقعد حتى لا يجلس عليه أحد غيرها !٠

« وقد أطلق على « جاكلين » اسم : « الفتاة التى تجلس الى اليمين » ٠٠ أو « صاحبة المقعد الثانى » !!

***

ولم تستطع « روز اليوسف » فى حدود تلك الرقابة الصحفية الصارمة التى كانت قائمة ، أن تعطى تفصيلا أكثر ، ولا أن تفصح اكثر .. كانت « الصحف الحرة » تعتمد دائما على ذكاء الشعب الذى كان يقرأ ، ويفهم ، ويزداد يقينا بأنه لا أمل ٠٠ لا أمل مطلقا فى ذلك الملك الذى

راح يقدم له فى كل يوم الدليل تلو الدليل ، على أنه عقد مع « الشيطان » صفقة باع له فيها نفسه ... وانه لايريد، بوصفه ملكا!! ان يرجع فى كلمة قطعها «للشيطان» على نفسه .. ! !

اما ندماء الملك .. وضيوفه الى ليالى « الف ليلة وليلة » التى اعادها « فاروق » ، من جديد ، الى قلب أوربا .. فقد كانت « الصحف الحرة » قادرة ، دائما ، على تناول اخبارهم بصراحة لم تكن تستطيعها بالنسبة لاخبار الملك نفسه .

ففى العدد التالى لذلك الذى نشرت فيه «روزاليوسف» من اخبار الملك الخبرين السابقين .. نشرت المجلة لمراسلها فى « كان » الخبر التالى ، تحت عنوان بعرض الصفحة يقول : « المصريون يتبرعون بثلاثين الف جنيه لفقراء فرنسا ! » :

« شهدت مدينة « كان » فى الاسبوع الماضى ، أروع حفلة خيرية فى هذا العام . وقد قامت الفتيات الجميلات بجمع التبرعات لمساعدة الهيئة الخيرية التى اقيمت الحفلة لحسابها .

« ولقد تجلى الكرم الشرقى فى أروع صوره . ولم يحدث أن أحدا من الفرنسيين أو من كبار المصطافين ، تبرع لهذه الهيئة بمثل ما تبرع به المصريون !!.

« فقد تبرع محمد سلطان (باشا) بعشرة آلاف جنيه !!. كما تبرع (الامير) سعيد طوسون بسبعة آلاف جنيه !!. أما الهامى حسين (باشا) فقد تبرع بخمسة عشرة الف جنيه ، ثم عاد فتبرع بثلاثة الاف جنيه أخرى !!.

« وبعد ان جمعت هذه التبرعات من كبار المصريين الذين كانوا اكثر حماسة لجمع هذه التبرعات من الفتيات القائمات بهذا العمل .. وقف « مصرى كبير » يناشد الموجودين فى الحفلة أن يمدوا يد المعونة لاسعاد فقراء فرنسا ، ثم قال مازحا : « مساكين الفقراء فى بلادنا ، ان احدا لا يعطف عليهم » !!.

« وقالت احدى السيدات معقبة على قول « المصرى الكبير » : « لا أظن ذلك ، فان الذين يعطفون على فقراء بلاد اخرى بمثل

هذا السخاء ، لابد أن يكونوا اكثر عطفا على بني جنسهم » !!.

« وحدث أن اعتذرت احدى السيدات عن التبرع لانهـــا في انتظار أن تصلها اموالها في اليوم التالي . ولكنها اتجهت الى احد المصريين الكبار وطلبت اليه أن يقرضها الف جنيه ، ففعل .

« وحين ارادت السيدة ، في اليوم التالي ، أن ترد للمصرى الكبير هذا المبلغ ، رفض قبوله ، قائلا : « انه هدية مني لك » !!

وتحت هـــذا « الخبر » الـــذى بعث به مراســـل « روز اليوسف » من مدينة « كان » حيث كان يعيش « فاروق » ، واصفياؤه ، وندماؤه . وحيث كان الجميع ، وهو على رأسهم ، يبعثرون الاموال بمئات الالوف على « موائد القمار » ، وتحت أقدام الغـوانى ـ نشرت المجلة « خبرا » آخر كان له مغزاه الاليم ، والمرير ، خاصة حين أن يقرأه القارىء في ضوء ذلك الخبر المفجع الذى كان يعلوه في نفس الصفحة . كان الخبر الاليم يقول :

« ان مرعى حماد احد أبطالنا الذين فازوا بعبور المانش في تلك السنة ، بحث مع الدكتور صبرى (بك) المشرف على بعثـــة هؤلاء الابطال ، عن مبلغ خمسين جنيها لكى يعطيها لقائد الزورق الذى كان يرافقه في رحلة العبور ، بعد ان وعده بذلك أن هو فاز بالسباق . ولكن البطل لم يجد في جيب الدكتور صبرى (بك) غير أربعين جنيها فقط .. !! وكان عنوان الخبر : « بطل المانش يبحث عن ٥٠ جنيها » .. !!

وهكذا كانت « الصحافة الحرة » تخوض معركتهـــا ضد « فاروق » ، وفســـاده ، ونظامه . ليس فقط « بالكلمة » التى كانت تهز مصر من أعماقهـــــــا . بل و « بالخبر » ، وبالصورة ، وبالرسم الكاريكاتورى ، وبالرمز .. وبكل ما كان في وسعها أن تصنعه .

وإذ احس الطغاة بالارض تميد من تحتهم .. فقـــد مضوا يبحثون « للصحافة الحرة » عن « قيـــــد من حديد » .. قيد يغللون به اقدامها ، ويقيدون خطاها .

... وبدأت معركة من أعنف المعارك ..

الفصل السابع

أول هزيمة للملك!

قذفت « الصحف الحرة » بنفسها فى طريق قوى الشر الهائلة والمتحالفة : الملك ، والفســاد السياسى ، والظلم الاجتماعى ، والعبث ، والفوضى .

ولم يكن عدد « الصحف » التى قذفت بنفسها فى طريق هذا المارد الجبار كبيرا . كانت لا تزيد عن خمس ، او ست : « روزاليوسف » . « اللواء الجديد » . « الاشتراكيــة » . « الدعوة » . « الكاتب » . « الملايين » .

كذلك لم يكن عدد (الكتاب الاحرار) الذين راحوا يخوضون المعركة ضد هذا المارد الجبار نفسه، كبيرا . كان عددهم ، فى احسن الفروض ، لا يزيد على عدد اصابع اليدين . كانوا مجرد « فصيلة صغيرة » من فصائل الطليعة .

ولكن اثرهم .. اثر كلماتهم التى اخذت تهز مصر من اعماقها هزا عنيفا ، والتى قدمت فيما سبق — ولا يزال امامى أن أقدم نماذج منها — كان يعادل اثر فرقة كاملة مدججة بالسلاح .

وكما قذفت (الصحف الحرة) بنفسها فى طريق ذلك المارد الجبـــار ، بغير ادنى اكتراث بكل ما بين يدية من ادوات البطش والتنكيل . كذلك قذفت هذه (الفصيلة

الصغيرة) من « الكتاب الأحرار (بنفسها فى طريقه بايمان هائل ، وشجاعة مذهلة..غير عابئة بجنوده ، ولابسجونه، ولا بكبريائه ، ولا بعجرفته الناشئة عن تجرده الكامل من اى مبدأ ، ومن كل مبدأ .

وحين بدأت هذه المعركة التى اخذت ــ منذ اللحظة الاولى ــ لونا من أشد ألوان العنف ، بين (الصحف الحرة) التى أريد قتلها ، وبين الحكومة التى اريد لها أن تقوم بدور القاتل ــ كان الملك .. وندماؤه من اصحاب الملايين المصريين الذين تبرعوا فى حفلة واحدة بأكثر من ثلاثين الف جنيه (لفقراء فرنسا) ! ! ، بينما الملايين من ابناء شعبنا يتضورون جوعا .. كان الملك ، وهؤلاء ، لا يزالون هنـــاك .. كانوا لا يزالون فى « كابرى » .. وفى « الريفييرا » .. يصطافون ، ويمرحون ، ويرقصون ، وما دروا انهم كانوا يمرحون فوق فوهة بركان ، ويرقصون على البارود ! .

ومن « كابرى » .. حيث كان الملك لا يزال يرتع ، ويلعب ، ويريق الملايين من أموال الشـــعب فوق موائد القمار ، وتحت اقدام الفوانى ــ جاءت « الاوامـــر » لحكومته فى القاهرة ، لكى تخلصه من هذه « الصحف الحرة » ، ومن أولئك « الكتاب الاحرار » . وذلك بأن تبحث لهم ، ولها ، عن « قانون جديد » .. عن « سيف جديد » .. يجهز عليها ، وعليهم .

ولم تتردد « حكومة الملك » فى القاهرة ، ولم يتوان فى تنفيذ « الاوامر » التى جاءتها من « كابرى » .. حيث كان الملك لا يزال يرتع ، ويلعب . بل لقد بادرت، على الفور ، الى صنع ذلك « القيد » الذى اراده الملك مصنوعا من حديد .. !

ولم يكن « القيد » الذى بادرت الحكومة الى صنعه ،

تنفيذا لمشيئة الملك ، هواول القيود الضاغطة التي وضعتها على حرية الصحافة ، وحرية الصحفيين . ولكنه كان اقساها . لانه كان يلغى هذه الحرية الغاء ، ويجعل منها حقيقة لا مجازا ، جزءا لا يتجزأ من الدستور فاذا ذكرنا أن الدستور كان قد تحول ، من خلال عبث الملك به . واعتداءاته الصارخة عليه ـ وهو العبث ، والاعتداءات التى قبلتها منه جميع الحكومات ، وليس حكومة الوفد وحدها ـ الى مجرد حبر على ورق ، لوجدنا ان تحول حرية الصحافة الى ما تحول اليه الدستور نفسه ، وهو الاصل ، كان أمرا طبيعيا لا يثير الدهشة . وان اثار ، بطبيعة الحال ، المقاومة .. اشد المقاومة .. بعد اذ اصبحت « الصحف الحرة » هى الرئة الوحيدة التى بقيت للشعب لكى يتنفس منها .. وكان لابد للشعب من ان يظل يتنفس لكى لايموت .

لم يكن « القيد » الجديد ـ كما ذكرنا ـ هو اول القيود التى وضعتها «حكومة الوفد» فى اقدام الصحف . وفى اقدام الصحفيين . فمن قبله ، اصدرت هذه الحكومة قانونا يحظر على الصحف نشر « اخبار الجيش » . ثم تبعته ، في اغسطس سنة ١٩٥٠ ، بقانون آخر يحظر نشر « اخبار القصر » .. سواء أكان ذلك عن طريق : « الكلمة » او « الرسم » او « الرمز » ، او « الصورة » ... الا بعد استئذان وزير الداخلية . !! على ان يعاقب من يخالف ذلك بالسجن ستة شهور . !!

وجدير بك أن تعرف ان هذا « القيد » ، أو هذا « السيف » الذى علقته الحكومه فوق اعناق الصحف ، وفوق اعناق الصحفيين ، لم تبادر الى صنعه الا « حماية للاسرة الكريمة ـ أسرة محمد على ـ وما لها من مقام ممتاز فى البلاد !! » ـ على حد قول الحكومة فى المذكرة

الايضاحية التى ارفقها بمشروع القانون .. وزير العدل بالنيابة .. « فؤاد سراج الدين » . !!

ولقد جاء صدور هذا القانون ، فى اعقاب سلسلة من الفضائح اقترفتها « الملكة نازلى » - والدة فاروق اثناء اقامتها فى امريكا . وكان من ابرز هذه الفضائح ، قيام « الملكة الام » بتزويج ابنتها « الاميرة فتحية » من شاب من غير دينها ، كان يعمل امينا للمحفوظات فى قنصلية مصر بمارسيليا ، قبل تفرغه للعمل فى خدمة « الملكة نازلى » نفسها . ! !

ولقد جرد « الملك فاروق » - نتيجة لهذه الفضائح . وبسببها - جرد أمه ، واخته ، من لقبهما ، وايضا من اموالهما . ولكن ، هل كان معنى هذا « التجريد » . او هذا « العقاب » ، ان فضيحة مخزية لم تحدث .. وان رائحة عفنة لم تزكم الانوف . ؟ ! !

على العكس .. لقد جاء هذا الاجراء ، اعترافا صريحا من جانب الملك بأن الصحافة لم تتجن ، ولم تخترع ، ولم تقل فى حق « اسرته الكريمة ، وما لها من مقام ممتاز فى البلاد ! ! » غير الحق .. كل الحق .. والا فيما كان « التجريد » من المال ، ومن اللقب ، اذا كانت الصحافة هى التى تجنت ، وهى التى اخترعت ، وهى التى نسبت « لصاحبة الجلالة الملكة الام » آثاما ، لم تقترفها . ؟ ! !

فاذا اضفنا الى آثام « الاسرة الكريمة » اثام « رأس الاسرة » نفسه ، ثم آثام « حاشيته » ، واتباعه ، كان لابد - من وجهة نظر الملك التى سارعت حكومته الى تبنيها - من وأد « الصحف الحرة » التى كشفت الناس عن كل هذه الآثام ، والفضائح ، وعرتها ، واذاعتها - بكل وسائل الوأد .. بقانون ، او بغير قانون ، لا يهم ،

وانما الذى كان هاما جدا ، وعاجلا للغاية، هو وأد هـذه الصحف فى اسرع وقت ، وبأى ثمن . ! !

وعلى ذلك ، ففى شهر يوليو سنة ١٩٥١ ــ وهى السنة التى قلنا انها حملت للملك ، ولحكومة الوفد معـه ؛ علامات بداية النهاية ــ كان « فؤاد سراج الدين باشا » يصطاف فى أوربا ، بالقرب من الملك الذى كان يقضى « شهر العسل » الذى امتد ثلاثة عشر اسبوعا !. ومن هناك .. من اوربا.. اتصل «فؤاد سراج الدين» برئيس الوزراء ــ « مصطفى النحاس » ــ وطالبـه بالتعجيل باصـــدار عـدة قوانين كانا قد أصـــدراها فى شهر مارس من تلك السنة ، ثم عادا فقررا تأجيلها . **وكانت هذه القوانين ، المؤجلة ، تقضى بتعـــديل المادة ١٥ من الدستور التى تنص على حرية الصحافة واصدار تشريعات تعطى مجلس الوزراء حق مصادرة الصحف ، وتعطيلها ، بغير الرجوع الى القضاء .. !!**

***

وهنا ... اراني محتاجا ــ قبل أن أمضى الى حكاية هذه التشريعات والى موجة السخط التى فجرتها ــ الى وقفةخاصة عند شخصية «فؤاد سراج الدين» .. وبصفة خاصة ، عند عمله الدائب لارضاء الملك ، وارضاء حاشيته .. على حساب الشعب ، وعلى حساب الحرية ، وعلى حساب الدستور ، بل وعلى حساب «الوفد» نفسه.!!

فلقد رأينا ، فيما سبق من صـفحات ، كيف نصب « فؤاد سراج الدين » نفسه محاميا عن ذلك الدور البشع الذى قام به الملك ، وحاشيته ، فى صـفقات الاسلحة والذخيرة الفاسدة !!. وكيف وقف امام ممثلى الشعب ، فى مجلس الشيوخ ، مدافعـا عن (كريم ثابت) ، وعن مثـالبه وسقطاته !! وكيف بادر ، بوصـفه وزيرا للمالية والداخليـة ، الى صرف مرتب الملك ــ مقدما ــ لمدة عام كامل . فلما لم يجد المبلغ المطلوب متوفرا فى خزانة وزارة المالية ، لم يتردد ــ لحظة ــ فى ابتكار حـــل

(لازمة الملك) !!· فصرف المبلغ من « المصروفات السرية » في وزارة الداخلية !!· وكيف بادر ، بوصفه وزيرا للعدل بالنيابة ، الى اصدار قانون يصادر حرية الصحف في نشر (أخبـــار القصر) ـ حماية للأسرة الكريمة ، ذات المقام الممتاز في البلاد ـ ثم هانحن نراه يتخلى عن راحته في مصيفه بأوربا ، ويتصـل برئيســه في القاهرة ·· حاثا اياه على سرعة اصدار القوانين التي كانت مؤجلة ، والتي تعطي مجلس الوزراء الحق فيمصادرة الصحف ، وتعطيلها بغير الرجوع الى القضاء !!·

● **فلحساب من كان « فؤاد سراج الدين » يفعل هذا كله ·؟·؟!**

لعلى لا اعدو الحقيقة ، اذا ما قلت ان «سراجالدين» لم يكن يفعل شيئا من ذلك، وفي خاطره انه يفعلهلحساب « الوفد » . ذلك لان رصيد « الوفد » عند أنصاره ـ وكانوا غالبية الشعب ـ كان قائما ، أساسا ، على انه « القوة » التي تستطيع مقاومة « الملك » ، وليس على انه « القوة » التي تستطيع ان تترافع عن جرائم «الملك»، وتداريها ، وتبررها ، وتحاول ـ اعتمادا على ما لهـــا من رصيد عند غالبية الشعب ـ ان تشككهم فيها ، او تلفتهم عنها . ! !

● **واذا كان « سراج الدين » لم يكن يفعل ذلك لحســـاب « الوفد » ·· فهل كان يفعله لحساب « الملك » · ؟!**

استبعد ذلك .. استبعده لسبب بسيط . وهو ان « الملك » ـ وعلى الـــرغم من كل شيء ـ كان يـــكره « سراج الدين » ، ولا يثق به ، ولا يطمـــئن اليه . واستطيع القول ان « سراج الدين » نفسه لم يكن يجهل شيئا من هذا . ولعلى أعرف ، عن يقين ، ان الملك لم يخف مشاعره هذه تجاه «سراج الدين» عن كثيرين ممن كانوا قريبين منه ـ اى من « سراج الدين » ـ وممن اثق ، بحكم معرفتى بهم ، بانهم لم يخفوا عنه شيئا مما كاشفهم به الملك نحوه .

ومن غير المقبول ، « عقلا » .. و « سراج الدين » ،

اولا واخيرا ، بشر كسائر البشر – ان يكون مستطيعا ان يحمل الحب لانسان يصارح الناس بكراهته له ، وبعدم ثقته به ، ثم يتجاوز ذلك الى العمل لحسابه .. حتى لو كان هذا الانسان هو الملك .

● **فاذا انتهينا الى ان (سراج الدين) لم يكن يفعل ذلك لحساب (الوفد) الذى كان رصيده لدى أنصاره يتبدد نتيجة لهذه الافعال .**

● **واذا انتهينا ايضا الى انه لم يكن يفعله لحساب (الملك) الذى لم يكن سراج الدين نفسه يجهل انه يكرهه ولا يثق به ، ولا يطمئن اليه . فلحساب من ، اذن ، كان يفعله ؟!.**

لعلى لا اظلم « سراج الدين » اذا ما قلت انه لم يبذل كل ذلك الذى بذله من محاولات لملاينة الملك ، ومرضاته وهى السياسة التى نجح (سراج الدين) فى ان يجعلها سياسة (الوفد) نفسه – الا لحسابه الخاص .. ولحساب طموحه الشخصى .. ولحساب مستقبل سياسى أعظم كان يتطلع الى تحقيقه . !

فليس من خلاف على ان (فؤاد سراج الدين) كان رجلا موفور الذكاء . كذلك ليس من خلاف على أنه كان رجلا شديد الطموح . ولقد توفر له الى جانب ذكائه الموفور ، وطموحه الشديد ، ثراء عريض – اذ كان واحدا من أفراد أسرة تملك آلافا من الافدنة – وكان طبيعيا ، وقد توفرت للرجل كل هذه الاسلحة ، أن يشتهى النفوذ .. ان تصبو نفسه لان يحكم ، ولان يسيطر ، ولان يرى الهامات تنحنى له طوعا ، أو كرها .. ثم جاءت القفزات الواسعة التى قفزها فى المناصب الرئيسية التى تولاها فى (حكومات الوفد) . وفى المراكز القيادية التى تولاها داخل الحزب ، فزادت طموحه اشتعالا . ولعله بات يرى ان وصوله الى « زعامة الوفد » بعد اعتزال رئيسه (مصطفى النحاس) بسبب تقدم عمره ، أو بسبب اعتلال

صحته ، أو بعد وفاته ، لم يعد أمنية يصعب تحقيقها . خاصة وان الاقدار كانت قد حابته كثيرا ، عندما ازاحت من طريقه جميع اولئك الذين كان باستطاعتهم — بحكم جهادهم القديم ، وبحكم ماضيهم الطويل فى خدمة (الوفد) — ان يسدوا عليه الطريق الى أمنيته. لم يكن قد بقى فى طريقه من هؤلاء غير (الدكتور محمد صلاح الدين) وزير الخارجية فى (حكومة الوفد) التى اقيلت من الحكم بعد حريق القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ . وما اظن أن ازاحة (صلاح الدين) من الطريق كانت تشكل بالنسبة لسراج الدين ، همّا يمكن ان يزعجه . !

***

من خلال ذلك كله ، نستطيع القول ان (سراج الدين) — وقد رأى نجمه يتألق فى افاق (الوفد) على نحو لعله هو نفسه لم يكن يتوقعه — راح يخطط لمستقبله السياسى، على أساس من العمل الدائب لابقاء (الوفد) فى الحكم اطول مدة ممكنة . حتى يستطيع عن طريق سلطان الحكم ، وما يتيحه له من قدرة على تحقيق المنافع لاعضاء الحزب ، ان يكسب له من بين صفوفهم انصارا اكثر ، ومؤيدين اكثر . فاذا ما نجح — الى جانب هذا — فى الفوز برضاء الملك .. أو على الاقل ، برضاء (حاشيته) .. كان له أن يطمئن الى أن سفينة مستقبله السياسى سوف تمضى الى الشاطىء المنشود .. دون أن يتهددها الموج ، أو أن تعصف بها العواصف . !

وعلى هذا ، فان مسارعة (سراج الدين) ، من مصيفه فى اوربا ، الى الاتصال برئيسه فى القاهرة ، مستعجلا اصدار تلك التشريعات التى كان من شأن صدورها اخماد انفاس (الصحف الحرة) حتى يتاح للملك ، ولرجاله الذين عبثوا بكل شىء ، وأفسدوا كل شىء ،

ان يطمئنوا الى مستقبلهم ، وأن يستمتعوا بعبث هنيء .. وبنوم اكثر هناءة - كانت متسقة ، كل الاتســـاق ، مع حطته للفوز برضاء الملك ، وبرضاء رجاله ، كعامل اساسي في تحقيق ذلك المستقبل السياسي الاعظم الذى كان يطمح الى تحقيقه . !

لكن الصفوف الاولى في (الوفد) ، كان لايزال فيهـا بعض من لم يصبهم التلف الذى اصاب قيادته العليا . فهبت من بين هؤلاء جماعة - على رأسها (الدكتور محمد صلاح الدين) .. ذلك الذى حدثتك عنه ، منذ قليل - وراحت تعارض ، وباقصى العنف ، في اصدار هــــذه التشريعات التي رأوا انها سـوف تفقد (الوفد) البقية الباقية من رصيده لدى جماهير أنصاره .

ولم يستطع (رئيس الوفد) ، على الرغم مما كان له من مكانة شخصية في نفوس اولئك الذين وقفوا بحزم ضد هذه التشريعات ، أن يقنعهم بفكرة تقدم الحكومة بها الى مجلس النواب لاصدارها .

عندئذ .. نبتت لدى واحــــــد من وزراء الوفد ، « محمود سليمان غنام » فكرة اختيار احد النواب الوفديين ليتقدم الى مجلس النواب بهذه التشريعات ، وكأنها من عندياته . ووقع الاختيار ، فورا ، على « كبش الفداء » ... وكان « كبش الفداء » هذا هو النائب : « اسطفان باسيلي » . ولقد تعرض الرجل ، بسبب هذه المهمة التعسة التي قبل على نفسه القيام بها ، لحملة عنيفة شارك فيها أصدقاؤه قبل أعدائه ، على نحو جعله يدفع الثمن غاليا من استقرار نفسه ، وأيضا من ســـلامة أعصابه . !

ولكن الوفد - الى جانب اولئك الذين لم يصبهم التلف من صفوفه الاولى - كان يوجد بداخله تيار شاب متحرر ،

لم يكن ـ اصلا ـ مؤمنا بسراج الدين ، ولا بقفزاته الواسعة ، ولا بسياساته التى راح يجر الوفد اليها .
وقد وقف هذا « التيار المتحرر » فى وجه هذه الجريمة البشعة التى كان يراد ارتكابها فى حق حرية الصحافة ، ولم يسمح لها بأن تمر . كان يقف على رأس هذا « التيار المتحرر » فى الوفد نائب وطنى شـــاب ، هو المرحوم « الدكتور عزيز فهمى » عضو مجلس النواب وعدد من زملائه الذين كانوا يشاركونه وطنيته ، وشـــجاعته . وحماسه .

انطلق «عزيزفهمى» وزملاؤه، يقودون داخل صفوف الحزب ــ وخارجها أيضا ــ حملة عنيفـــــة ضد تلك التشريعات .. ضد « الوجه الظاهر » الذى تبناها . وضد « الوجه الخفى » الذى كان يتخفى وراءها .. وجه الملك الذى كانت « الصـــحف الحرة » التى اريد وادها ، قد اطارت النوم من عينيه .. وراحت تحمل له، ولنظـــامه السياسى والاجتماعى كله ، ليس فقط علامات النهاية . بل ودبيب اقدامها ايضا .

... واشتعلت النيران

بدأت « الصحف الحرة » التى كانت مقصـــودة . وحدها ، بهذه التشريعات القاتلة ، تطلق مدافعها .

فكتب « احمد حسين » فى صحيفة « الاشتراكية » ، تحت عنوان « الغاء الصحف يساوى الغاء الحـــــكم » يقول :

« كتبنا أكثر من مرة حول هذا المعنى الذى نعود اليه اليوم ، وهو : « دعونا نحاربكم بالقلم ، والا حاربكم غيرنا بالقنابل ». وكنا نظن أن هذه الصيحة الصادقة التى لا تحوى الا تحـــذيرا أمينا ، ستجد صداها لدى الحكام فيدركوا أن النقد ـ مهما كان مرا ـ فهو الصمام الذى يسمح للشعب بأن يتنفس ، وبأن يعبر عن عواطفه المكبوتة .

« كنا نظن أن الحكام لن ينسوا ، أبدا ، ان كل الجـــرائم

السياسية في مصر قد وقعت في ظل صحافة مقيدة ، ومقهـورة
.. فعندما قتل « بطرس غالى » ، لم يقتل في عهد صحافة حرة.
وانما قتل في عهد قانون المطبوعات الذى جاء لمحاربة الصحافة.
وعندما شرع بعض المصريين في قتل « السلطان حسين » ، لم
يفعلوا ذلك في ظل حرية صـــحفية ، بل فعلوه في ظل أحكام
الانجليز العرفية التي فرضوها ـ باسم الحرب ـ على مصر .
وعندما قتل الانجليز ، ومن تعـــاونوا مع الانجليز ، في عام
١٩٢٠ـ١٩٢١ لم تكن الصحافة في مصر حرة . وعندما شرع ،
في سنة ١٩٣٠ ، في قتل رئيس الوزراء .. « اسماعيل صدقى »
.. لم تكن الصحافة في مصر حرة ، وكان هو نفسه يحـــكم
مصر بالحديد والنار . وعندما قتل « احمد ماهر » ، داخـــل
البرلمان ، كان ذلك في ظل احكام عرفية ، وفي ظل رقابة صحفية.
وعندما قتل « النقراشي » داخل وزارة الداخلية ، لم يكن ذلك
في ظل حرية الصحافة . بل كان في ظل أحكام عرفية ، ورقابة
صحفية . وعندما وقعت عشرات الحوادث التي هزت أركان الامن
في البلاد ، لم تقع في حرية صحفية . بل وقعت في ظل الكبت
والرقابة الصحفية !!.

« فهؤلاء الذين يتصورون أن الصحافة سوف تحدث ثورة ،
مخطئون . وهؤلاء الذين يتصورون أن الصحافة تدفع بالشباب
الى الهوس السياسى ، ثم الى القتل ، مخطئون .

« انما تنشأ الثورات ، وتنشأ الجرائم الســـياسية ، نتيجة
للكبت ، وللقهر ، وللاعنات ، والطغيان . وكنا نحسب أن هذه
المعانى كلها ماثلة في أذهان الحكام ، فلا يتصورون ـ كلمـــا
ضاقت صدورهم بكلمات الصحف ـ أن علاج ذلك في الغائها .
لقد الغيت « مصر الفتاة » مرة . فماذا كانت النتيجة ؟..

« كانت النتيجة أن صدرت بدلها « الشعب الجديد » . بل
وصدر الى جوارها أكثر من صحيفة راحت تنهج نهجها ، وتسير
على منوالها . فالالوف التى كانت قاصرة على مطالعة « مصر
الفتاة » ، قد تضاعف عددها بمطالعة هذه الصحف الجديدة .
وما كانت هذه الصحف الجديدة لتنهج نهج « مصر الفتاة » ، الا
لاحساسها بأن هذا هو ما يريده الشعب . وما كانت هذه الصحف
لتروج ـ مع خلوها من كل زخرف وبهرج ـ الا لانها تعبر عن
ارادة الشعب . فلو عطلت هذه الصحف اليوم ، لحل محلها ،
غدا ، عشرات غيرها . بل لتحولت الصحف القائمة الى صـورة

طبق الاصل منها · فاذا تعذر ذلك ، لحلت « الصحف السرية » محل « الصحف العلنية » · ولو ضيق الخناق على هذه « الصحافة السرية » ، لتفشت ، على الفور ، الجمعيات الارهابية، ولعادت ـ مرة أخرى ـ الى القتل ، والاغتيال ، والتدمير ·

« ان هذا الذى نقوله بديهيات معروفة ، تكررت فى حياة مصر · ولسنا فى حاجة الى البحث عنها فى غير مصر من بلاد· فما بال كل من فى مصر يفهم ، ويعى ، الا الحكام ؟! · وما بال هؤلاء الوزراء قد تحولوا الى خصوم لكل راى ، ولكل عقل ، ولكل حكمة ؟!·

« لقد قلنا ، فى مجلس الدولة ونحن نطالب باصدار « الشعب الجديد » ، اننا اذا لم ننجح فى اصدار الجريدة ـ بعد الغاء « مصر الفتاة » ـ فسوف نعاقب الحكومة الحاضرة بالصمت ، واعتزال الكتابة ، لنتركها لقدرها · ولنخلى بينها وبين طوائف الشعب الهائجة التى تنفس عنها ، الآن ، بالكتابة·

« وهذا هو ما نقوله ، مرة ثانية ، « لسراج الدين » ·· وللوزراء مجتمعين ·· ومنفردين ·· انهم اذا اقدموا على الغاء هذه الجريدة · فسوف نكسر أقلامنا ، ونقبع فى عقر دورنا ··· والويل لهم اذا فعلنا ذلك » ·

***

··· وتوالى هدير المدافع

فكتب « فتحي رضوان » فى « اللواء الجديد » تحت عنوان : « مذبحة الصحافة » يقول :

« نعم انها مذبحة ·········!

« لقد خرج الجزارون ، منهم من يضع سكينه وراء ظهره ·· ومنهم من يظهرها ويباهى الناس بها ··· ومنهم من يتركها فى منزله ، مؤملا أن يسرع فيحضرها حينما تجهز الفريسة !!·

« ولقد نفد صبر الجزارين · وهم محقون فى ذلك · فان الصحافة تدعو الى حق ، وهم يقيمون حياتهم على باطل · والصحافة تدعو الى حرية والى كرامة ، والى احترام الدستور ، وهم غارقون فى دماء الحرية ، وفى دماء الكرامة ، وفى دماء الدستور !!

« انهم لا يستطيعون أن يصبروا على الصحافة ، وهى التى تذكر الامة صباح مساء ، بأنهم خدعوها ، وسخروا منها ، حينما وعدوها بأنهم اذا ولوا الحكم ، الغوا المعاهدة ·· والتحموا مع

الانجليز ، ورعوا الادراك الوطني السليم ونموه !؛
« انهم لا يستطيعون أن يصبروا على الصحافة ، وهي التي تفضح ما استتر من مخازيهم ، وسرقاتهم ، ومحسوبياتهم ... وهي التي تنشر على الوف الالوف من قرائها حقائق هذا التدني المفسد ، الفاسد الذي يتقلبون فيه ، ووقائع هذا الاجتراء المثير المذهل على حريات الامة ، وعلى مقدساتها ، وعلى خير ما ترجوه لنفسها .
« انهم لا يستطيعون أن يصبروا على الصحافة ، وهي التي ارغمتهم على أن يقدموا الى القضاء قضية الجيش ، وقد كان في ظنهم انهم يستطيعون ان يطووها في جنح الظلام ، وأن يعتبروها صفقة جديدة من صفقات الحكم المتعفن ، فيكسبوا بها لنظامهم المترنح المتخاذل ، سندا .
« انهم لا يستطيعون أن يصبروا على الصحافة ، وهي التي رعت قضية الجيش بعد أن انتزعتها من براثن الهوى ، وهي التي وقفت تصد عنها العدوان ، وعبث الايدى ، وغرض المغرضين . فسارت القضية بين الاشواك ، واجتازت طريقها بين الصخور .
« اليست الصحافة هي التي تطلب تجملا بالفضيلة والعفة .. وما أشق الفضيلة والعفة ؟!.
« اليست الصحافة هي التي تطلب تحرجا في صرف مال الدولة ..وما اشهى التصرف في مال الدولة ؟!.
« اليست الصحافة هي التي تتعقب الرخاوة ، والميوعة ، والفضوليين ، والمتطفلين ، والدخلاء ، ووسطاء السوء . وما اكثر هؤلاء ، وما أعزهم نفرا ، وما اوسعهم جاها ؟!.
« اذن ، لتكمم الصحافة هذه . فاذا لم ينفع معها تكميم ، فلتطعن ذات اليمين وذات اليسار .. بطلب المصادرة ، وبطلب التعطيل ، ليتوزع بال أصحاب الصحف ، ويبيتوا وهم لا يدرون : ايكتب لها القبر المنشور .. اى المحاكم ؟! أم القبر المحفور .. اى المصادرة ؟! فان ارتفعت الصحافة فوق ذلك كله ، وحلقت ، ولم تطلها أيدى الشر ، فلتقتل علنا . ولتقتل باى سلاح . فان جريمة القتل ــ وان كانت ابشع الجرائم عند الله ، وعند الناس ــ الا انها السبيل المفتوحة أمام حاكم فاسد لا يريد ان يصلح حاله ، وأمام حاكم ضال ابى الله عليه أن يتهدى ، وامام حاكم يئس من أن يسترد ثقة الناس به ، أو استمالتهم اليه !!
« وقد يسيل دم الصحافة ، ويتدفق ، حتى يحسب الظالم انها لفظت آخر انفاسها . لكنه سوف يرى ، بعد حين ، انها عادت

لتطارد الظالمين ، وتتعقب فسادهم ، وتصليهم نارا حامية !!

« ان الصحافة باقية ، وهم زائلون . وهي قوية . وهم ضعفاء جبنـاء . وهي صـادقة ، وهم كاذبون خائنون ... ولن تغلب الفضيلة ، ولن يغلب الحق ، ولن تغلب الحرية ... لن يغلبوا أبدا » .

***

وفي يوم الاثنين - ٣١ يوليو سنة ١٩٥١ - صدرت « روز اليوسف » وعلى غلافها رسما يمثل « فؤاد سراج الدين » وقد امسك بيده مسدسا كتب عليه : « مصادرة الحريات » ، راح يسدده الى صدر « المصرى افندى » - وهي الشخصية التي كانت المجلة تتخذها رمزا للشعب - وكتبت تحتها : « الاغتيال السياسي الذى لا يعاقب عليه القانون » !! .. وداخل العدد ، وتحت عنوان : « هذه الحكومة تخاف ان تواجه القضاء » - كتب « احسان عبد القدوس » يقول :

« هذه الحكومة تخشى أن تواجه القضاء ...

« هذه الحكومة رغم كل ما فعلت ، ورغم كل ما افسدت من ذمم ، وما اشترت من ضمائر ، وما زرعت من فساد ، وما سنت من قوانين ظالمة ، لاتزال ترتجف من أن تقف خصما أمام القضاء العادل ، ولاتزال تخشى أن يكون بين القضاة المصريين قاض نزيه ، حر الرأى ، سليم المنطق ، نظيف الذمة ، غيور على ضميره ، وغيور على العدل وعلى سمعة بلده .

« انها حكومة جبانة .. فقدت الثقة بنفسها ، وفقدت الثقـة بمبادئها ، وعجزت عن أن ترد على حجج خصومها ، وعجزت عن أن تجد لها سندا من الدستور ، أو من القانون ، أو من العدالة ... ولم تجد ما تدافع به عن نفسها الا أن تشرع القوانين التى تعفيها من الوقوف امام القضاء ، وتحصر سلطة الاتهام والحكم والتنفيذ فى يدها وحدها ، لتظلم كيفمـا تشاء ، وتبطش كيفما تشاء .

« وهكذا بدأت تشرع القوانين الجديدة الخـاصة بحرية الصحافة ،مدعية انها - بهذا التشريع - انما تفسر المادة ١٥ من الدستور .

« وعندما اقول أن هذه الحكومة تخشى ان تواجه القضاء ، لا ابالغ • فقد ارادت ان توقف « أحمد حسين » عن الكتابة ، فلما لم تستطع أن تواجه القضاء ، سلطت عليه النيابة ـ وهى جزء من السلطة التنفيذية ـ لتحبسه حبسا احتياطيا ، فى غير حكمة قانونية ، ومن غير داع يستدعيه التحقيق •

« وعندما ارادت ان توقف « مصطفى مرعى » عن الكتابة ، لم تقدمه الى القضاء ، بل اكتفت بالتحقيق معه ، ثم لجات الى نص القانون الذى يقضى بمصادرة الجريدة ، اذا عادت الى الكتابة فى موضوع محل تحقيق النيابة ! ولكنها عندما تقدمت الى القضاء بهذه المادة نفسها ليحكم بتعطيل جريدة « اللواء الجديد » ، خذلها القضاء • لانه لم ير محلا لتطبيقها ، ولا عدلا فى التهديد بها •

« ولقد حقق مع « روز اليوسف » اكثر من مرة ، وفى اغلب المرات افرج عن رئيس التحرير بكفالة • ورغم ذلك فلم تقدم واقعة من الوقائع التى حقق فيها الى المحاكمة • كما ان التحقيق لم يحفظ • انما بقى سلاحا مشرعا فوق اقلامنا يهددنا بتطبيق المادة ١٩٩ التى تنص على مصادرة كل جريدة تتعرض لموضوع هو محل تحقيق • بل ان الحكومة كانت تخشى مواجهة المحققين انفسهم عندما ينزعون الى حرية الراى ، ويتمسكون بشخصياتهم! •

« لقد خشيت الحكومة ان تواجه القضاء ـ او احدى هيئاته ـ بهذه التشريعات • فلم تتقدم بها بنفسها ، تهربا من عرضها على مجلس الدولة ، او محكمة القانون الادارى • فاوعزت الى احد النواب بأن يتقدم بها ـ اى بهذه التشريعات ـ الى البرلمان مباشرة !! • وقبل النائب ان يقوم بهذه المهمة التعسة •• وقبل ان يسجل اسمه فى مضابط مجلس النواب على انه الرجل الذى قبل أن يستخدم كمخلب قط لخنق حرية الراى ، ووأد الوعى الجديد •

« ولست فى حاجة الى ان اعدد الشواهد على تهرب الحكومة من مواجهة القضاء ، ولا الى أن أعدد المرات التى دمغ فيها القضاء الحكومة بتهمة التعسف والاضطهاد •• فهى كلها شواهد تنتهى الى معنى واحد •• وهو أن الحكومة بهذه التشريعات لم ترم الى تقييد حرية الصحافة فحسب • بل الى تقييد حرية القضاء العادل ، ونزع اختصاصه ، حتى تتهرب من ضمير القاضى الحر ، وتتجنب حكم القاضى النزيه ! •

وحجة الحكومة فى اصدار هذه التشريعات انها تكمل نقصا

فى الدستور ، والقانون !

« ولاشك أن فى الدستور ، والقانون ، نقصا كبيرا شعرت به الحكومة . فالدستور لم يتسع ، بعد ، لاطلاق يد الحكومة فى مصادرة الحريات !! والدستور لم يتسع ، بعد ، لحمـاية حق احدى الطبقات فى استعباد ، واستغلال طبقة أخرى !!. والدستور لم يتسع ، بعد ، ليقيم من انسان ما الها مقدسا لا يجوز أن تقربه الاقلام ، ولا يرتفع اليه نقاش ، ولا يلحقه حساب ، ولا يرد عن جريمة !!.

« والدستور لا يعتبر الحكومة هيئة سماوية ترتفع فوق الشك. ولا يعتبر وزراء الوفد أنبياء مرسلين يسير الحق بين أيديهم وفى ركابهم ، وتظلل البركات أقرباءهم وأنسباءهم !!.

« نعم .. انه دستور ناقص ، وان النقص كبير .. وهـذه الحكومة أول من شعر به ، وأول من عمل ـ ويعمل ـ عـلى تغطيته !!.

« ولن يحدث شيء عندما تصدر هذه التشريعات التى تسـد النقص فى الدستور ، وفى القانون . لن تثور مصر ، ولن تمتنع صحافتها عن الصدور . كل ما هناك أن يتجرأ كاتب طويل اللسان، ويكتب مقالا كهذا المقال يمر كما يمر غيره من المقالات . ويعوضه أن يجد أحد كتاب الوفد فى نفسه الجرأة ليؤيد التشريعات بحجة أن الحكومات السابقة كانت تضطهد الصحافة .. وان من المنطق أن نضع فى يد هذه الحكومة سـلاحا جديدا لكى تضـاعف الاضطهاد .. ثم يقصر منطقه عن أن يرى أن الحكومات السابقة هى نفسها الحكومات اللاحقة ، وأن السلاح الجديد الذى نضعه فى يد الحكومة الحاضرة اليوم ، سينقل غدا الى يد حكومة أخرى تطبقه على خصومها !!.

« ولن يحدث شيء بعد هذا ...

« لن تفقد جريدة « الاهرام » وقارهـا . ولن تعلن جريدة « المصرى » خروجهـا على سياسة الوفد . ولن تلجأ نقـابة الصحفيين الى هيئة الامم لتعينها على حماية حرية الصحافة . ولن ينظم سكرتيرها الدائم مظاهرة احتجاج !!.

« سيمر القانون فى هدوء ... وتختنق الصحافة الى الابد !!.

« سيقال فى مضابط مجلس النواب أن حكومة الوفد هى التى أصدرت هذه القوانين .

« وسيقال ان نواب الوفـد الشبان الذين طالما ادعوا نصرة

الحرية ، هم الذين وافقوا على مصادرة الحرية !٠
« سيقال كل هذا ٠٠ وسيبقى مسجلا فى التاريخ ، ولن يستطيع « النحاس باشا » ان ينفيه الا اذا اعلن انه « عبد مأمور » !! والا اذا اعلن نواب الوفد أنهم « مسيرون لا مخيرون !!٠
« سيقال كل هذا ٠٠
ولكن ، ماذا يهم ما يقـال ٠٠ وما أكثر ما قيل ٠٠ مادامت الأقلام ستسكت الى الابد ، ومادام القضاء سيكبل الى الابد ٠ ولتزهق انفاس مصر بعد ذلك ٠٠ فلن تقول شيئاً » ٠

***

اتسعت جبهة القتـال .. وتزايد عدد المواقع التى راحت تطلق مدافعها ضـد الحكومة ، دفاعا عن الرئة الوحيـدة التى بقيت للشعب لكى يتنفس منها ٠ حتى الصحف التى لم يكن الخطر يتهددها ، بنفس القـدر الذى كان يتهدد به تلك التى كان « الملك » ، وكانت « الحكومة » يريدان وأدها، لم تستطع الا ان تشارك فى المعركة ٠ وصحا الشعب كله على دوى المـدافع ٠ لماذا فئاته المؤثرة : الطلبة ، والفلاحون ، والعمال ، يدخلون المعركة بمظاهراتهم ، وبمنشوراتهم ، وبصياحهم ٠ !!
وروعت « الحكومة » ٠٠ سقط قلبها فى قدميها ٠ فلم تكن تلك الهبة الشعبية الهائلة واردة لها فى حساب ؛ ومن ثم ، راحت تتلفت وراءها باحثة عن طريقة للفرار من أرض المعركة ٠ لكنها ، قبل ان تفر ، ارادت ان تقوم بمحاولة اخيرة ، وان تكن يائسة ، لعلها تستطيع ان تسترد بها شيئا من الارض التى فقدتها ٠ فمضت بلسان احـد وزرائها الذين كانوا قد اختاروا مكانهم ضد الشعب فى جانب الملك .. وهو ، الدكتور حامد زكى ـ مضـت الحكومة بلسان هذا الوزير ـ تبرر تلك الضربة الغادرة التى ارادتها قاضية على « الصحف الحرة » بأنها لم تكن الا لحساب الشعب .. !!!
كانت « الشيوعية » هى « الغول » الذى تصـورت

الحكومة انها تستطيع ان تخوف الشعب به ، ومنه ، لعله ـ مدفوعا بهذا الخوف ـ يقبل الموافقة على هـــذه التشريعات ، من منطق . « ان « الفول » الذى نعرفه ، وهو ذلك الفساد الاجتماعى ، والسياسى ، الذى كانت ألسنته قد أمتدت الى جميع مقومات حياتنا ، فالتهمتهـا .. خير من « الغول » الذى لا نعرفه .

وادلى وزير الملك ـ الدكتور حامد زكى ـ الى الصحف بتصريح قال فيه : « ان هذه التشريعات يجب ان تصدر • اذ ليس فى استطاعة وزارة بيضاء ان تحكم شعبا احمر • انها ضرورية كأساس للقضاء على الصحف التى تدعو الى تقويض النظام الاجتمـــــاعى فى مصر • » !!

ولكن •• لان هذه « القنبلة » التى اراد « الـــوزير الدكتور حامد زكى » ان يفجرها فى وجه الشعب ، كانت « قنبلة فاسدة »، فانها سرعان ما ارتدت اليه وانفجرت فى وجهه • فلقد بادر زميله الدكتور محمد صلاح الدين ، وزير الخارجية ، الذى اختار مكانه فى هذه المعركة على رأس الجبهة الوزارية التى كانت تعارض هذه التشريعات، وتقف ضدها باصرار ، وعنف ـ بادر الى الرد على هـــذا التصريح ، بتصريح صحفى آخر قال فيه :

« قرأت ببالغ الدهشة تصريح زميلى الدكتور حامد زكى عن مشروعات القوانين المقيدة لحرية الصحافة ، ذلك التصريح الذى اقحم فيه زميلى الالوان الحمراء والبيضاء ، والذى كان ، فيما اعتقد ، خطأ كبيرا • والذى يهمنى من هذا التصريح هو ان زميلى قد أحرج به زملاءه الوزراء أشد الاحراج ، مما يضطرنى ـ وانا لا أملك الا الكلام عن نفسى ـ ان اعلن انى عارضت كل مشروع مقيد للحرية ، وذهبت فى معارضته الى أبعد الحدود التى ترسمها مسئوليتى كوزير • ولسوف اعارض كل مشروع من هذا القبيل ، واذهب فى معارضته الى ابعد الحدود التى ترسمها مسـئوليتى كعضو فى هيئة الوزارة ، او فى الهيئة الوفدية ، او فى مجلس الشيوخ » •

وانهارت مقاومة الحكومة •• وكان انهيارها ، مهمـــا

طالت المقـــاومة ، أمرا محتوما . فلقد تســـاقطت عليهـــا قنـــابل « الصـــحف الحـــرة » كانهـــا السيل المنهمر • وجاءتها ، من داخل صفوفها ، ضربات موجعة واليمة ، وجهها اليها بعض اعضائها ممن كانوا يعارضون هذه التشريعات • ثم جاءت وقفة ذلك التيار المتحرر داخل الحزب ، بما انطوت عليه من حماسة الشباب، واخلاصه وفورته ، فكانت ـ الى جانب وقفة الشعب ـ اضافة خطيرة جعلتها تترنح ، وتفقد توازنها ، بل وتفقد مجرد القدرة على الكلام الذى يساوى أن يعطيه العقلاء اسماعهم !

وباسرع مما كان يتوقع الكثيرون ، وضحت نتيجـــة المعركة ••

لقد هزمت الحكومة •• بل قل : هزم الملك ••

فلقد كانت تلك هى الحقيقة الناصعة التى أسفر عنها وهج المعركة • وكانت هزيمة الملك هذه ، هى أول هزيمة علنية، ورسمية ، تلحق به ، اذ كان معروفا لدى الجميع ان هذه التشريعات •• او هذا « القيد » الذى اراده الملك مصنوعا من حديد ، لم تحاول الحكومة صنعه الا بناء على امره ، ولحسابه ، ولحساب حماية نظامه الاجتماعى والسياسى من تلك « الاقلام » التى راحت تتعقب فساد ذلك النظام ، وتكشف للناس ـ اولا بأول ـ عن العفن الذى راح يمشى فى اوصاله ، ويجعل من الاستسلام له ، أو السكوت عليه جريمة فادحة يرتكبها الشعب فى حق نفسه .. ويسلم ـ بسكوته عليها ـ عنقه الى جلاده . !!

لم تستطع الحكومة ان تمضى الى نهاية الشوط •• تحطمت ارادتها تحت ضربات « الاحرار » • ولم يعد امامها ما تفعله الا ان تنسحب ، وتتراجع ، وتقبـــل بالهزيمة التى أصـــبحت امرا لا مهرب منه . وهـــذا بالضبط ، ما فعلته .

أمرت ذلك « النائب » الذى كانت قد حملته الوزر امام نفسه ، وامام الشعب ، وامام التاريخ ، بسحب تلك التشريعات من مجلس النواب . فأطاع النـائب الامر وسحبها ، وان لم يستطع ، بطبيعة الحال ، أن يسحب عن نفسه عارها . !

وهكذا انتصر الشعب فى اولى معاركه العلنية مع الملك. واذا كان الشعب قد كسب معركته الحيوية هذه ، والتى تعتبر ـ بحق ـ واحدة من اخطر معاركه ، ضد قـوى الشر الهائلة، والمتحالفة، فانه لم يكسبها الا لسبب واحد. ذلك انه عرف كيف يقف ـ فى ساعة الخطر ـ صفا واحدا .. يقاوم القيد ، ويقاوم الحكومة ، ويقاوم الملك . ولقد فعل الشعب ذلك لانه استطاع ، بفطرته ، ان يدرك انه لو ترك هذه الجريمة تمر ، لفقد بمرورها « الرئة الوحيدة» التى كانت قد بقيت له لكى يتنفس منها ، وكان الشعب، كماقات لك، مصمما على أن يظل يتنفس .. حتى لايموت .

***

كسب الشعب معركته .. ولم يتوقف هدير المدافع . ذلك لان « المشوار » الى النصر النهائى على قـوى الشر الهائلة ، والمتحالفة هذه ، كان لايزال طويلا . هذا من جهة ومن جهة اخرى ، فان القضية ـ اساسا ـ لم تكن قضية « الصحف الحرة » ذاتها ، بقدر ما كانت قضية « المعانى » التى كانت هذه الصحف تعبر عنها ، وتدعو اليها ، وتبصر بها . ولم تكن « المعانى » التى راحت « الصحف الحرة » تدعو اليها : وتبصر بها ، هى « الشيوعية » كما حاول « وزير الملك » الدكتور حامد زكى ان يزعم . وانما كانت هذه «المعانى» هى: العدل الاجتماعى . وهى التحرر الوطنى وهى التحرر الاقتصادى . وهى القضاء على استغلال الملايين من أبناء الشعب ، من فلاحين وعمال ، لمصلحة

فئة قليلة لم يكن يهمها من كل مايجرى على أرضنا ، الا أن تبقى محتفظة بنفوذها ، وبسطوتها ، وبقدرتها الرهيبة على امتصاص دماء الشعب ؛ وتحويلها الى ثروات هائلة تبددها من بعد ذلك - وبكل اللامبالاة ، والسفه - فوق موائد القمار .. وتحت اقدام الغوانى .!!

كذلك كانت هذه «المعانى» أخيرا، هى العمل على شق الطريق أمام « زعامات وطنية جديدة » تستطيع بتجردها ، وبتطهرها ، وبتحرر قلوبها وعقولها من أى نوع من أنواع الارتباط بقوى الشر التى كانت ممثلة فى اربع ركائز متحالفة، ومتعاونة، ومرتبط مصير كل منها - تلقائيا - بمصير الاخر . وهذه الركائز الاربع هى :

● الاولى - ملك فاسد ، فقد ايمانه بشعبه . ومن ثم فقد احساسه بمصائبه وآلامه ، وعاونت ظروفه كلها على جعله حليفا طبيعيا ، وشرعيا ، للاحتلال الاجنبى الذى كان يحمى عرشه بحرابه .. وللاقطاع الذى يمكن اعتبار « فاروق » بما كان يملك من أرض « تقدر بعشرات الالاف من الافدنة » واحدا من ابرز امرائه .

● الثانية - احتلال أجنبى عمل ، منذ اللحظة الاولى ، لوجوده على ارضنا - وبمعاونة فئة من الحكام اصطنعها لنفسه ، واعتمد عليها ، واعتمدت عليه - على ابقائنا مقيدين الى اغلال التخلف ، حتى نبقى دائما واقعين تحت رحمته .. عاجزين عن التحرر منه .. وعاجزين ، فى ذات الوقت ، عن الانقضاض عليه . !

● الثالثة - اقطاع زراعى شرس .. نشأ ، أول ما نشأ ، فى حجر الاستعباد والقهر ، ثم شب وترعرع فى ظل الاحتلال الاجنبى ، وبتشجيعه ، وتحت حمايته . حتى تحول ، مع الزمن ، الى وحش ضار يمتص دماء الملايين من شعبنا .. ويأكلهم لحما ، ويرميهم عظاما . !

● الرابعة - مجموعة من الاحزاب الرجعية التى نشأت فى ظروف خاصة ، وفى ظل ملابسات متعددة ، والتى لم يكن لها - بحكم مصالحها وارتباطاتها ، وبحكم الظروف السياسية التى نشأت فيها .. وبحكم التركيب الفكرى والاجتماعى لقادتها وزعمائها - اية قدرة على النضال من اجل تغيير الواقع السياسى، والاقتصادى ، والاجتماعى ، لحياتنا .. فضلا عن انعدام مصلحتها

فى مثل هذا النضال .

ولعل اقطع دليل على ان المرحلة التى كنا نعيشها ، قبيل يوليو سنة ١٩٥٢ ، كانت قد تجاوزت هذه الاحزاب جميعا . كما تجاوزت قدراتها على ادخال اى نوع من التغيير على واقع حياتنا .. هو ان ثورة ٢٣ يوليو - فى الايام الاولى اللاحقة لقيامها - ابدت استعدادها لاعطاء « الوفد » ، باعتباره أكثر الاحزاب التى كانت قائمة وقتئذ تمثيلا للشعب ، الفرصة ليتولى الحكم . وذلك تحت شرط واحد . هو أن يقوم بتنفيذ « قانون تحديد الملكية الزراعية » . ولكن « الوفد » لم يقبل تنفيذ « قانون تحديد الملكية الزراعية » كشرط للتعاون بينه وبين الثورة . وذلك طبيعى ، فقد كانت قيادة «الوفد» العليا قد سقطت فى أيدى عدد من أكبر ملاك الاراضى . وكان مستحيلا طبعا ، أن يوافق هؤلاء - برضائهم ، وبارادتهم - على « قانون » لم يكن من شأنه الا أن يسقط التيجان من فوق رؤوسهم ، ويجردهم من ذلك التسلط الباغى على مقدرات ملايين التعساء الذين كانوا يعيشون تحت رحمتهم .. فوق أرضهم . ! !

على ان هذه ، على أية حال ، لم تكن هى المرة الاولى التى تقدم فيها تلك الاحزاب الدليل على جمودها ، وتخلفها ، وأيضا على ارتباط مصالحها - على نحو مباشر - بمصالح الاقطاع الذى كان ، بدوره ، حليفا شرعيا للاحتلال، وللملك

فلقد حدث ، فى سنة ١٩٤٧ ، ان تقدم احد اعضاء مجلس الشيوخ ، « المرحوم محمد خطاب » الى المجلس بمشروع لتحديد الملكية الزراعية ، بهدف تضييق تلك الفجوة المروعة التى كانت تفصل بين كبار الملاك ، وصغارهم ، واحيل المشروع الى لجنة الشئون الاجتماعية فى مجلس الشيوخ ، فاقرته . ولكن ، على صورة مبكية ، ومضحكة

.. وشر البلية ، كما يقولون ، ما يضحك . !!

فلقد كانت الصورة المبكية ، والمضحكة التى اقرت بها لجنة الشئون الاجتماعية فى مجلس الشيوخ ، مشروع العضو « محمد خطاب » كالتالى :

« **لا يجوز أن تزيد ملكية الفرد من الاراضى الزراعية على مائة فدان . على الا يسرى هذا القانون على الملاك الموجودين حاليا . ولا على ورثتهم » . !!**

اليس هذا شيئا مبكيا ؟! بل اليس هذا شيئا مضحكا! اليس فيه هو وحده الدليل الكافى على ان أولئك الناس كانوا قد اصيبوا بالصمم ، فلم يعودوا يسمعون شيئا من كل ذلك الهدير المخيف الذى كان يهدر من حولهم ؟! وانهم حين كانوا يجلسون ليشرعوا ، انما كانوا يشرعون لانفسهم ، ولمصالحهم ، ولمصالح ورثتهم من بعدهم ؟!

او لم يكن مبكيا ، ومضحكا فى نفس الوقت ، ان يضع احد المجلسين اللذين كان يفترض فيهمـــا انهما يمثلان الشعب ، قانونا يحمى المترفين ، والمتخمـــين .. ثم لا يكتفى بحمايتهم، فينص على حماية ورثتهم من بعدهم ؟!!

وعلى الرغم من أن هذا القانون ، بصورته المبكية ، والمضحكة ، التى اقرته بها لجنة الشئون الاجتماعية بمجلس الشيوخ ، لم يكن يسرى على الماضى ، وان الاقطاعيين .. بل وورثتهم ايضا ، كانوا سيبقون فى ظله، ، وتحت حمايته ، محتفظين باقطاعياتهم ، ومسيطرين على ممالكهم الصغيرة بكل ما عليها ، ومن عليها ، فان غالبية اعضاء مجلس الشيوخ لم توافق عليه . وايضا لم توافق عليه الحكومة . وعلى ذلك ، قرر مجلس الشيوخ فى جلسته بتاريخ ١٦ يونيو سنة ١٩٤٧ ، رفض المشروع . ولم يشفع له لدى المجلس انه كان قانونا هزيلا .. وسقيما .. ومضحكا ، ومبكيا معا .!!

من هذا كله ترى ان تلك المجموعة من الاحزاب .. سواء منها من كان يمثل الاكثرية ، ومن كان يمثل الاقلية .. انما كانت تعتنق افكارا واحدة ، وتحركها مصالح واحدة، وتتسلط عليها مخاوف واحدة .. فالحكومة التى رفضت

قانون عضو مجلس الشيوخ « محمد خطاب » - بعد ان مسخته لجنة الشئون الاجتماعية بالمجلس ، وحولته الى ذلك الشيء المضحك المبكى - هذه الحكومة ، كانت واحدة من حكومات « الاقلية » . على حين ان الحزب الذى رفض تنفيذ «قانون تحديد الملكية الزراعية» كأساس يقوم عليه التعاون بينه وبين الثورة ، كان هو الحزب الذى يمثل الاغلبية الشعبية المقهورة ، والمغلوبة ، دائمـــا ، على امرها .
ومع ذلك، فها نحن نرى الاثنين : حكومة الاقلية.. وحزب الاغلبية .. يلتقيان فى موقفهما من تحديد الملكية الزراعية.
فلم يكن اى منهما افضل من الاخر ، ولم يكن اى منهما أكثر رحمة بالشعب من الآخر .. كذلك لم يكن أى منهما أكثر تفهما لروح العصر من الاخر . !!

وفى ضوء هذه الحقائق جميعها ، نستطيع ان ندرك انه كان صعبا . بل كان مستحيلا ان يتحقق هدف واحد من تلك الاهداف التى كانت (الصحف الحرة) تعبر عنها ، وتدعو اليها ، وتبصر بها ؛ بينما ذلك النظام السياسى ، والاجتماعى قائم .. ومرتكز ، فى قيامه ، على ركائزه الاربع تلك . ومن ثم ، كان طبيعيا ان تأخذ حملـــة (الصحف الحرة) عليه ، وبشكل تلقائى ، صورة الدعوة الصريحة للثورة ضده ، والعمل على اسقاطه .

لقد كان ذلك كله سببا كافيا لكى يستمر هدير المدافع ولا يتوقف . فعلى الرغم من أن الشعب كان قد كسب معركته ضد الملك ، وضد حكومته ، وضد ذلك (القيد) الذى اراده الاثنـــان مصـــنوعا من حديد . الا أن المشوار الى النصر النهائى كان لايزال طويلا . كان لايزال امام « الاحرار » معارك كثيرة ، ومريرة ؛ يتعين عليهم ان يخوضوها بكل الحب للوطن ، وبكل الولاء له ، وبكل الايمان به ، قبل أن يصلوا الى هذا النصر النهائى .

الفصل الثامن

الشعب يخرج من الظل

حين اشرفت سنة ١٩٥١ على نهايتها .. كانت «مصر الرسمية» قد اضحت اشبه ما تكون برجل شيخ تكالبت عليه امراض الشيخوخة .. كل شيء فيها يسوء ، ويتدهور وينهار . «الملك» - رأس الدولة - يفقـــد كرامته ، واعتباره ، وكل مبررات وجوده . و «الحكومة» التي كانت قد جاءت الى الحكم بناء على رغبة الشعب ، وبارادته ، تعجز تماما عن تلبية مطالبه ، ويسلمها العجز الى نوع من الفساد الحزبي افقدها ، هي الاخرى ، كل سمعتها ، وكل اعتبارها .. و «الزعماء الاخرون» يلزمون اماكنهم التقليدية في مقاعد المتفرجين ، انتظارا لاشارة من اصبع «الملك» يحلون بعدها محل «الحكومة» التي كان تيار الفساد الحزبي قد جرفها أمامه ، ولم يعد لديها مايمكن أن تتوقى به النهاية التي بانت لها علاماتها ، وسمعت دبيب أقدامها ، الا الامعان في العمل على الفوز برضـــاء الملك ، وذلك بالاسراف في تملقه وبالمبالغـــة في الزلفى اليه، وبالمسارعة الى تنفيذ رغباته ، حتى قبل ان ينطق بها .. !! ولم يمنعها من ذلك ، ان رغبات «الملك» هذه، لم يكن لها غير نبع واحد تنبع منه .. ذلك هو نبـــع الانحراف ، والشـــطط ، والتجـــاوز الكامل لكل حق ، ولكل قانون .

كانت تلك هي صورة « مصر الرسمية » في اخريات سنة ١٩٥١ . اما « مصر الشعبية » ، في نفس الحقبة ، فكانت صورتها شيئا آخر .. شيئا مختلفا تماما عن تلك التي كانت عليها صورة « مصر الرسمية » .. فبينما كانت هذه قد اضحت ، كما قدمت ، اشبه ما تكون برجل تكالبت عليه امراض الشيخوخة .. كانت «مصر الشعبية» قد تحولت الى بركان يغلي بالغضب ، وبالقلق ، وبالاستعداد المحموم للانفجار .

كانت « العناصر الحرة » في الشعب ، وفي الصحافة ، وفي الجيش ، تقوم بواجبها الوطني في تعبئة مشاعر الجماهير ، وفي ايقاظ وعيها ، وفي تعميق ايمانها بنفسها ، وبارادتها ، وبما تستطيع هذه الارادة أن تفعله .

وغدت كلمة (الثورة) من اكثر الكلمات تدفقا على أسنة أقلام (الكتاب الاحرار) . ولم يكن تدفق هذه الكلمة على اسنة اقلام هؤلاء الكتاب .. ضعيفا ، ولا خافتا ، ولا متلصصا . بل كان تدفقا قويا ، وعاليا ، وذا صوت مسموع .. اشبه بذلك الذي يحدثه موج غضوب يرتطم بالشاطيء . كما غدا (البحث عن زعيم) هما يقلق بال الناس جميعا ، ولم يكن لمثل هذا الهم أن يؤرق الناس الا نتيجة ليأس كامل من الزعامات التي كانت قائمة ، بعد أن عرفوها ، وخبروها ، ولم يكفروا بها الا بعد سنين طويلة من الصبر عليها ، ومن اليقين بأنها قد صدأت ، وتآكلت .. ولم يعد بوسعها ان تصنع شيئا ازاء « جبل الفساد » الذي ما من شك فى أن كلا منها قد اسهم ، بقدر او بآخر ، فى اقامته . !

فى وسط هذا الجو الملبد بالفيوم ، والذي لم يعد فيه من بارقات الامل غير بارقة واحدة ، هي : «الثورة»

.. يقوم بها الشعب ، أو يقوم بها الجيش ، أو يقوم بها الشعب والجيش معا ـ أقدمت (حكومة الوفـد) على خطوة وطنية شجاعة جمعت بها مشاعر الشعب كله من حولها ، وأنسته بها أخطاءها ، وقصورها ، وتقصيرها . الفت الحكومة (معاهدة سنة ١٩٣٦) التى كانت قائمة بيننا وبين بريطانيا .. وهى المعاهدة التى كانت تكفل لبريطانيا حقا شرعيا فى احتلال أراضينا ، وفى استغلال مواردنا ومرافقنا ، الى ابعد حدود الاستغلال التى يمكن ان يباشرها جيش أجنبى يحتـــل أراضى دولة أخرى برضائها وموافقتها ، وبموجب (معاهدة) قائمة بينه وبينها !

أقدمت (حكومة الوفد) على هذه الخطوة الشجاعة فى اكتوبر سنة ١٩٥١ ، بعد أن كانت قد طلبـــت من بريطانيا ـ فى مارس سنة ١٩٥٠ ـ الدخول فى مفاوضات معها لتحقيق جلاء قواتها عن مصر ، ووافقت بريطانيا ـ كما هى العـــادة ـ على طلب الحكومة .. وبدأت المفاوضات ...

الا أن المفاوضات بين الجانبين ، وكما هى العـادة ايضا ، استطالت حتى بلغت ١٩ شهرا (من مارس سنة ١٩٥٠ الى سبتمبر سنة ١٩٥١) ، أقدمت ، بعـدها ، (حكومة الوفد) على هذه الخطوة الوطنية التى نجحت ـ باقدامها عليها ـ فى اشعال جذوة الحماسة فى صدور الشعب ، وفى الفوز بتصفيق خصومها وتأييدهم ، قبل تصفيق وتأييد انصارها .

ولقد قيل فى تفسير هذه الخطوة الوطنية التى اقدمت عليها (حكومة الوفد) كلام كثير :

● **قيل ان (الوفد) اراد ان يغطى اخفاقه فى المفاوضات التى طالت ١٩ شهرا ، دون الوصول الى نتيجة ، فضلاً عما كان منسوبا اليه من تساهل فيها ، بعمل يكون له تاثير خاص على مشاعر**

الجماهير ، يصرفها عن محاسبة (الوفد) على اخفـــاقه فى المفاوضات ، وتساهله فيها .

● وقيل أن (الوفد) ، وقد وقع اثناء حكمه فى اخطاء فادحة ، كان من أبرزها سياسته فى ملاينة الملك . وهجومه من أجله ، ولحسابه ، على حصون الحرية ممثلة فى الصحافة ، وفى البرلمان، وفى القضاء ، هجوما غير متحرز ، وغير مبق على خطوط الرجعة ـ وهى السياسة التى خسر بها (الوفد) الشعب ، ولم يكسب الملك ـ أراد أن يغطى هذا كله بعمل يتسم بطابع الاقدام والجراة ، ويلفت أنظار الشعب عما وقع فيه من اخطاء فادحة ، الى هـذه المعركة الجديدة التى كان حتما أن ينصرف اليها الشعب عن كل ما عداها .

● وقيل ان (الوفد) أراد أن يقوى مركزه امام الملك ، بعد اذ ترامى اليه أنه كان يعد العدة لاقالته من الحكم ، على الرغممن كل ما قدم له من تنازلات ، وما حقق له من رغبات ، تمت جميعها على حساب الشعب ، وعلى حساب الدستور .. وكان من نتائجها أن خسر (الوفد) نفسه سمعته ، وأصيب فى الصميم من كيانه . وعلى ذلك ، أقدم (الوفد) على هذه الخطوة التى قدر سلفا انها سوف تكسبه تأييد خصومه قبل انصاره ، ليضع بها (الملك) فى موقف صعب لا يستطيع معه الاقدام على اقالته !!

قيل هذا الكلام كله فى تفسير اقدام (حكومة الوفد) على الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ . ولكن ، مهما يكن ما قيل فى شأن الاعتبارات ، والملابسات ، التى أملت على (الوفد) الاقدام على هذه الخطوة .. فانها ، فى حد ذاتها .. وبغض النظر عن كل اعتبار يمكن أن يكون قد أملاها ، أو أسهم فى املائها ـ ، جديرة بأن تسجل له كعمـــل وطنى تاريخى كان له من الأثر المباشر ، والعميق ، فى تجديد عزيمة الشعب ، وفى بعث روح الكفاح فيه ، ما لا يستطيع منصف أن ينكره .

***

أحدثت خطوة (الوفد) هذه دويا هائلا ، اهتزت له أوصال جهات متعددة .

● اهتزت له أوصال الاحزاب التقليدية التى كانت

تعتمد « مهادنة الاستعمار » سياسة أساسية لهـا .
فرأت فى هـذه الخطوة الجريئة تهديما لسياستها من الأساس ، وتعرية لها عند أنصارها !! ومن ثم ، مضت تنتقص من قيمة هذه الخطوة ، وتشكك فى قدرة (حكومة الوفد) على الثبات فيها !!

● واهتزت له أوصال الاحتكاريين الذين كانوا يعتمدون « التعامل مع الاستعمار » أساسا لنشاطهم ، ولازدهار هذا النشاط ، ورأوا فى هذه الخطوة الوطنيـة ضربة تصيب نشاطاتهم فى صميمها !!

● واهتزت له ، قبل الجميع ، أوصـال الدوائر البريطانية ، فسارع (هربرت موريسون) وزير خارجية بريطانيا وقتها ــ الى الرد على اعلان حكومة مصر ، بتصريح قال فيه :

« ان بريطانيا لن تتردد فى استخدام القوة ، اذا اقتضى الامر ، لابقاء قواتها فى منطقة قناة السويس · وانها لن تذعن لمحاولة مصر تمزيق المعاهدة » !!

***

وفى مساء ٨ أكتوبر سنة ١٩٥١ ــ نفس اليوم الذى قررت مصر فيه الغاء المعاهدة ــ أذاعت «السفارة البريطانية فى القاهرة » بيانا قالت فيه :

« ان الغاء الحكومة المصرية لمعاهدة سنة ١٩٣٦ ــ من جانبها وحدها ــ عمل غير قانونى ، ويخالف أحكام المعـاهدة · وان الحكومة البريطانية تعتبرها سارية المفعول ، وتعتزم التمسك بحقوقها التى تكفلها لها هذه المعاهدة » !!

وتحدث زعيم بريطانيا العجوز ·· (ونستون تشرشل) ــ وكان وقتئذ يتزعم المعارضة فى مجلس العموم البريطانى ــ تحدث أمام المجلس عن قيام مصر بالغاء المعاهـدة ، فقال :

« ان اقدام حكومة مصر على اجلاء الانجليز عن منطقة قناة السويس ، يعتبر ضربة خطر ، وأكثر مهانة لكرامة بريطانيا ، في اضطرارها الى الجلاء عن (عبدان) بايران » !!!

ولقد ترتب على الغاء المعاهدة ، من ناحية مصر ، الغاء جميع الاعفاءات التى كانت ممنوحة لجيش الاحتلال البريطانى بمقتضى تلك المعاهدة . ومن المهم أن تعرف أنها كانت تشمل كل شيء تقريبا : الرسوم الجمركية المهمات ، والاسلحة ، والعتاد ، ومواد التموين . وكذلك الرسوم المستحقة على مرور السفن التى كانت تعمل فى خدمة القوات البريطانية ، وأجور النقل ، والاتصالات البرقية والتليفونية الخاصة بهذه القوات . وكذلك امتنعت الجمارك عن تقديم التسهيلات الجمركية الاخرى الخاصة بأولوية المرور ، والتفريغ ، والشحن ، الا بعد استيفاء جميع الاجراءات القانونية المفروضة على جميع السفن الاجنبية . كذلك امتنعت السكك الحديدية عن أداء أية خدمة للقوات البريطانية ، أو نقل أى مهمات أو عتاد لها . كذلك امتنعت الحكومة ـ بصفة عامة ـ عن أداء التسهيلات ، والخدمات التى كانت تؤديها للسلطات العسكرية البريطانية ، وفى مقدمتها : مواد التموين . كما منعت وصول ضباط وجنود القوات البريطانية الى داخل البلاد . وحرمت على الرعايا البريطانيين المدنيين الذين كانوا يعملون فى خدمة القوات البريطانية القادمين من الخارج ، دخول مصر ما لم يكونوا حاملين لجوازات سفر معتمدة من القنصليات المصرية فى البلاد القادمين منها . كما أنهت الحكومة تصاريح الاقامة للبريطانيين الذين كانوا يقيمون بمصر بسبب الخدمة فى القوات البريطانية ، أو لصالحها . كما منعت هبوط الطائرات العسكرية البريطانية بالمطارات المصرية ، أو تزويدها بالصيانات الجوية الفنية ، أو بأى نوع من التسهيلات .

وبدأت المعركة ... وكان لابد من أن تبدأ ...

فلقد ترتب على هذه القرارات المصرية أمران كان ، حتما ، ان يترتبا عليها : فقدت بريطانيا ، من ناحيتها ، رشدها . وارتفعت روح الشعب، بالتالى، الى الذروة.

وكان العمال .. عمالنا .. هم أسرع الجميع الى دخول المعركة التى فجرت بريطانيا شرارتها الاولى بمحاولة للحفاظ على هيبتها . فبعثت الى منطقة القنال بثلاث ناقلات جنود تقل نحو ثلاثة آلاف من قواتها لتعزيز القوات البريطانية المرابطة فى منطقة القنال !!

وصلت هذه القوات الجديدة الى بورسعيد يوم ١٣ اكتوبر سنة ١٩٥١ . وما أن شرع الجنود فى ركوب القطارات التى كانت ستنقلهم الى معسكراتهم ، حتى روعوا بذلك المارد الذى كانوا يظنون انهم قد انتهوا من أمره بحبسه داخل قمقم لن يستطيع الخروج منه .

امتنع عمال السكة الحديد عن تزويد القطار الذى أعد لهم بالماء وبالوقود ، كما امتنعوا عن اعداده للسير .. ورفض سائق القطار ومساعده ، العمل فيه . كذلك رفض سائقو وعمال القطارات الاخرى التى كانت مخصصة لنقل القوات البريطانية العمل فيها . وترتب على ذلك وقف تسييرها ، فاضطرت السلطات البريطانية الى نقل الجنود ، والضباط ، وعائلاتهم الى المعسكرات فى سيارات الجيش البريطانى .

كذلك امتنع عمال الشحن والتفريغ فى موانىء القنال، عن تفريغ حمولة البواخر البريطانية . وفى الايام القليلة الاولى التى أعقبت الغاء المعاهدة ، ظل اكثر من سبع عشرة باخرة بريطانية تهيم فى القنال ، دون أن تستطيع الاستقرار ، ودون أن تستطيع انزال ما عليها من جنود وعتاد .. بعد أن تخلى عنها عمال الشحن والتفريغ ،

ومضى العمال المصريون ، بكل الايمان بأنفسهم ، وبكل الولاء لوطنهم يكيلون الضربات لبريطانيا .. فامتنع من كان يعمل منهم في المعسكرات البريطانية عن العمل فيها . انسحبوا جميعهم منها .. وبلغ عدد العمال المنسحبين ٦٠ ألف عامل ، كانوا يعملون في المعسكرات البريطانية ، وفي ورشها ، ومصانعها ، واداراتها المختلفة .

ولقد اثبت العمال بموقفهم البطولي الرائع هذا ، انهم في مستوى المعركة . كذلك اثبتوا أن الروح المصرى الذى ظن به البعض الظنون ، وحسبوا انه قد مات وخمد .. لم يمت ، ولم يخمد . فقط ، كان مختبئا تحت الرماد !

وقابلت الحكومة هـذا الموقف البطولى الذى قوى عزائمها ، وثبت أقدامها ، بما يستحقه من تأييد وتشجيع . فألحقت جميع العمال الذين انسحبوا من العمل فى المعسكرات البريطانية ، بمصالحها المختلفة ، وصرفت لهم أجورهم منذ انقطاعهم عن العمل . وأعلنت بلسان وزير الشئون الاجتماعية فيها — « عبد الفتاح حسن » — انه لن يبقى منهم واحد بغير عمل . ومن لم يتيسر للحكومة ايجاد عمل له ، لم تتردد فى أن تصرف له أجره . وذهب العمال ، من ناحيتهم ، الى مدى أبعد فى التضحية .. فقبلوا أن تصرف لهم الحكومة أجورا أقل من تلك التى كانوا يتقاضونها نظير عملهم فى المعسكرات البريطانية ! ومع ذلك ، فقد بلغ ما تحملته الحكومة لصرف أجور العمال المنسحبين ستة ملايين جنيه فى عام واحد .

وكان لهذا الموقف العمالى الرائع ، أثره العميق ، والبعيد فى الداخل ، وفى الخارج على السواء . ففى الداخل : اشتدت به ، كما قلنا ، عزائم الحكومة ، وثبتت أقدامها . وفى الخارج : فهم العالم ، وبريطانيا على رأسه ، ان القاعدة البريطانية فى قنال السويس ليست آمنة من الخطر . وان استمرارها وسط بحر

الكراهية التى يحيط بها ، لن يكون مجديا لبريطانيا . ولا لحلفائها .. لا فى المستقبل القريب ، ولا فى المستقبل البعيد على السواء . !

***

وما هى الا أيام حتى كان الشعب كله قد خرج من الظل ليلقى بنفسه فى قلب المعركة .. وأخذت العناصر الثورية والوطنية فى صفوف الشعب ، وفى صفوف الجيش تنظم كتائب الفدائيين ، وتسلحها ، وتدربها ، وان هى الأيام قليلة ،حتى كانت منطقة القنال قد تحولت الى ميدان قتال حقيقى . فراح الفدائيون يهاجمون المعسكرات البريطانية ، ويهاجمون الجنود البريطانيين الذين كانوا يتساقطون بالعشرات تحت ضربات قنابلهم اليدوية .. بينما الانفجارات تدوى طوال الليل هنا ، وهنالك ، وفى كل مكان يقع فيه معسكر بريطانى !

وفقدت قيادة جيش الاحتلال السيطرة على اعصابها . فأصدرت الاوامر لجنودها باطلاق النار على كل شىء يتحرك .. سواء كان رجلا ، أو امرأة ، أو سيارة ، أو حتى مجرد جنازة !!

كانت أسلحة الجيش البريطانى اكثر . ولكن ايمان الشعب كان أعظم .

وبينما كان الشعب ، والفدائيون من أبنائه .. يخوضون فى منطقة القنال معركة انتحارية ضد قوات تفوقها عددا ، وعدة . كان « الملك » فى القاهرة يرتب لطعن الشعب فى ظهره . فلم يكن (الملك) ، من الأصل ، موافقا على الغاء المعاهدة . لكنه اضطر الى توقيع مراسيم الغائها اضطرارا . ذلك انه قدر ان امتناعه عن ذلك ، سوف يؤدى ـ بالضرورة ـ الى استقالة الوزارة التى لن تخفى على الشعب ـ اذا ما استقالت ـ أسباب

اســـتقالتها . ومعنى هذا أن يكشف الملك للشعب عن وجهه القبيح كسليل للخيانة ، ويضع خيانته الموروثة فى قلب بؤرة من النور تفضحها .. وتعريها ! !

من هنا جاء اضطرار (الملك) الى الموافقة على الغاء المعاهدة . ولكنه ، فى ذات الوقت ، راح يؤكد للانجليز انه حافظ للعهد ، ومقيم على الولاء . ثم مضى يقـدم لهم الدليل المادى على ذلك . فأصـدر أمره ، فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، بتعيين أحـد رجالهـم (حافظ عفيفى باشا) رئيسا لديوانه الملكى . ثم ألحق هذا الامر بأمر آخر أصدره فىاليوم التالى مباشرة ، كأنه لايستطيع أن يصبر ، بتعيين رجل آخر من رجالهم (عبد الفتـاح عمرو باشا) سفير مصر فى لندن ، مستشارا خاصـا فى الشئون الخارجية !!

وكما فهم الانجليز مغزى هـذين الأمرين الملـكيين بالنسبة لهم . فهم الشعب أيضا مغزاهما بالنسبة له . فانفجرت المظاهرات فى كل مكان احتجاجا على قرارات (الملك) .. ومضى الطلبة الى (قصر عابدين) فىمظاهرات صاخبة تهتف بسقوط « فيفى » .. و « حافظ عفيفى » .. وكان « فيفى الذى هتف الطلبة بسـقوطه هو .. « فاروق » نفسه !!

وفى « ساحة عابدين » .. نفس السـاحة التى قذف فيها (أحمد عرابى) فى وجه (الخديو توفيق) بكلمتـه التى حفظها ، عن ظهر قلب ، تاريخ كفاحنا الوطنى ضد الانجليز ، وضد الاسرة العميلة .. أسرة محمـــد على : « لقد ولدتنا أمهاتنا احرارا ، ولن نستعبد بعد اليوم » - فى نفس هذه الساحة التى قذف فيها ثائر من أبنـاء مصر بعبارته التاريخية هذه فى وجهه « خديو مصر » ، مزق الطلبة صورة «فاروق» وداسوها بأحذيتهم !! وكان

ذلك نذيرا للملك ، ليس أفظع منه نذير !

***

قبل ذلك بأيام كان الموقف فى منطقة القنال قد اشتعل نارا . كان الفدائيون قد شددوا هجماتهم على الانجليز . وكان طبيعيا أن يواجه الانجليز عنف الفدائيين هذا بعنف أشد . فلم يكن أمنهم وحده هو الذى أضحى فى كف القدر . بل أيضا سمعتهم ، وهيبتهم ، التى مرغها الفدائيون فى التراب !

عزل الانجليز منطقة القنال عن بقية اجزاء مصر . منعوا الخروج منها والدخول اليها .. وأخذت هجماتهم على مدن القنال وأحيانها تأخذ شكلا وحشيا .. استخدموا فيه الدبابات ، ومدافع الهاون ، وكل أسلحة القتال من خفيفة وثقيلة ! !

وفى احدى هجماتهم الوحشية على مدينة السويس أزالوا من الوجود قرية بأكملها .. هى قرية (كفر أحمد عبده) . بعد أن زحفوا عليها بقوة تتألف من حوالى ستة آلاف جندى تعززها المدافع ، والمصفحات . والدبابات ... والطائرات أيضا !!

وقالت حكومة مصر فى مذكرة عنيفة اللهجة أبلغتها الى الحكومة البريطانية احتجاجا على هذا العمل الوحشى ، وضمنتها ، فى نفس الوقت ، قرارها بسحب السفير المصرى (عبد الفتاح عمرو) من لندن — قالت الحكومة فى مذكرتها هذه : « ان مثل هذه القرية ، سيظل كمثل (دنشواى) منقوشا على صفحات قلوب المصريين أثرا باقيا للفظائع ، واعمال الظلم ، والجبروت التى طالما ارتكبها الاحتلال البريطانى فى أرض الوطن »!

حدث ذلك فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٥١ — وبعده .. راحت المعارك والأحداث ، تتلاحق ، وتتصاعد فى سرعة

وعنف شديدين . الانجليز ، من ناحيتهم ، يريدون قهر ارادة الشعب .. والشعب ، من ناحيته ، مصمم على عدم تمكينهم من قهر ارادته . ولم يتردد ، لحظة ، فى تقديم مئات الشهداء ، وآلاف الجرحى من صفوفه ، قربانا لهذا التصميم .

وبينما كان دخان المعركة يغطى كل شىء .. وبينما كان الانجليز ، فى منطقة القنال ، يقتلون ، ويدمرون ، ويحرقون .. وبينما كان (الملك) فى القاهرة ، يشحذ خنجره ، ويتهيأ لكى يخون . اذا بصوت كهزيم الرعد

يدوى فجأة . فترتعد له فرائص (الملك) ، وفرائص الرجعية التى كانت تقف حوله ، ومن ورائه ، تزين له الخيانة ، وتشجعه عليها . كأنها كانت تجهل أن الخيانة تسرى مسرى الدم فى عروقه ، وأن مثله ليس فى حاجة الى من يشجعه لكى يخون !

كان ذلك الصوت الذى دوى كهزيم الرعد ، بينما دخان المعركة يغطى كل شىء .. فارتعدت له فرائص الملك ، وفرائص الرجعية التى كانت تقف حوله ، ومن ورائه ، هو : (صوت الضباط الاحرار) . وكان لارتعاد فرائص (الملك) ، من هذا الصوت بالذات ، ما يبرره . فلقد كان (الملك) — حتى آخر وقت — يتوهم .. ويوهمه أذنابه الذين فرضهم على رأس الجيش ، ان الجيش معه .. وانه ما دام الجيش معه ، فليس له أن يخاف شيئا ، ولا أن يقلق من شىء . واذ كان (الملك) لم يسمع ، عمره ، بالحكمة التى تقول : « من مأمنه يؤتى الحذر » . فانه لم يعر ما كان يعتمل فى نفوس الشباب من ضباط الجيش انتباها ، وظل مقيما على وهمه الكبير بأن الجيش جيشه ، وليس « جيش الشعب » ..

حتى جاءه (صوت الضباط الاحرار) يدوى فى سمعه بهذه الكلمات التى حملها اليه ، والى عملائه ، وأذنابه ، واحد من منشوراتهم التى كانوا قد بدأوا ، من سنتين سابقتين ، يطبعونها فى السر .. ويوزعونها فى السر .. لتقرأ فى العلن :

« ان هيئة الضباط الاحرار التى ترمى الى القضاء على الاستعمار وتحقيق الاستقلال التام للوطن ، تعلن أنها تؤيد الحكومة فى الخطوات التى اتخذتها ضد الاستعمار . وتعتبر ذلك بداية للحرب المقدسة ضد أعداء الوطن ، يجب أن تتلوها خطوات أخرى حتى نصل الى الحرية والاستقلال . وتطالب بعدم الارتباط مع بريطانيا ، فهى العدو الطبيعى لنا ، وهى التى تحتل ارضنا ، وهى الحليفة الخائنة التى انتهزت محنتنا فى حرب فلسطين فمنعت عنا السلاح ، وسلحت اليهود حتى نفقد ثقتنا بأنفسنا وبجيشنا .

« ونطالب برفض الارتباط بحلف البحر الابيض المتوسط ، أو بغير ذلك من الاحلاف التى تدعونا اليها الدول الاستعمارية .. كالحلف المعروض علينا من أمريكا ، وانجلترا ، وفرنسا ، وتركيا .. والذى يوفر للكتلة الغربية ملايين المصريين الذين يموتون فى سبيل تدعيم الاستعمار ..

« ونطالب بتكوين جيش للتحرير لطرد الانجليز الغاصبين من القنال . ونعلن استعدادنا للقيام بهذا الواجب الوطنى مع المتطوعين من أفراد الشعب . فلن يخرج الانجليز من القنال الا بحرب العصابات ، كما خرجوا من فلسطين .

« ونطالب بأن تكون مهمة الجيش ، هى تحقيق استقلال البلاد .. ولا نقبل أن يستخدم الجيش للقضاء على الحركة الوطنية . فان الجيش جزء من الشعب . وآماله ، ومطالبه ، هى آمال ومطالب الشعب . ولن تقوم للجيش قائمة الا فى بلد متحرر قوى » .

***

اذن .. فالشعب الذى كان يقاتل فى القنال ، لم يكن وحده فى المعركة . ان جيشه معه ، وضباطه الاحرار معه . فليجمع (الملك) وراءه ، ومن حوله ، ما يشاء

من الخونة والعمـــلاء . وليضيف الى « حافظ عفيفى » و « عبد الفتاح عمـرو » ، و « كريم ثابت » و « الياس أندراوس » ، من يشاء ، ومن يريد ... فلم تعد الكلمة له ، ولا للاحتلال ، ولا لواحد من عملاء الاحتلال هؤلاء . بل لقد صارت الكلمة للشعب، ولجيش الشعب.. يقولها كل منهم بطريقته ، وبأسلوبه . ولكنها ، فى كل الاحوال، كان لها من القوة ، ومن الدوى ، ومن الخطر ، ما كان حريا أن ينخلع له قلبه ، خاصة كلما مر بعينيه فوق سطور منشور (الضباط الاحرار) الذين قالـوا له فى كلمات حارقة كالنار ، وواضحة كضوء النهار ــ ومن المؤكد انه كان يسمعها لاول مرة فى حياته : « ان الجيش ليس جيشه .. وانما هو جيش الشعب » .

***

وبينما كان هذا يحدث فى القاهرة .. فى قلب (قاعة العرش) ، وقريبا منها . كانت (معركة القنال) لا تزال دائرة بأقصى العنف بين الشعب وجيش الاحتلال الذى لم يترك له الشعب ، ولم يترك له الفدائيون فرصـــة يلتقط فيها انفاسه .. وعلى الرغم من كل ما لجأ اليه جيش الاحتلال من قتل، وحرق ، وتدمير . فان الشعب لم يتراجع .. والفدائيون لم يتراجعوا. بل لقد ازدادت أعمالهم ــ نتيجة لهذا كله ــ جرأة وعنفا . الى حد انهم حاولوا ، فى ٣١ ديسمبر ١٩٥١ ، اغتيال (البريجادير جنرال اكسهام) ، قائد القوات البريطانية فى منطقـة الاسماعيلية ــ بأن قذفه بعض الفـدائيين ، أثناء توجهه الى (القصاصين) ، بثلاث قنابل يدوية أخطـأته .. وقتلت قائد سيارته !!

عندئذ ، لم يطق القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الاوسط صبرا على تلك النيران التى كانت تصب

على رؤوس جنوده : فى منطقة القنال ، من كل مكان .. ومن أى مكان . فانتهز فرصة وصوله الى مقر قيادته فى (فايد) عائداً من لندن ، فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١ – نفس اليـــوم الذى حاول فيه الفدائيـــون اغتيال (اكسهام) – وأدلى بتصريح خطير قال فيه :

« انه لخطأ كبير أن يتخيل أى انسان ، أن أعمال الضغط ، والارهاب ، وما يتلوها من نتائج لا مفر منها ، تؤثر ، بأى شكل من الاشكال ، فى عزمنا على الاحتفاظ بمركزنا فى منطقة القنال . واذا اقتضت الضرورة ، فاننا سنستمر فى أعمال المقاومة شهرا فى اثر شهر ، بل ولشهور عديدة اذا احتاج الامر . وسنقابل القوة بالقوة . مستخدمين من جانبنا ما لا يزيد عن الحاجة . ولدينـــا القوة الكافية تحت تصرفنا . كما لدينا التأييد من عـــدة بلاد أخرى . فلا يخدعن أمرؤ نفسه بالتفكير فى اننا سنغير سياستنا مع مرور الوقت ، أو نتيجة للارهاب » !

لم يكن هناك ما هو ادق فى الاعتراف بفداحة الكارثة التى حلت ببريطانيا ، من هذا التصريح الذى قصد منه القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الاوسط : ان يكون تخويفا للشعب ، وللفدائيين من أبنائه . فاذا هو يجيىء اعترافا صريحا ، ودقيقـــا ، بأثر الضربات ألتى كان الشعب يوجهها الى جيش الاحتلال . الامر الذى اضطره الى التهديد بالرد عليها لا بقوة بريطانيا وحدها ، بل وبقوة بلاد عديدة أخـرى . قال : « ان لديه التأييد منها » !!

وترتب على هذا التصريح ما كان متوقعا . ازدادت اعمال قوات الاحتلال وحشية وعنفا . فتعرضت مدن القنال الكبرى . بل وقراها جميعا لهجمات بريطانيـــة بالغة الوحشية ، واجهها الفدائيون ببســـالة رائعة ، سجلتها الصحف البريطانية نفسها ، واعترفت لهم بها . فكتبت صحيفة (الديلى ميرور) تقول :

« لا نستطيع ، بعد اليوم ، أن نقول عن قوات التحرير المصرية،

المؤلفة من شباب متحمس . انها احدى الدعايات المضحكة . لقد دخلت المعركة بين مصر وبريطانيا فى دور جديد . فلقد استمر القتال ، يوم السبت الماضى ، يوما بأكمله . وظل الطلبة المتحمسون يحاربون فرق (الكاميرون) ، و (الهايلاندرز) باستماتة عجيبة » !!

● وقالت جريدة (نيوز كرونيكل) تصف معركة دارت فى يومي السبت ، والاحد : ١٢ ، ١٣ يناير سنة ١٩٥٢ فى منطقة (التل الكبير) :

« انها أولى المعارك المنظمة تنظيما جيدا . فقد ثبت المصريون فى القتال ، ولم يركنوا الي الفرار . حتى لقد علق أحد الضباط الانجليز على هذه المعركة فوصفها بأنها اعنف من أى معركة خاضوها ايام الانتداب البريطانى فى فلسطين . » !!

● بينما قالت (التيمس) فى وصف المعركة نفسها :

« ان معظم الضباط الانجليز الذين اشتركوا فى القتال متفقون على أن المصريين حاربوا ببسالة فائقة ، وان كثيرين منهم كانوا يصيبون الاهداف اصابة محكمة . ولقد كان من أعمال الشجاعة النادرة أن يتصدى هؤلاء المصريون لثلاث مجموعات من قوات المشاة الانجليز التى تعتبر من خيرة القوات البريطانية ، والتى كانت مؤيدة - فى نفس الوقت - بالدبابات » !!

***

هكذا مضى أبناؤنا يقاتلون الانجليز ... كانوا يفقدون فى كل معركة شهداء عظماء .. عظماء بشجاعتهم ، وبسالتهم ، وبايمانهم . ولكنهم على هدى النور المتدفق من دماء هؤلاء الشهداء ، كانوا يبصرون طريقهم .. كانوا يبصرون النصر ، ويزدادون تعلقا به ، وسعيا نحوه . وكان من شأن ذلك كله أن ازدادت المعارك شراسة .. خاصة من جانب قوات الاحتلال التى قلت لك انها لم تكن تقاتل دفاعا عن أمنها وأرواحها فحسب . بل وأيضا دفاعا عن سمعتها التى كانت قد انهارت ، حتى وصلت الى الحضيض ! ..

حتى اذا كانت ليلة الجمعة، ليلة الخامس والعشرين من

يناير سنة ١٩٥٢ ـ احتشدت ،في مواجهة مبنى محافظة الاسماعيلية ، قوات بريطانية هائلة ، تؤيدها الدبابات ، والمصفحات ، ومدافع الميدان ، بهدف محاصرة مبنى المحافظة وثكنات بلوكات النظام . كان هذا الحشد العسكرى مقدمة لأحداث رهيبة شهدتها المدينة ، وتحدث عنها العالم ، وكان لها ـ فيما بعد ـ آثارها المباشرة ، والعميقة ، على مجرى التاريخ .. ليس فى بلدنا فحسب ، بل فى المنطقة العربية بأسرها .

وليس فى هذا الذى اقوله اية محاولة من جانبى للتضخيم من آثار الاحداث التى شهدتها مدينة الاسماعيلية فى ذلك اليوم التاريخى . فلقد كان « حريق القاهرة » الذى وقع فى السادس والعشرين من يناير من تلك السنة ، بمثابة رجع الصدى لما وقع بالاسماعيلية فى اليوم السابق عليه . وترتب على « حريق القاهرة » أن انتهز (الملك) فرصته ، ليطعن كفاح الشعب فى ظهره . فكانت (ثورة ٢٣ يوليو) ، بدورها ، هى رد الفعل الطبيعى لخيانة الملك لكفاح الشعب . اما ما ترتب على قيام (ثورة ٢٣ يوليو) نفسها من آثار فى مصر ، وفى المنطقة العربية بأسرها .. فما أظننى فى حاجة لان أعود فأذكرك به ..

***

ونعود معا الى (الاسماعيلية) ، وما حدث فيها ..

ففى الصباح المبكر (منتصف الساعة السادسة !!) من يوم الجمعة ٢٥ يناير سنة ١٩٥٢ . دعا القائد البريطانى لمنطقة الاسماعيلية (البريجادير اكسهام) ، ضابط الاتصال المصرى (البكباشى شريف العبد) الى مقابلته بمنزله . وهناك سلمه انذارا بريطانيا ، طلب فيه تسليم أسلحة جميع قوات رجال البوليس من بلوكات النظام ، وغيرهم من الموجودين بالاسماعيلية ، وجلاء تلك القوات عن دار المحافظة ، وعن الثكنات ، مجردة من أسلحتها .. فى الساعة السادسة والربع من صباح ذلك اليوم ، ورحيلها عن منطقة القنال جميعها !!..

أبلغ الضابط المصرى (الانذار البريطانى) الى المسئولين فى المحافظة وفى بلوكات النظام ، فرفضوه .. واتصلوا ، فورا ، بوزير الداخلية (فؤاد سراج الدين) ، وأبلغوه امر (الانذار) ، وموقفهم منه . فأقرهم عليه . وطلب منهم ـ زيادة على ذلك مقاومة أى اعتداء يقوم به الانجليز على دار المحافظة ، أو على ثكنات بلوكات النظام ، أو على رجال البوليس ، أو على الاهالى ، ومقابلة القوة بالقوة ؛ والصمود فى المقاومة حتى آخر رصاصة فى جعبة هذه القوات .

أبلغ قائد البوليس المصرى ، رد مصر على (الانذار البريطانى) الى (اكسهام) الذى عاد اليه بعد قليل ليبلغه : (انه اذا لم تسلم القوات المصرية أسلحتها فورا فستهدم دار المحافظة ، والثكنات على من فيها) !!

ومثلما رفض قائد البوليس المصرى (اللواء احمد رائف) الانذار الاول ، رفض التهديد الثانى ، وأمر القوات التى تحت قيادته بالمقاومة الى النهاية .. اذا نفذ الانجليز تهديدهم .

ولم يكن ممكنا ـ وقد انهارت سمعة الانجليز ، وتدهورت هيبتهم ـ أن يتراجعوا ، فتزداد هيبتهم تدهورا على تدهور . ولعلهم ، من الاصل ، لم يقدموا على هذه الخطوة الجنونية الا كمحاولة لانقاذ هذه الهيبة مما لحق بها من تدهور ، وانهيار !!

ومن هنا ، فانه لم تكد تمضى دقائق قليلة .. حتى كان الانجليز ينفذون تهديدهم . فمضوا يطلقون مدافعهم على مبنى المحافظة ، وعلى ثكنات بلوكات النظام .. بينما راحت الدبابات ، والسيارات المصفحة تمطر رجال البوليس بسيل من قذائفها ، وطلقاتها .

كان الفارق بين القوتين المتقاتلتين هائلا . فلم تكن

قوة رجال البوليس المصرى تزيد فى عددها عن ٨٨٠ جنديا . منهم ٨٠٠ كانوا بثكنات بلوكات النظام . و ٨٠ بمبنى المحافظة . وجميعهم لم يكونوا مسلحين بغير البنادق . على حين ان قوة الانجليز المهاجمة كانت تبلغ نحو ثلاثة آلاف جندي مسلحين بالدبابات، وبالمصفحات، وبالمدافع الثقيلة والخفيفة !!

وعلى الرغم من هذا الفارق الهائل بين القوتين المتقاتلتين ، فقد استمات رجال البوليس فى الدفاع عن مواقعهم . ودارت بين الفريقين معركة دموية رهيبة ، استمرت ساعتين كاملتين ، ضرب فيها رجال البوليس ، من ضباط وجنود ، مثلا رائعا من أمثلة البطولة التى تنحنى لها الرؤوس اجلالا . فلقد ظلوا يدافعون عن مواقعهم .. وعن شرفهم ، قبل مواقعهم ، حتى آخر طلقة معهم . وعندئذ ، اقتحمت الدبابات البريطانية ثكنات بلوكات النظام ، وأسرت من بقى حيا من أولئك الابطال !

وفى الوقت الذى تغلبت فيه الدبابات على البنادق .. والذى قاتل فيه جنود بلوكات النظام حتى آخر طلقة فى جعبتهم ، كان الاخرون من زملائهم المحاصرين بمبنى المحافظة لايزالون يقاتلون ، ويقاومون ، ويستميتون فى المقاومة على نحو اثار دهشة الانجليز ، وذهولهم .. وأيضا جنونهم !!

واذ رأى الانجليز عنف هذه المقاومة . فانهم لم يملكوا الا أن يخطوا على طريق الجنون خطوة أوسع . فهددوا بنسف مبنى المحافظة على من فيه ، اذا لم تسلم القوة المدافعة سلاحها . ولكن قائد القوة (اليوزباشى مصطفى رفعت) رفض الاستجابة لتهديد الانجليز ، ورد عليهم بقوله : « لن يتسلم منا البريطانيون الا جثثا هامدة »!!

كان « العار » ، وليس « الموت » هو مايتوقاه هؤلاء الابطال • كان « الشرف » ، وليس « الحياة » هو ما ينشدونه • ومن هنا ، استمروا يقاتلون ، ويقاومون ، ولم يضعف من مقاومتهم أنهم كانوا يرون بعيونهم ، ومن مواقعهم التى كانوا يقاتلون منها ، مبنى المحافظة وهو يتساقط قطعة بعد قطعة ، تحت ضربات المدافع • فبقوا على تصميمهم على المقاومة حتى نفدت ذخيرتهم . وعندئذ : كان حتما ان يفرض « الامر الواقع » نفسه عليهم ، وبالتالى .. كان حتما ان يستسلموا اليه •

سقط من جنود البوليس فى هذه المعركة الدموية الرهيبة خمسون شهيدا ، واصيب ثمانون بجراح خطيرة . واسر الانجليز من بقى حيا من أولئك الابطال وعلى رأسهم (اللواء أحمد رائف) .. و (البوزباشى مصطفى رفعت) . ولم يفرجوا عنهم الا فى شهر فبراير

***

كانت تلك هى « معركة الاسماعيلية » بجانبها المفعم بالبطولة ، والفداء ، والشرف : صنعه المصريون . وبجانبها المفعم بالوحشية ، وبالنذالة ، والخسة : صنعه الانجليز . فاستحقت بجانبيها : هذا ، وذاك ، أن تكون مقدمة لتلك الاحداث التاريخية الجسام التى أعقبتها ، وكانت من مستواها .

ولست أستطيع أن أختم هذا الفصل من الكتاب ، دون أن أسجل انه كان هناك من حاول أن يخطىء الامر الذى أصدره وزير الداخلية (فؤاد سراج الدين) لقيادة قوات البوليس بالمقاومة ، حتى اخر طلقة معهم ، فى مواجهة قوات تتفوق عليهم ، عددا ، وعدة ، وما أظن ـ بالمقاييس الصحيحة للشرف ـ أن يعد قرار « سراج الدين » خطأ • انما الخطأ الحقيقى الذى يبلغ مبلغ « العار » ، هو أن يسلم الجندى سلاحه ايثارا للسلامة ، أو حفاظا على الحياة • فان الرجال يذهبون ، ويجىء غيرهم بالعشرات مع

صباح كل يوم جديد ٠ أما « الشرف » ـ خاصة اذا كان هـــذا الشرف شرف أمة ، وليس شرف فرد ـ فانه حين يذهب لن يعود ٠ ولن يعوضنا عنه شيء آخر مهما كان ، ومهما كانت قيمته ٠

ويقيني ، انني ما كنت مستطيعا أن اتوقف عند « معـــركة الاسماعيلية » هذه مثلما توقفت عندها ، الان ، لاعيد على سمعك تفاصيل وقائعها ، لولا ما أحاط بها من شرف ٠٠ ولولا ما تخللها من بطولات ، جعلت منها (مرآة) يسعد المرء أن يعود اليها ، بين الحين والحين ، ليرى فيها نفسه : انسانا يخشى « العار » ولا يخشى « الموت » ٠٠ وينشد « الشرف » ، ولا ينشد « الحياة » ٠فان الحياة ـ أشرف ما تكون الحياة ـ هي أن تعرف كيف تموت دفاعا عن شرفك ٠٠ وان تعرف كيف تموت دفاعا عن أرضك ، وعرضك ٠٠ وبغير ذلك ، لا تساوى الحياة ، بكل ما فيها من متاع ، حفنة من ذلك التراب الذى ندوسه بأقدامنا ٠

وعلى هذا ، فان (سراج الدين) لا يستحق اللوم عـلى الامر الذى أصدره لرجال البوليس بالمقاومة ، وبالصمود فيها لاخر طلقة معهم ٠ الا بمقدار ما يستحقه رجل قاوم لصوصا مسلحين كانوا يحاولون السطو على أرضه ، وعرضه ، فمضى يقـــاوم هؤلاء اللصوص حتى سقط شهيدا دون أرضه وعرضه ٠

الفصل التاسع

القاهرة.. من الذى أحرقها ؟!

طارت الاحداث على جناح الريح ...

ففى مساء ذلك اليوم التاريخى : الجمعة ٢٥ يناير سنة ١٩٥٢ ـ اذاعت وزارة الداخلية ، عن طريق الراديو بيانا للشعب ضمنته تفاصيل تلك الاحـداث الدمـوية الرهيبة التى كانت مدينة (الاسماعيلية) مسرحا لهـا .

لم تكن الحكومة تقصد أن تثير خواطر الشعب بهذا البيان .. فقط ، أرادته ان يكون موصول الصلة بكفاح ابنائه الذين كانوا يقاتلون بشجاعة ، وبسالة نادرتين .. متخذين من منطقة القنال مسرحا رائعا لشجاعتهم ، وبسالتهم .

لكن الاحداث بتفاصيلها الاليمة .. وربما اشتملت عليه هذه التفاصيل من صور الوحشـية التى حارب بهـا الانجليز معركة الاسماعيلية ، لم تدع للشعب قـدرة للسيطرة على نفسه . كان ذلك صعبا . بل كان مستحيلا ومن ثم ، فقد لاح ـ فى اعقاب اذاعة البيان الحـكومى مباشرة ـ ان المشاعر تتهيأ لاضطرام جديد .

وكانت هذه المشاعر التى لاح ، فى مساء الجمعة ، انها تتهيأ لاضطرام جديد ـ كانت على موعد مع الصباح المبكر من يوم السبت ٢٦ يناير . ففى السـادسة من صباح هذا اليوم ، تجمع جنود بلوكات النظام فى القاهرة

بثكناتهم في العباسية .. ثم غادروها وهم يحملون اسلحتهم فى مظاهرة عسكرية صاخبة تهتف بسقوط الانجليز ، وتطالب بالسلاح للذهاب الى القنال .

قطعت المظاهرة ، بصورتها هذه ، قلب العاصمة كله حتى وصلت الى جامعة فؤاد (جامعة القاهرة الآن) وهناك انضم اليها طلابها ، واختلطت هتافاتهم بهتافاتها ، ومشاعرهم بمشاعرها .. وعادت المظاهرتان .. أو المظاهرة الواحدة التى اجتمع فيها جنود بلوكات النظام وطلاب الجامعة فى صف واحد ، وفى مشاعر واحدة ـ عادت الى قلب العاصمة وهى ماتزال تضج بالسخط ، وبالهتاف ، منادية بسقوط الاستعمار والمستعمرين ..!.

وفى قلب القاهرة .. التقت هذه المظاهرة التى جمعت بين الطلبة والجنود فى صف واحد ، وفى مشاعر واحدة ـ التقت بعدة مظاهرات اخرى قامت بها طوائف الشعب المختلفة ، اظهارا لمشاعرها ، واعلانا لسخطها .

اتجهت هذه المظاهرات جميعها الى رئاسة مجلس الوزراء ، والي « قصر عابدين » ، وهى تهتف بطلب السلاح ، وبالذهاب الى القنال للانضمام الى أولئك الذين كانوا يقدمون أرواحهم بسخاء ، فداء لوطنهم . فلما أن جاء ظهر ذلك اليوم ، كان غليان النفوس قد بلغ ذروته . وأخذت المؤشرات جميعها تشير الى ان انفجارا ما وشيك الوقوع .

وما هى الا لحظات حتى حدث الانفجار الذى كان متوقعا . ومن أسف أن عناصر دخيلة على صفوف الشعب أرادت له أن يعبر عن نفسه بالنار ، وبالحريق . فلقد امتدت بعض الايدى الخائنة فأضرمت النيران فى « كازينو أوبرا » ، وانهالت عليه تخريبا وتدميرا ..

وبنفس السرعة المذهلة التى انتشرت بها النيران فى(كازينو اوبرا) انتشرت العدوى بين المتظاهرين . فاذا النـار تشتعل فى كل مكان من المدينة الجميلة ·· واذا هى تأكل اشهر متاجرها ، وافخم مبانيها · وانطلقت الجماهير ـ بغير اتفاق بينها ، وبغير خطة ، وبغير قيادة ـ انطلقت تحرق ، وتخرب ، وتدمر ، وتحيل (القـــاهرة) فى ساعات قليلة ، الى كومة من الانقاض والخرائب !!

وهكذا ··· فى خلال ست ساعات فقط ـ من السادسة صباحا حيث بدأت مظاهرة جنود بلوكات النظام ، الى الثـــانية عشرة ظهرا ، حيث بدأ اول عمود من النـــار يأكل (كازينو أوبرا) ـ كانت نكبة من أفدح النكبات قد حلت بعاصمة مصر ، وبمصر نفسها · وبكفاحها الذى كان مشتعلا فى قلب القنال · فلقد أكلت النيران ، فى هذه الساعات القليلة ، كل ما هو نافع ، وتاريخى ، وجميل ، فى العاصمة الجميلة · اكلت النيران ٣٠٠ من المتاجر ، من بينها اشهر المتاجر التى تعرفهـــا الان : (شيكوريل) ، و (شملا) ، و (هانو) وغيرها · كما أكلت ١٣ فندقا من الفنادق الكبرى ، من بينها : فندق (شبرد) ، وفندق (متروبوليتان) ، وفندق (فيكتوريا) · كذلك اكلت النيران ٤٠ دارا للسينما ، من بينها : سينما (مترو) وسينما (ريفولى) ، وسينما (راديو) ، وسينما (نيانا) · كذلك أكلت النيران ٧٣ مقهى ، ومطعم ، وصالة من بينها : (جروبى) ·· و (الامريكين) · كما أكلت ١٧ مكتبا من مكاتب الشركات والاعمال و ٩٢ بارا ، و١٦ ناديا منها (نادى محمد على) ·· و (نادى رمسيس) ·· ونادى (دار العلوم) ·· و (النادى اليونانى) !!

ومما يستوقف النظر فى هذه الكارثة الفادحة ، أن النيران التى التهمت ، فى ساعات قليلة ، كل قلب العاصمة الجميلة ، وحولته الى خرائب وانقاض ، لم تتوقف عند هذا الحد ، ولم تقنع به ، فاذا هى تمد ألسنتها الى أطراف المدينة ·· فتلتهم (الاوبرج) فى الجيزة · وتلتهم (نادى شل) ·· و (سينما هونولولو) فى حدائق القبة !!·

***

أذهلت هذه الجريمة البشعة الناس عن أنفسهم . اذ

كانت من الفداحة ، كما رايت ، بحيث اقامت مأتما فى كل بيت ، واعتصرت بالحزن كل قلب . ولكن الناس ، بعد أن استفاقوا من ذهولهم ، أخـــذوا يبحثــون عن « المستفيد » من هذه الجريمة المروعة ...

اتجهت أنظار الناس ، على الفور ، الى (الملك) .. والى (الانجليز) معا . فلقد كان معروفا لدى الجميع ، كما ذكرت لك من قبل ، أن (الملك) لم يكن يوافـــق حكومته على قرارها بالغاء المعاهدة . وانه اذا كان قـــد قبل أن يوقع مراسيم الغائها ، فقد فعل ذلك مضـــطرا ومن باب مخادعة الشعب عن حقيقة ما يدور بداخل نفسه .. ثم راح ، من بعد ذلك ، يتصرف على نحو يؤكد به ولاءه للانجليز ، وارتباطه بهم ، واعتماده عليهم . !!

فهل تراه قد دبر لهذه الجريمة البشعة ليتخذ منهـــا فرصة للاطاحة بالحكومة التي أرغمته على ما يكره ، ولانقـاذ اصدقائه الانجليز من غضبة الشعب التى احاطت بهم فى منطقة القنـــال فى صورة كفاح منظم ، كلفهم الكثير من الارواح والاموال ، وبدد أمنهم ، واهدر هيبتهم ؟!.

واذا كان (الملك) لم يفعلها .. فهل فعلها حلفاؤه (الانجليز) ودبروا لها كما دبروا (لمذبحـــة اسكندرية) التى وقعت فى ١١ يونية سنة ١٨٨٢ ، ليتخذوا منها ذريعـــة لضرب الاسكندرية ، بأساطيلهم فى ١١ يوليو من نفس السنة ، ولاحتلال مصر كلهـــا من بعد ذلك ؟!.

ما من شك فى ان احدى هاتين القوتين ــ أو كلتاهما معا ــ كانت لها فائدة حقيقية من وراء مثل هذه المؤامـــرة . فاذا لاحظنا أن تعثر كفاح الشعب فى القنال ، والتواءه ، ثم توقفه .. بعد الاطاحة بحكومة الوفد من الحكم ، كانا من أول النتائج التى ترتبت عليها . كان لنا أن نقول ان التفات الناس الى هاتين القوتين : (الملك) ..و(الانجليز) ــ باعتبار أن واحدة منهما ،أو كلتيهما، كانت وراءالتدبير لهذه الجريمة البشعة ــ انما هو التفات يقوم على أساس

من المنطق الذى تدعمه شواهد متعددة .

ففى ذلك اليوم المشئوم : ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ · كان (الملك) قد أقام ، فى قصره بعابدين ، مأدبة غذاء كبرى ـ ابتهاجا بميلاد (ولى العهد) ـ الامير أحمد فؤاد ـ دعا اليها معظم الضباط الكبار فى الجيش ، وفى البوليس . ولقد انصرف هؤلاء جميعا ، منذ مطلع النهار ، الى اعداد انفسهم لهذه المأدبة الملكية الكبرى ، ثم الى التوجه اليها ، والبقاء فيها طوال الوقت الذى كانت فيه النيران قد بدأت تأكل القاهرة ، فى غيبة من رجال البوليس الذين غاب قادتهم ، بدورهم ، فى ضيافة (الملك) !!

وعلى الرغم من أن (معركة الاسماعيلية) الرهيبة ، كانت قد وقعت فى اليوم السابق مباشرة لهذه المأدبة الملكية ، وان الظروف جميعها كانت تدعو (الملك) الى الغائها ، مشاركة للشعب فى مشاعره نحو شهدائه الذين كانت دماؤهم ماتزال تجرى ساخنة على أرض المعركة ، الا انه لم يشأ أن يفعل ما كانت الظروف كلها تدعوه لان يفعله !·

صحيح أن الاعداد لهذه الحفلة ، والدعوة اليها ، كانا قد تما قبل أن تقع (معـــــركة الاسماعيلية) ، الا أن تمسك (الملك) باقامتها ، بعد أن وقعت تلك المعركة ، ثم الاصرار على الاستمرار فيها بينما كانت القاهرة تحترق ·· وبينما معظم قادة الجيش ، والبوليس ، محتجزون فيها ، كل ذلك يحيط (الملك) بأشد الارتياب فى أنه كان من وراء التدبير لهذه الجريمة البشعة ، وانه اذا لم يكن قد دبر لها بنفسه ، فانه ـ فى أضعف الايمان ـ كان شريكا فيها ، وسعيدا بها ، وراضيا عنها ـ باعتبار انها سوف تمكن له من تحقيق عدة أهداف كان يسعى الى تحقيقها · وأولها : ضرب كفاح الشعب فى القنال ، انقاذا للانجليز من وطأته ·

ودليلنا على ذلك ، انه ـ وهو « الملك » ، الذى بلغه ان عاصمة بلاده تحترق ـ لم يبادر الى صرف قادة البوليس على الاقل ، من حفلته ليقوموا بواجبهم الوطنى فى قيادة جنودهم فى محاولة للسيطرة على ذلك الانفجار المروع الذى التهم العاصمة ، ودمرها . ! !·

ولقد حاول « الملك » - ومن ورائه اجهزته - ان يلصق جريمة حرق القاهرة (بالحزب الاشتراكى) بالذات .. وبزعيمه (احمد حسين) ، وببعض العناصر الوطنية الاخرى التى كانت تسبب له ، ولبطانته ، ازعاجا شديدا. والقى القبض بالفعل ، على (احمد حسين) ، وعلى عدد غير قليل من انصاره بتهمة حرق القاهرة .. الا ان رحمة الله تداركتهم جميعا ، فسقط (الملك) . وبرأ القضاء ساحتهم .

كانت هذه المحاولة من جانب (الملك) ، وأجهزته ، تاكيــــدا آخر لذلك الارتياب الشديد في أنه كان من وراء هذه المؤامرة . اذ رأى الناس فيها صرفا لهم عن الالتفات الى المجرم الحقيقي الـذى لم يكن يداخلهم اقل شك فى انه واحد من اثنين : (الملك) ، أو (الانجليز) .. أو كلاهما معا .

***

وليس من شك فى ان مصلحة (الانجليز) من وقوع مثل هذه النكبة كانت مساوية تماما لمصلحة (الملك) ، ان لم تزد عليهــــا ، لانه اذا كان موقـــع (الملك) من (الانجليز) ، هو موقع التابع من المتبوع - وهذه حقيقة لاخلاف عليها - الا ان المتبوع، أعنى (الانجليز)، هم الذين كانوا يصطلون بتلك النار التى صبها الفدائيون على رؤوسهم فجأة ، اكثر مما كان يصطلى بها (الملك) نفسه . ومن ثم ، فان اشتراك (الانجليز) مع (الملك) فى التدبير لهذه المؤامرة ، بدفع بعض عملائهم ، واعوانهم ، وسط تلك المظاهرات الشعبية التى بدأت سلمية وبريئة ، ليحدثوا بعض الحرائق هنا ، وبعض الحرائق هناك ، ثم يتركوا الامر ، من بعد ذلك ، للروح التى تتسلط على (الجماعة) فى مثل هذه الظروف - امر يقول به العقل

ولا ينهض وقوع بعض حوادث التخريب على بعض الممتلكات الانجليزية دليلا على براءة الانجليز ، وعملائهم ، من هذه المؤامرة

البشعة • فلقد حدثنا التاريخ عن وقائع كثيرة ، دلل فيهـــا الانجليز على انهم مستعدون ، دائما ، لان يضحوا باعظم رجالهم وباكثر اموالهم ، فى ســـبيل هدف يرون فى تحقيقه مصلحة للامبراطورية !!•

كذلك لا ينهض دليلا على براءة (فاروق) من هـذه الجريمة ، ما قاله بعض الذين كانوا بجواره فى مساء يوم الحادث ، ووصفوه بانه كان يرتعد كالاطفال من هول منظر النيران وهى تتصـاعد فى سماء القاهرة ـ لا ينهض هــذا الرعب دليلا عـلى براءة (فاروق) • فالثابت ، تاريخيا ، أن (نيرون) بعد أن أحرق (روما) •• وبعد أن راح يغنى على قيثارته منتشيا بذلك المشهد المروع •• مشهد النيران التى أشعلها بنفسه لكي تلتهم عاصمة ملكه • عاد فاستولى عليه رعب شديد من هـــذه الجريمة التى كان ، قبل لحظات ، يغنى على قيثارته منتشيا بها • وأدرك أن الشعب لن يتركه بغير قصاص ، فسارع الى اتهام دعاة المسيحية ، فى ذلك الوقت ، بأنهم هم الذين أحرقوا (روما) •• وأسلمهم الى الاسود الجائعة لتأكلهم عقابا لهم على جريمة لم يقترفوها !!•

ولست اؤكد على اتهام (الانجليز) •• و (الملك) •• بتدبير حرق (القاهرة) ، مدفوعا بمشاعرى الخاصة نحوهما • فلقد سبقنى الى هذا الاتهام كتاب اجانب لعلهم لا يحملون شيئا من العداء ، أو الكراهية ، لا للانجليز ، ولا للملك • فكتب (جورج فوشيه) فى كتابه : (عبد الناصر وصحبه) يقول :

« ان الخدمة التى أدتها حرائق القاهرة لبريطانيا ، تذكرنا بتلك الضربة الفجائية ، القاصمة ، التى وجهت ضد (عرابى) والتى مهدت لتحضير الرأى العام العالمى للحملة البريطانية بقيـــادة (الاميرال سيمور) ، بعد سقوط ٧٥ أوربيـا ، وحوالى ٢٠٠ من المصريين فى (مذبحة الاسكندرية) فى ١١ يونية سنة ١٨٨٢ ، تلك المذبحة التى مهدت لقصف مدينة (الاسكندرية) •• ولاحتـــلال مصر فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ • »

***

● وقال (جاك دومال) •• و (مارى لوروا) •• فى مؤلفهما المشترك : (عبد الناصر : من حصار الفـالوجا.

·· الى الاستقالة المستحيلة) ـ ما يلى :
« خرج الانجليز من حرائق القاهرة ، بأربعة مكاسب :
١ ـ لم ينفذ قرار قطع العلاقات السياسية مع بريطانيا ·
٢ ـ لم تتمكن الحكومة من تنفيذ قرارها بالاحتفاظ برهائن ·
٣ ـ توقف نشاط الفدائيين ·
٤ ـ انتهى فؤاد سراج الدين !·

« وما من شك فى أن (الملك فاروق) كان يعلم جيدا أن (مجزرة الاسماعيلية) سوف تثير الاضطرابات ·· ومع ذلك ، لم يحاول أن يؤجل مادبة الغذاء التى كان قد دعا اليها · وذلك ـ كما يبدو واضحا ـ بهدف تجميد البوليس والجيش ، ومنع تدخلهما · فان جميع قادة البوليس والجيش كانوا بين المدعوين الى هذه المادبة !!
« وعندما أخطر (الملك) ـ رسميا ـ باشتعال النار على نطاق واسع ، فى مختلف انحاء العاصمة ، فانه لم يتحرك ، وظل يكرم ضيوفه ·!!

« كيف يمكن للمرء ، اذن ، فى مثل هذه الظروف ، أن ينفى قيام تواطؤ بين (فاروق) وبين جهاز (المخابرات البريطانية) · لا سيما وقد شوهد بعض رجال ذلك الجهاز وهم ينطلقون فى شوارع القاهرة ، يحرضون على اشعال النار والقتل ؟؟· »

***

هذه نظرة ثلاثة كتاب اجانب محايدين ـ ليسوا مع مصر ·· وليسوا ضد بريطانيا ـ للايدى الخفية التى كانت وراء تلك المؤامرة البشعة التى حققت للحليفين الطبيعيين : (الملك) ، و (الانجليز) ·· فى وقت واحد، وفى سرعة خاطفة ، اهدافهما المشتركة التى كانا يسعيان اليها · فاجهض كفاح الشعب فى القنال · واسقطت (حكومة الوفد) · واعلنت الاحكام العرفية ، فالتقى سوادها مع سواد الدخان الذى كان مايزال يتصاعد من انقاض القاهرة ليحجبا الرؤية عن أعين الشعب حتى لا يبصر شيئا مما كان يدبره له الخونة ·· والمتآمرون ·!!
... وراحت حلقات المأساة تتتابع .

الفصل العاشر

ملك لعبته الرجال !

كان الدور الذى اريد للملك ان يلعبه على مسرح الاحداث الذى كان قد استحال الى برميل من البارود ، دورا عسيرا .. وغير مأمون العواقب . ومع ذلك شرع (الملك) ،على الفور ، فى الاضطلاع به فى نشوة وجذل . ولعل اكثر ما حبب هذا الدور اليه انه رأى نفسه مقبلا على مرحلة جديدة من اللعب بالرجال .. وكانت هذه (لعبة) تعجبه . !!

كان (الملك) ساخطا على (مصطفى النحاس) الذى لم يترك وسيلة يستجدى بها رضاء الملك عليه ، الا وفعلها . !! لكنه ـ اعنى (الملك) ـ لم يكن راضيا عن احد . فقط كان يريد ان يلعب .

بدأ (الملك) ، اول ما بدأ ، (بعلى ماهر) .. استدعاه للحكم بدلا من (مصطفى النحاس) الذى اعفاه من الحكم ، فى مساء السابع والعشرين من يناير سنة ١٩٥٢ ـ اليوم التالى لحريق القاهرة ـ بأمر ملكى ، قال فيه :

« اسفنا اشد الاسف لما اصيبت به القاهرة ، امس ، من اضطرابات نتجت عنها خسائر فى الارواح والاموال ، وسارت الامور سيرا يدل على أن جهد الوزارة التى تراسونها قد قصر عن حفظ الامن والنظام . لذلك راينا اعفاءكم من منصبكم » !!

كان (الدور) الذى ادخره (الملك) لعلى ماهر ، هو دور « رجل المطافىء » الذى كان عليه ان يطفىء نار الكفاح المسلح التى كانت قد اشتعلت فى القنال . وان يطفىء جذوة الحماسة التى كانت قد اتقدت فى صدور الشعب . وان يطفىء لهب الكراهية التى ثارت فى نفوس الملايين ضد الانجليز ، فيعود الى مفاوضتهم باسرع ما يستطيع !.

ولم ينس (الملك) ، ان يفرض على رئيس الوزراء الجديد ، اثنين من رجاله : (مرتضى المراغى) وزيرا للداخلية . و (زكى عبد المتعال) وزيرا للمالية والاقتصاد ليكونا عيونه على رئيس الوزراء، وليثيرا منحوله - وقت اللزوم - العواصف التى يكلفهما (الملك) باثارتها ،فى الوقت الذى يريده .. بالطريقة التى يريدها !

ومن العجيب ، حقيقة ، ان « رجال الملك » هؤلاء ، لم يكونوا مؤمنين به ، ولا بسياسته ، ولا بمستقبله ، ومع ذلك ، كانوا ينفذون سياسته .. ويربطون مستقبلهم بمستقبله الذى لم يكونوا هم انفسهم مؤمنين به . فانى اذكر اننى ذهبت ، فى ٢٢ من فبراير سنة ١٩٥٢ ، لمقابلة (مرتضى المراغى) ، بوصفه وزيرا للداخلية ، لحديث صحفى لمجلة (المصور) . كان لقائى به فى بيته بالزمالك وكانت (القاهرة) ، وقتها ، اشبه ما تكون بميدان قتال تركه جيش مهزوم : انقاض ، واطلال ، واحزان ، ونفوس مضغها الاسى . وجرفنى الحديث مع (المراغى).. وزير الداخلية والحاكم العسكرى للقاهرة ، الى الحديث عن (الاحكام العرفية) .. والى متى سوف تستمر . ؟!

وكدت اكذب سمعى ، حين سمعت وزير الداخلية .. رجل الملك .. يقول :

- الكلام الذى ساقوله لك الان ليس للنشر . لكننى اريدك ان تعرف رأيى الخاص فيما هو جار . اننى قـد انجح فى ان احكم البلد بالحديد والنار ، كما يريدنى هذا الرجل (يقصد الملك) ان

افعل • ولكن ، الى متى أستطيع أن أستمر في ذلك ؟!•• والى متى يستطيع الناس الصبر على أن يحكموا بالحديد والنار ؟! ان هذه طريقة في الحكم ليس اشد من خطرها على الناس ، الا خطرها على الحاكم الذى يتخذها اسلوبا لحكمه !!•

وفى مرة اخرى •• ذهبت اليـــــه فى مكتبه بوزارة الداخلية ، لاحدثه فى أمر الصديق •• (الاستاذ فتحى رضوان) •• الذى كان قد اعتقل فى الساعة السادسة من مساء اليوم الذى احترقت فيه القاهرة • باعتبـــاره — هكذا زعمت السلطة — من زعماء المحرضين على حرق العاصمة !!

فقال (المراغى) :

— اذا كان الامــــر بيدى ، فاننى لا احب أن يبقى (فتحى رضوان) فى المعتقل ساعة واحدة ، فانا احبه ، واحترمه ، واعرف انه آخر انسان يمكن أن يقدم على ما هو منسوب اليه • ولكننى أصارحك بأن (فتحى) موجود فى المعتقل بامر شخصى من الملك• وقد جربت ، مرة ، أن افاتحه فى موضوعه فوجدته واقعا تحت اعتقاد عجيب أن (فتحى) كان يعتزم قتله ، وانه كان سينفذ ذلك لو بقى مطلق السراح !! (١)

وضحك (المراغى) ضحكة ذات معنى ••ثم أكمل قائلا:

— ومن يدرى •• فقد يخرج (فتحى) من المعتقل ، بأسرع مما يتصور الملك !!•

ولنترك ، جانبا ، (رجال الملك) •• ومدى ايمانهم به، وبسياسته ، وبمستقبله .. لكى نمضى فى حديثنا .

نجح (على ماهر) فى القيام بدور (رجل المطافىء) الذى اختاره (الملك) له . فهدأت نيران الكفاح الفدائى فى القنال • ونامت جذوة حماسة الشعب تحت تلال من الرماد الذى خلفه حريق القاهرة وراءه . ومهد الرجل

---

(١) اكد الملك السابق «فاروق» هذا الزعم بنفسه فى حديث صحفى أدلى به ، بعد عزله ، الى بعض الصحف البريطانية ، تعقيبا على اطلاق سراح « فتحى رضـــوان » وتعيينه — فور اطلاق سراحه ، وزيرا فى حكومة الثورة . !!

لمفاوضات جديدة مع الانجليز ، حدد تاريخا لبدئها :اول مارس سنة ١٩٥٢ ٠ لكنه لم يعش فى الحكم حتى هذا التاريخ ٠ فلقد ثارت من حوله العواصف ٠ آثارها الرجلان اللذان قلت لك ان (الملك) قد فرضهما عليه ، ليقوما ـ وقت اللزوم ـ باثارتها ٠ !! واستقال (على ماهر) من الحكم فى اول مارس سنة ١٩٥٢ ٠ نفس اليوم الذى كان مفروضا ان يبدأ فيه مفاوضاته مع الانجليز ٠ !!

... واستمر (الملك) يلعب !

فجاء الى (بيت الدمية) ـ أقصد الى (مقر الحكم) ـ برجل آخر .. جاء (بنجيب الهلالى) . وكان (الدور) الذى اعده الملك لهذا الرجل هو دور (الطبيب الحاذق) الذى عليه ان يدفع الحياة ، من جديد ، فى اوصـــال الرجعية التى كانت قد تيبست ، وتحللت ، وتهيـــأت للسقوط ٠

واذا كان (على ماهر) قد نجح ، من خلال دور (رجل المطافىء) الذى قام به ، فى ان يهدىء من نيران الكفاح الفدائى فى القنال ٠ وان ينيم جذوة الحماسة التى كانت قد اتقدت فى صدر الشعب ، تحت تلال من رماد (حريق القاهرة) ٠ وان يمهد لمفاوضات جديدة مع الانجليز ٠فان المطلوب من (نجيب الهلالى) القيام به ، كان اكبر من ذلك ٠٠ واخطر ٠ !!

كان المطلوب من (الهلالى) أن يصرف الشعب نهائيا ، عن شىء اسمه : الكفاح المسلح ضد الانجليز ٠ وان يطفىء ونهائيا ايضا ، جذوة الحماسة التى كانت قد اتقدت فى صدر الشعب ، بعد اذ رفض (على ماهر) ، ان يطفئها ٠ وابقاها حية تحت الرماد ٠ وان يسرح مجلس النواب الوفدى الذى كان لايزال قائما ، بعد اذ رفض (على ماهر) تسريحه ٠ وان يعطل الدستور ، بعد اذ رفض (على

ماهر) تعطيله • وان ينشب مخالبه الجارحة فى لحم (حكومة الوفد) السابقة ، بعد اذ لم يشأ (على ماهر) ان يقوم بذلك العمل الرخيص •• وباختصار ، كان المطلوب من (نجيب الهلالى) هو ان يشد كل انتباه الناس الى الداخل ، وأن يصرفهم عن (الانجليز) بمعارك داخلية يفتعلها ، ويدق الطبول - اعلى ما تكون - حولها ، حتى يضيع بجانبها اى صوت •• وكل صوت اخر • !!

وبحماسة (الممثل) الذى عهد اليه بدور (البطل) ، لاول مرة فى حياته •• مضى (نجيب الهلالى) فى تمثيل الدور الذى اختاره (الملك) له ، والذى كان قبيحا •• ومقيتا •• الى ابعد حدود المقت ، والقبح • فاوقف الحياة النيابية • وعطـــل الدستور • وصادر الحريات • وفتح المعتقلات على أوسع ابوابهـا لتستقبل أعداء الملك • ورفع شعار : (التطهير) بزعم تطهيـــر (اداة الحكم) من الفساد •• بينما كانت (السراى) اليه اقرب ، وكانت رائحة العفن التى تفوح منها ، اشد نفاذا من رائحة العفن المتسربة من اقذر مكان !!•

وهكذا مضى (البطل) - وكان يظن فى نفسه انه ذكى ، واريب - فى القيام باعباء (الدور) الذى اختاره له (المخرج المجنون) •

وبينما « نجيب الهلالى » ماض فى تمثيل دوره القبيح، وراض عنه ، وسعيد به • دوت فى ســـمعه صــيحة استهجان انخلع لها قلبه • فما كان يتوقع - وهـــو (البطل) - ان يكون بين المشاهدين الذين يشـــهدون المسرحية المأساة •• الملهاة التى كانت •• « مصر » كلها قد غدت مسرحا تدور أحداثها الاليمة عليه - من انه يوجد من يجرؤ على الصياح فى وجهه .. بهذه الصورة المفزعة . !!

كان الصيحة خطيرة فى مضمونها. واخطر من الصيحة نفسها ، كانت (نوعية) الصائحين. فلقد كان الصائحون هم (الضباط الاحرار) الذين كانوا قد كشفوا الى حـــد

كبير ، عن وجودهم فى قلب المعركة ، واضحوا بمثابة (رأس الرمح) فيها .

قال (الضباط الاحرار) . فى صيحتهم التى حملها الى (الهلالى) واحد من منشوراتهم ، ما يلى :

« توالت مؤامرات الاستعمار الانجلو امريكي في الفترة الاخيرة على مصر ، لمحاولة القضاء على الحركة الوطنية ، وصرف انظار الشعب عن الكفاح المسلح ضد الاستعمار في القنال ، الى مشاكل داخلية في القاهرة . فبعد ان اعلنت حكومة الوفد قطع المفاوضات .. والغاء المعاهدة ، ورفض حلف الشرق الاوسط الرباعي الاستعماري . وبعد ان اتجه الشعب وجهته السليمة بالكفاح المسلح ، وتكوين الكتائب الوطنية ، واشتدت جذورة الوطنية في البلاد حتى كادت مصر ان تصل الى حقوقها كاملة ، دبر الاستعمار واذنابه الخونة (انقلاب ٢٦ يناير الماضى) ، وجاءت (حكومة على ماهر) ، وبدأت المفاوضات من جديد .

« وكان الاستعمار ، والخونة المصريون ، يأملون كثيرا من (على ماهر) التسليم تسليما كاملا بمطالبهم .. بقبول الحلف الرباعى ، وحل البرلمان ، واعتقال آلاف الوطنيين ، واستخدام الاحكام العرفية للتنكيل تنكيلا واسعا بالشعب .

« ولكن خاب رجاؤهم ، ولم يجبهم (على ماهر) الى كل مطالبهم . فكان لا بد لهم من احداث انقلاب جديد لتحقيق أهداف الاستعمار السابقة ، وتحويل المعركة الى الداخل ، والقيام بحركة لتطهير واسعة فى البلاد بحجة تقوية الصفوف الداخلية قبل مجابهة الاستعمار .

« وهكذا وصل (الهلالى) الى الحكم ، بعد تدبير سابق اشترك فيه الخونة المصريون مع الاستعمار . (فاخبار اليوم) تعلن ان السفير البريطانى لن يبدأ المفاوضات مع (على ماهر) ، و (مرتضى المراغى) .. و (زكى عبد المتعال) يستقيلان لتحطيم الوزارة من الداخل . والصحف تنشر نبأ تأجيل جلسات البرلمان ، دون ان يكون لذلك اى اساس . حتى اذا احكمت المؤامرة ، اضطر (على ماهر) الى الاستقالة . !

« ولقد جاء (الهلالى) واعلن برنامج الوزارة بصراحة ، وقال ان مهمتها الرئيسية هى التطهير ، والقضاء على الفساد ، وقد تناسى ان الفساد الاكبر هو الاستعمار . وانه لا يمكن القضاء

على الفساد الداخلى الا اذا قضى على اسبابه ومصدره • ان (الهلالى) يلعب لعبة الاستعمار الكبرى ، وهى محاولة صرف انظار الشعب عن القضية الكبرى •• قضية الاستقلال ، الى صراع داخلى لن ينتهى ، ولن يفيد الا الاستعمار • ـ

« ان من اهداف (الضباط الاحرار) الكفاح ضد الفساد بكل مظاهره • ضد الرشوة والمحسوبية ، واستغلال النفوذ • ولكننا لا يجب ان نتجه الى ذلك ، الا بعد القضاء على الاستعمار • وان اى اتجاه الى ذلك ، الان ، يعد خيانة وطنية لا تغتفر •

« اننا نحذر (الهلالى) ، وشركاءه ، من هذه اللعبة الاستعمارية •• ونعتبره مسئولا عن صرف انظار الشعب عن قضيته الكبرى •• ان الشعب قد ازداد وعيه زيادة كبرى ، وهو يفهم جيدا ما يدبر له من مؤامرات • وان حسابه للخونة سيكون عسيرا •

« ايها الضباط ••••

« ان الخونة المصريين يعتمدون عليكم ، وعلى جيشكم لتنفيذ اهدافهم • انهم يظنونكم اداة فى ايديهم للبطش بالشـــعب ، ومحاولة فرض معاهدة استعمارية •

« فليفهم هؤلاء الخونة ••• ان مهمة الجيش هى الحصـــول على استقلال البلاد ، وصيانته • وان وجود الجيش بالقاهرة ، انمـــا هو لاحباط مؤامرات الاستعمار التى ترمى الى التخريب ، والحريق • اننا لن نقبل ضرب الشـــعب ، واطلاق النار على المظاهرات الشعبية ، والقبض على الوطنين •

« يجب أن يفهم الجميع اننا مع الشعب • واننا سنقف مع مع الشعب دائما • واننا لن نستجيب الا لنداء وطن •

« ايها الضباط ••••

« ان الوطن فى خطر • فتنبهوا للمؤامرات التى تحاك لوطنكم، والتفوا حول « الضباط الاحرار » • ففى ذلك قوتكم ، ووسيلتكم لمحاربة الاستعمار • »

لم يستطع (البطل) ــ بعد صيحة التحذير، والاستنكار هذه التى اطلقها (الضباط الاحرار) مدوية فى وجهه ــ ان يبقى طويلا على خشبة المسرح الكبير • نزل من عليها فورا ، وفى اعقابه ينطلق صفير فظيع • !!

فهل تراه قد فعل ذلك لأنه جبن •• لانه خاف (رأس الرمح) الذى لم يكن له بها علم من قبل •• فلما ان علم بها ، سقط عنه

رداء الشجاعة المصطنعة الذي كانت مقتضيات (دوره) قد حكمت عليه بأن يرتديه ؟!٠

أم انه غادر المسرح لانه شعر أن (المخرج المجنون) سئم وجوده عليه ، وانه يريد أن يغيره بوجه‌اخر جديد ، قبل أن يفقدالمشاهدون ما بقي من صبرهم ، ويهدموا المسرح الكبير على رأس المخرج ٠ وعلى راس الممثلين معاً ؟!٠

كل ذلك جائز ٠٠

المهم ٠٠ نزل (البطل) من على خشبة المسرح فى ٢٨ يونية سنة ١٩٥٢ ٠ ولم يبد لتخليه عن الاستمرار فى القيام بدوره الذى كان قبيحاً ، ومقيتا ٠٠ الى ابعد حدود المقت والقبح – أية اسباب ٠ فقط ، قال انه لا يستطيع الاستمرار ٠٠ ومضى ٠٠ وليس فى اذنـــه صـــيحة استحسان واحدة ، وانما كان فيها صفير استهجان مروع ٠٠ وفظيع ٠

***

ولكن (اللعبة) كانت لاتزال مستمرة ٠ لان (المخرج المجنون) كان لايزال مصمما على الاستمرار فيها !!٠

جاء الملك الى المسرح الكبير بممثل جديد ٠٠ جـــــاء (بحسين سرى) رئيسا للوزراء ٠ ولكن (البطل الجديد) لم يستطع ان يستمر على خشبة المسرح الكبير اكثر من تسعة عشر يوما فقط ٠ (من ٢ يوليو الى ٢٠ يوليو سنة ١٩٥٢) ٠ !!

كان (الضباط الاحرار) – رأس الرمح فى معركة الشعب ضد الملك ، ونظامه – قد كشفوا ، تماما ، عن وجودهم فى قلب المعركة ٠ وذلك عندما قرروا – فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٥١ – ان يقوموا بأول اختبار لقوتهم فى مواجهة قوة (الملك) فانتهزوا فرصة انتخابات مجلس ادارة نادى الضباط التى كانت ستجرى فى ذلك التاريخ، وقرروا التقدم الى هذه الانتخابات بقائمة تتضمن اسماء

مرشحيهم ضد مرشحي الملك الذى كان قد اعتاد ان يفرض رجله ـ الفريق محمد حيدر ـ رئيسا للنادى بامر ملكى ، وان يوزع بقية كراسى المجلس ، عن طريق انتخابات صورية ، طبعا ، على اذنابه وعملائه • !!

شعر (الملك) عندما بلغته هذه الاخبار ان وراء الاكمة شيئا مخيفا • وقرر ، كعادته ، ان يكسب الوقت ريثما يدبر امرا ضد ذلك الشيء المخيف الذى شعر بانه يختفى وراء الاكمة • فبينما كان الضباط فى طريقهم الى ناديهم ، لكى يخوضوا اول معركة يختبرون فيها قوتهم فى مواجهة قوة الملك ، تلقت ادارة النادى امرا من ادارة الجيش بالغاء الاجتماع ، وتأجيل الانتخابات لمجلس ادارة النادى الى اجل غير مسمى • !!

ولكن الضباط ـ وكان الكيل قد طفح بهم ـ تحدوا امر ادارة الجيش • وعقدوا فى قلب النادى ، اجتماعا صاخبا افرغوا فيه الكثير مما كان فى صدورهم ضد ما كان يجرى على خشبة المسرح الكبير من احداث كانت تمزق قلوبهم ، وتدفعهم دفعا قويا الى استعجال القيام بثورتهم التى كانوا يدبرون لها من زمن بعيد ••

تحدى الضباط امر ادارة الجيش •• واجتمعوا فى ناديهم ، وتكلموا ، وخطبوا ، وقال بعضهم كلاما خطيرا لم يكن اذناب الملك فى الجيش ليتخيلوا انه سيجيء عليهم يوم يسمعون فيه مثل هذا الكلام الذى قيل يومها •• بلسان بعض الضباط • !

وحدد الضباط ، بارادتهم ، وليس بارادة قيادة الجيش ، موعدا لانتخاب اعضاء مجلس ادارة النادى •

وفى الموعد المحدد •• توافد الضباط ، من مختلف الاسلحة ، على ناديهم • واتخذت الجمعية العمومية قرارا اجماعيا يحدد مكان الجيش فى المعركة التى كانت دائرة

قال القرار : (ان الجيش المصرى جزء من مصر ٠٠ يشعر بشعور مصر واحساسها نحو المحتل الغاصب ٠ وانه دائما فى خدمة قضية البلاد) ٠

ثم دارت معركة الانتخابات ٠ فاذا (الضباط الاحرار) يكسبون معركة (اختبار القوة) كسبا رائعا ومروعا ٠٠ رائعا لهم ، ومروعا لخصومهم ٠ فلقد فاز مرشحوهم جميعا ٠ وسقط مرشحو الملك جميعا ٠٠ وكان ذلك شيئا اكثر من خطير ٠٠ شيئا هز قوائم (كرسى العرش) من تحت الملك ، وجعله يشعر بأن (نهاية النهاية) تدنو منه بسرعة « الرمح » يطلقه مقاتل افريقى متمرس ، وعنيد ٠ غير ان طغيان الملك ابى عليه ان يتراجع ، أو ينقل قدمه الى الطريق الصحيح ٠ ولكن ، هل كان بوسعه بعد كل ذلك الذى كان منه ، ان يفعل ؟!!

وهل كان هناك من هو على استعداد لان يقبل منـــه ذلك ، حتى لو استطاع ان يفعله ، ؟ !

مستحيل ٠٠٠

ولأن ذلك كان مستحيلا ٠، فلم يكن امام (الملك) الا أن يتربص ٠٠٠ والا ان يحارب معركته حتى النهاية ، فاما ان يخرج منها قاتلا ٠٠ وأما ان يخرج منها مقتولا ٠ ولم يكن هناك وسط بين الامرين ٠ !

وعلى ذلك ، فانه حين صعد (حسين سرى) الى خشبة المسرح الكبير ، فى ٢ يوليو سنة ١٩٥٢ ، ليقوم من فوقها بدور (البطل) بدلا من البطل الطريد ٠٠ (نجيب الهلالى) ، كان (الملك) ــ من ناحية ــ قد انهى مرحلة التربص ٠٠ وبدأ يخطو خطوته الاولى على طريق المعركة ٠ ارسل الى (حسين سرى) ــ بوصفه وزيرا للحربية ــ مذكرة يطلب فيها حل مجلس ادارة نادى الضباط ، ونقل اثنى عشر من اعضائه الى جهات نائية ١١٠

وسلم (حسين سرى) الى القائد العام للقوات المسلحة (الفريق محمد حيدر) مذكرة الملك ، طالبا منه دراستها ، واعادتها اليه مشفوعة برايه فيما تضمنته من طلبات .

غير ان (الملك) كان قد وضع (حيدر) — فى هذه المذكرة نفسها — فى وضع لا يستطيع معه أن يكون له راى بيديه . اذ قال الملك فى راس مذكرته : (يعتبر حيدر مفصولا من منصبه ، اذا لم يعمل الآتى فى ظرف خمسة ايام) . وذكر (الملك) بعد ذلك مطلبيه السابقين . !

ولأن (حيدر) لم يكن على استعداد لآن يفصل من منصبه .. ولانه أيضا لم يكن على استعداد لان يفقد رضاء (سيده) الذى ظل يرفعه ، ويرفعه ، حتى ارتقى به من وظيفة (السجان الاول) فى مصلحة السجون .. الى وظيفة (القائد العلم للقوات المسلحة) — وهو الرجل الذى لم يقد عمره كله كتيبة واحدة . !! فقد سارع ، على الفور ، الى اصدار قرار بحل مجلس ادارة نادى الضباط . وكان هذا القرار هو (الفتيل) الذى عجل اشتعاله بانفجار القنبلة . !

لم يرض (حسين سرى) عن التصرف الذى لجأ اليه (حيدر) دون الرجوع اليه . واسرع الى (الملك) يحتج ، ويحذر ، ويقدم فى ختام الاحتجاج والتحذير — استقالته من منصبه — وكان ذلك فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٥٢ .

المسرح الكبير لايزال قائما ..

والمسرحية المأساة ، الملهاة لاتزال تمثل فوق خشبته .. و (الملك) لايزال يأتى الى (بيت الدمية) بدمى جديدة . تقوم بدور (البطولة) على خشبة المسرح الكبير الذى كانت تدوى فى جنباته اصوات كهزيم الرعد

.. تتوعد ، وتنذر ، وتحذر ، ولكن الصم ، بطبيعة الحال ، لا يسمعون . !

كان هذا الفصل من هذه المسرحية المأساة - الملهاة. هو افظع فصولها . فلقد روع المشاهدون بذلك (الممثل) الذى كان قد خرج منه بالامس القريب هاربا ، او مطرودا ؛ يعود اليه مرة اخرى ، ليستأنف القيام بدور (البطل) . !!

وكان ذلك شيئا عجيبا .. ومثيرا لدهشة الناس ، وتساؤلاتهم :

● ما الذى حدث حتى يعود (نجيب الهلالى) الى المسرح الكبير ليقوم فيه ، من جديد ، بدور (البطل) ؟

● هل رضى عنه (المخرج المجنون) وارضاه .. ام انه هو الذى استغفر (المخرج المجنون) فغفر له ؟

● هل نسى (نجيب الهلالى) - وهو ليس ساذجا - (راس الرمح) أو تناساه .. أم قيل له - كذبا - أن (راس الرمح) قد عاد .. أو اعيد الى غمده ، فصدق ما قيل له ؟!.

● أم تراه قد فقد ذاكرته .. فلم يعد يذكر شيئامن ذلك الصفير المروع الذى انطلق فى أعقابه ، وهو يغادر المسرح الكبير مطرودا ... أو هاربا ؟!.

واذ عاد هذا (الممثل) الى المسرح الكبير مرة اخرى ، بعد ان رضى عنه (الملك) .. او بعد ان استغفره هو فغفر له . فقد عاد اليه هزيلا اشد ما يكون الهزال . فلقد فرض عليه (الملك) القائمقام اسماعيل شيرين - زوج شقيقته (الاميرة فوزية) ، وزيرا للحربية . ! ! وكان ذلك شيئا فكاهيا للغاية وسط هذه المسرحية التى كانت قد بلغت ذروة المأساه . ! فاسماعيل شيرين الذى فرضه (الملك) وزيرا للحربية ، لم يكن ضابطا يوما ما .. ولم يدخل الكلية الحربية .. وبالتالى ، فانه لم يتخرج فيها . وقد جعله (الملك) ضابطا لمجرد انه

زوج اخته . كان (الملك) - واستغفر ربي - قادرا على كل شيء . !!

***

لم يغب معنى مجيء (اسماعيل شيرين) وزيرا للحربية على احد . لقد جاء به (الملك) ليكون اداته في السيطرة على الجيش الذى قذف (ضـــباطه الاحرار) في وجهه بالحقيقة المرة التى افزعته ، وجعلت الرعب ياكل اوصاله ، حين قالوا في احـــد منشوراتهم : « ان الجيش انمـــا هو جيش الشـــعب .. وليس جيشه » !!.

واذا كان (الملك) قد قصد بمجيء (اســـماعيل شيرين) وزيرا للحربية شيئا معينا . فقد فهم (الضباط الاحرار) ، على الفور ، قصد (الملك) . لقـــد دخلت المعركة بينهم وبينه ساعاتها الحاسمة ، فاما ان يعجـل بهم .. واما ان يعجلوا به .

رما ان كاد الستار يرفع عن (الممثل) الذى رضى عنه (المخرج المجنون) ، فارجعه ليقـوم ، من جديد ، بدور (البطل) ، حتى عاد فنزل عليه بسرعة مروعة . لقد انطلق (راس الرمح) الى قلبه ، فارداه فوق خشبة المسرح قتيلا . وقبله ، كان (راس الرمح) قد اردى (المخرج المجنون) نفسه . !!

الفصل الحادى عشر

.. إنهـــا الثـــورة !

تيقظ الناس فى الساعة السابعة والنصف تماما من صباح يوم الاربعاء : ٢٣ يوليـو ١٩٥٢ ـ على صـــوت واثق ، وقوى ، وعميق .. يقرأ عليهم أول بيان للثورة. كان صاحب هذا الصوت الواثق ، والقوى ، والعميق ، هو (أنور السادات) . عضو مجلس قيادة الثورة . اما البيان ! ، فكان موجها الى الشعب من القائد العـام للقوات المسلحة : وهذا هو ...

« اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الاخير من الرشوة والفساد ، وعدم استقرار الحكم ، وقد كان لكل هذه العوامل تاثير كبير على الجيش . وتسبب المرتشون ، والمغرضون فى هزيمتنـا فى حرب فلسطين . وأما فترة ما بعد هذه الحرب ، فقد تضـافرت فيها عوامل الفساد ، وتآمر الخونة على الجيش ، وتولى امره اما جاهل ، أو فاسد ، حتى تصبح مصر بلا جيش يحميهـا . وعلى ذلك ، فقـد قمنا بتطهير أنفسنا ، وتولى امرنا داخل الجيش رجال نثق فى قدرتهم ، وفى خلقهم ، وفى وطنيتهم . ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر ، بالابتهاج والترحيب . اما مـن رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين ، فهؤلاء لن ينـالهم ضرر ، وسنطلق سراحهم فى الوقت المناسب ..

« وانى أؤكد للشعب المصرى أن الجيش كله ، أصبح اليوم يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور ، مجردا من اى غاية . وانتهـز هذه الفرصة ، فاطلب من الشعب الا يسمح لاحد من الخونة بأن يلجأ الى اعمال التخريب ، أو العنف . لان هذا ليس من صالح

مصر · وان اى عمل من هذا القبيل ، سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل · وسيلقى فاعله جزاء الخائن في الحال · وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاونا مع البوليس · وانى اطمئن اخواننا الاجانب على مصالحهم ، وأرواحهم ، واموالهم ، ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم · والله ولى التوفيق » ·

***

نزل الناس ،بعد أن استمعوا لهذا البيان، الىالشوارع ليجدوا جنود الثورة قد انتشروا فيها ، واحتلوا قيادة الجيش ، وسيطروا على جميع المرافق .

احتضن الشعب الثورة بملء حبه ، واخلاصه، وحماسته فلقد توقعها طويلا ، وانتظرهاطويلا .. وكانت لديه آمال عريضه ، وعديدة ، يعلقها على مجيئها .

واذ تلقى الشعب الثورة بكل ذلك الحب الذى تلقاها به ، فقد ازدادت الثورة ثقة بنفسها ، وبالارض التى تقف عليها ، وبالاهداف التى كانت تعتزم المضى اليها ·

اخذت الثورة ـ وقد زادها أحتضان الشعب لها ثقة بنفسها ، وبالارض التى تقف عليها ـ تملى مطالبها على (الملك) · وأخذ (الملك) من ناحيته ، يتلقى هذه المطالب بالاذعان والتسليم ·

كان أول مطلب للثورة هو تنحية (نجيب الهلالى)عن رئاسة الوزارة ، وتعيين (على ماهر) بدلا منه · وكانهذا المطلب متفقا تماما وآراء (الضباط الاحرار) التى كانت تحملها منشوراتهم السرية فى الاحداث الجارية . فلقد كانوا ساخطين على (نجيب الهلالى) ، وسياسته . ولعله لم يهرب من المسرح الكبير ،فى المرة الاولى ، الا لإنه تبين ان هناك عنصرا مخيفا موجودا فى المعركة ، وان لهذا العنصر المخيفرأيا على غاية من السوء فيه . كذلككان (للضباط الاحرار) شىء من الرضاء عن سياسة (حكومة

على ماهر) التى جاءت الى الحـــكم فى أعقاب « حريق القاهرة » • فضلا عن استقلال الرجل عن الاحزاب جميعا، وتمتعه بقدر غير قليل من كراهية الملك له •

اما المطلب الثانى للثورة ، فكان ابعاد المفسدين من رجال الحاشية الملكية . وقد حددتهم الثورة فى ستة اسماء : (أنطوان بوللى) مدير الشئون الخصوصية .. و(محمد حسن) الخادم الخاص ،و (الياس اندراوس) المستشار الاقتصادى و (يوسف رشاد) الطبيب الخاص، و(حسن عاكف) الطيار الخاص، و (محمد حلمى حسنين) السائق الخاص ، وكان مطلوبا ايضا ابعاد (كريم ثابت) ، ولكن تبين انه قد استقال من قبل .

واذعن الملك لكلا المطلبين ، متوهما ان هذا هو كل ما قامت من أجله الثورة •• وانه يستطيع ان يلاينها ، وان يسلم لها بما تريد ، حتى تجيىء ساعة يستطيع ان ينقض عليها ، ويسترجع مافقد . فلم يكن يعلم ان ما نجحت الثورة فى اخفائه حتى ذلك الوقت ، كان اخطر بكثير من كل ذلك الذى أعلنته •

ومرت على ذلك ايام ثلاثة •• جففت فيها الثـــورة عرقها ، وازدادت ، فوق ازدياد ، وثوقا من نفسها ، ومن الارض التى تقف عليها . ثم وجهت الى الملك ، فى صباح السبت ــ السادس والعشرين من يوليو ــ ضربتها القاضية التى حملها اليه الانذار التالى :

« نظرا لما لاقته البلاد فى العهد الاخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق ، نتيجة سوء تصرفكم ، وعبثـــكم بالدستور ، وامتهانكم لارادة الشعب حتى اصبح كل فرد من افراده لا يطمئن على حياته ، أو ماله ، او كرامته •

« ولقد ساءت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم فى هذا المسلك ، حتى اصبح الخونة والمرتشون يجدون فى ظلكم الحماية،

والامن ، والثراء الفاحش ، والاسراف الماجن علي حساب الشعب الجائع الفقير ·

« ولقد تجلت آية ذلك في حرب فلسطين ، وما تبعها من فضائح الاسلحة الفاسدة ، وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر ، مما افسد الحقائق ، وزعزع الثقة في العدالة ، وساعد الخونة علي ترسم هذه الخطى · فاثرى من أثرى ، وفجــر من فجر · وكيف لا ، والناس على دين ملوكهم ·

« لذلك · فقد فوضني الجيش الممثل لقوة الشعب أن أطلب من جلالتكم التنازل عن العرش لسمو ولى عهدكم الامير احمد فؤاد · على أن يتم ذلك فى موعد غايته الساعة الثـــانية عشرة من ظهر اليوم (السبت الموافق ٢٦ من يوليو ســــنة ١٩٥٢ ـ الرابع من ذى القعدة سنة ١٣٧١) ، ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه · والجيش يحمل جلالتكم كل ما يترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج » ·

***

كان الموعد الذى حدده مجلس قيادة الثورة لخلــع (فاروق) من فوق عرشه ، هو يوم : الجمعة الخامس والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ · وبالفعل ، سافر رئيس مجلس القيادة .. ومعه نصف أعضـــــاء المجلس الى الاسكندرية ـ حيث كان الملك والوزراء موجودين هناك ـ لتنفيذ عملية عزل (الملك) . ولكن رؤى فى اللحظــة الاخيرة .. ولأسباب تتعلق بالشئون الادارية للطابور المدرع الذى انتقل من القاهرة الى الاســكندرية لمحاصرة قصور الملك ، تأجيل تنفيذ العملية الى اليوم التالى : السبت ٢٦ يوليو . وحينما استقر الرأى على ذلك ، انتهز « قائد الجناح جمال سالم » عضو مجلس القيادة، فرصة تأجيل التنفيذ .. واثار مناقشة خطـيرة حول مصير الملك بعد عزله .

قال (جمال سالم) :

ـ لقد قرر مجلس القيـــادة خلع (فاروق) عن عرشه ...

ولكنه لم يقرر : ماذا بعد الخلع • هل يقبض عليه ، ويحـــاكم ، ويعدم ••• ؟ ام يكتفى بخلعه عن العرش • ؟

ومضى نصف مجلس القيادة الذى كان موجودا بالاسكندرية ، يناقش المصير الذى ينبغى ان ينتهى اليه (فاروق) •

بدا (جمال سالم) المناقشة بحماسة المدعى العام الذى يطالب بعنق قاتل :

ـ اتريدون ان تتركوا (فاروقا) يفلت منا ؟• اتريدونه يخـرج حيا من مصر • انه قاتل ، فيجب ان نشنقه كما يشنق القتلة • انه قائد خان جيشه ، فيجب ان يعدم رميا بالرصاص كما يعـدم الخونة فى الجيوش •• وهو لص ، فيجب أن يسجن كما يسجن اللصوص الصغار •

واعترض بعض زملاء (جمال) :

ـ اننا سنخلعه عن العرش • وهذا ، فى راينا ، يكفى •

وصرخ (جمال سالم) :

ـ ان هذا لا يكفى أبدا • اننا هنا نمثل العدالة • ان المحاكم تعدم الرجل العادى الذى يقتل رجلا واحدا • فما بالكم برجل قتل شعبا بأسره •• ؟ ! ان القانون العادى يسجن الرجل الذى يسرق رغيفا •• فكيف لا يسجن قانون الثورة الرجل الذى سرق دولة باكملها • ؟ !

وقال اعضاء مجلس القيادة :

ـ ان ثورتنا امتازت بانها لم ترق قطرة دم واحدة ، ولا نريد ان نشوه جمالها بقطرة دم واحدة ، ولو كانت هذه القطرة من دم (فاروق) •

فقال (جمال سالم) :

ـ اذكروا من قتلهم (فاروق) •• يجب أن نثار لدمهم • اذكروا شهداء فلسطين الذين رأيتموهم باعينكم يموتون بسبب الاسلحة الفاسدة التى مونهم بها (فاروق) يجب أن ننتقم لهم •

واستمر (جمال سالم) فى مرافعته ، محاولا اقناع زملائه بوجهة نظره :

ـ كيف تريدون أن نكتفى بعزل (فاروق) ، ونتركه حيا ؟! ان عنده أموالا طائلة فى الخارج ، يستطيع ان يستخدمها فى محاربة مصر وقضيتها • ؟ ! ان الدول الاستعمارية ســـوف تستخدمه آلة فى يدها ، لتهديد مصر وشعبها • اننى انبهكم : انكم تتركون القاتل يفلت من ايديكم •

وتكهرب الجو ....

فلقد استغرقت هذه المناقشة الساخنة خمس ساعات كاملة . (من التاسعة مساء الجمعة ٢٥ يوليو ، حتى الثانية من صباح السبت ٢٦ يوليو .) دون أن يستطيع (جمال سالم) اقناع نصف مجلس قيادة الثورة الذى كان موجودا بالاسكندرية ، بوجهة نظره فيمـــا يتعلق بمصير (فاروق) . وعندئذ رؤى أن يسافر (جمال سالم) بالطائرة الى القاهرة لاستطلاع رأى نصف مجلس قيادة الثورة الآخر الذى كان قد بقى بها ، فيما ينبغى ان ينتهى اليه مصير (فاروق) بعد عزله .

وبالفعل ، طار (جمال سالم) ، فى الثانية والنصف من صباح السبت ٢٦ يوليو ، الى القاهرة لاستطلاع رأى النصف الآخر لمجلس القيادة . وجاء رأى الموجودين فى القاهرة . هكذا :

- ان الثورة تريد ان تتخلص من (فاروق) فى اسرع وقت ، لكى تتفرغ لما هو اهم من (فاروق) ، وهو تخليص البلاد من بقية الفساد الذى تركه (فاروق) وراءه ، ولكى تعد العدة لعهد جديد يستعيد فيه الشعب حقوقه ، وكرامته ، وسيادته . وان من اهداف الثورة تحقيق العدالة . وعلى ذلك ، فنحن لا يمكن ان نعـــدم « فاروقا » بغير محاكمة ، ولا يمكن ، فى نفس الوقت ، ان نتركه مسجونا ونشغل انفسنا بقضيته ، تاركين اهداف الثورة بغير تنفيذ . فلنترك (فاروقا) حياً ، وسوف يحكم التاريخ باعدامه .

وبامانة مطلقة .. حمل (جمال سالم) رأى اعضاء مجلس القيادة الموجودين فى القاهرة - وكان على رأسهم (جمال عبد الناصر) - وعاد الى الاسكندرية ، فوصلها فى السادسة من صباح السبت ٢٦ يوليو ومعـــه رأى القاهرة فى مصير (فاروق) ملخصا فى كلمتين اثنتين : (العزل) .. و (الطرد) .

وفى السابعة تماما من صباح ذلك اليـــوم . تحركت

الطوابير المدرعة ، والمدفعية ، والمشاة ، فاخذت مواقعها حسب الخطة الموضوعة ٠

كان (فاروق) ، وقتما وصلته اول اخبار عن قيام الثوره ، موجودا (بقصر المنتزه) . ولكنه ما لبث أن غادره فى ليل الجمعة ٢٥ يوليو — الى (قصر راس التين) حيث توجد تكنات الحرس الملكى بقواته الرئيسية ، وحيث يوجد السلاح البحرى الملكى . ولعله تخيل ، وهو يقرر هذا الانتقال المفاجىء من قصر الى قصر، ان الحرس الملكى ، ومدافع الاسطول ، يمكن ان يقاتلا الجيش دفاعا عن بقائه فوق عرشه . ! !

هكذا غادر (فاروق) قصر المنتزه فى سيارة خاصة قادها بنفسه ، وركبت معه فيها زوجته (ناريمان) ، وابنه (احمد فؤاد) ، ومربيته ، بينما جلس الى جواره طياره الخاص : (حسن عاكف) ٠ وتبعته سيارة أخرى تحمل بناته من الملكة السابقة : « فريدة » ٠ وبات (فاروق) ليلته هذه — ولا اقول (نام) ٠٠ فذلك كان مستحيلا — ينتظر ، ويترقب ما سوف يحمله اليه النهار ٠

وفى الصباح المبكر من يوم السبت ٢٦ يوليو . كان أزيز طائرات سلاح الجو المصرى ، يمزق السكون المخيم على الاسكندرية ، بينما راح شريط طويل من الدبابات يشق (طريق الكورنيش) متجها الى (قصر رأس التين) ٠ ورأى الناس فى هذه ، وتلك ، علامات الساعة بالنسبة للملك ! .

وعندما بلغت الساعة تمام التاسعة من صباح ذلك اليوم ، كان هناك شىء آخر اكثر خطورة يجرى فى مكتب رئيس الوزراء .. لقد وصل اليه رئيس مجلس قيادة الثورة ، وبرفقته اثنان من أعضائه : (البكباشى أنور السادات) ٠٠ و (قائد الجناح جمال سالم) ٠ واخرج

رئيس المجلس ورقة فيحجم الفولسكاب، وناولها (لانور السادات) الذى راح يقرأ منها ، بصوت مفعم بالقوة ، وبالثقة ، نص « الانذار » الموجه من الثورة للملك وكان الانذار مكتوبا بخط (انور السادات) نفسه • وبعد ان فرغ (انور السادات) من قراءة (الانذار) ، سلمه الى رئيس الوزراء الذى اخذه منه ، وغادر ، على الفور ، مكتبه متوجها الى قصر رأس التين ، فبلغه فى تمـــام العاشرة •

استقبل الملك رئيس وزرائه فى لهفة وقلق باديين • فلابد أن لدى رئيس الوزراء شيئا هاما ، والا ما ذهب اليه فى هذا الوقت ، فى مثل هذه الظروف • ولعله تصور ان الامر سوف لا يعدو أن يكون مطلبا آخر من مطالب الثورة التى راض نفســه على الاذعان لها ، حتى تحين ساعة يستطيع أن ينقض عليها فيها •

ولم يشأ (على ماهر) أن يوجه اليه الضربة القاضية دفعة واحدة • ربما لانه تلقاه ، فى سنة ١٩٣٦ ، صبيا وديعا • ولعل صورة ذلك الصبى الوديع هى التى كانت حاضرة لحظتها ، أمام عينى (على ماهر) فحجبت عنهما صورة ذلك الرجل الفاسد ، السفيــه الذى لم ينـــل منه الشيطان ، بقدر ما نال هو من نفسه

وتكلم (على ماهر) •• فقال للملك بضع كلمـــات قصد بها أن يمهده للضربة القاضية التى كانت وشيكة النزول على رأسه •

قال (على ماهر) للملك :

ـ ان الموقف خطير • فالشعب ثائر • والجيش متحفز ••• والاثنان معا ضدك • ورايى الشخصى هو ان تضحى جلالتك ، وتتنازل عن العرش لابنك • وبذلك تتفادى اى احتكاك مع الشعب والجيش ، وتضمن بقاء الملك فى اسرة محمد على • !!

وأطرق (فاروق) برأسه لحظات ، كأنما يتأمل مدى الاخلاص الذى تنطوى عليه هذه النصيحة ، ثم رفـــع رأسه ؛ وقال لعلى ماهر :

ـ انا موافق • لكن لى طلبات ••

وسأل رئيس الوزراء الملك عن طلباته •

فقال انه يريد ان يصطحب ابنه معه • وان يسمح لكل من يريد من افراد العائلة مصاحبته • وان يتولى قيادة اليخت الذىسيبحر عليه ، البكباشى جلال علوبة • وان يختار بنفسه الرجال الـــذين سيتولون حراسته فى الخارج • وان يسمح له بان ياخذ (بوللى) معه !! • وأن يكون هو ـ اى (على ماهر) ـ والسفير الامريكى فى وداعه عند سفره • ضمانا لحياته •

وتعهد (على ماهر) بتبليغ طلبات الملك لمجلس قيادة الثورة • ثم مد يده الى جيبه ، فاخرج (الانذار) وقدمه للملك الذى ما ان بدأ يقرأه ، حتى امتقع وجهه بصورة ملفتة • وقال لعلى ماهر :

ـ لكن دى لهجة عنيفة جدا •• وماتصحش فى موقف زى ده •

فقال (على ماهر) انه لم يحمل اليه الانذار الاول •• وانه بذل غاية جهده فى اقناع ممثلى مجلس القيـــادة بتخفيف الصيغة حتى جاءت على هذا النحو •

فقال (فاروق) :

ـ لازم الانذار الاول كان فظيع جدا •

ويبدو أن (على ماهر) اراد أن يخفف من وقع (الانذار) على (الملك) ، فالحقيقة فى هذا الامر ، هى أن (على ماهر) لم يغير فى (الأنذار) ـ بصفته الاولى التى كانت هى أيضا مكتوبة بخط (انور السادات) ـ غير كلمتين اثنتين فحسب ، فلقد كان (الانذار) ، فى صيغته الاولى يقول فى سطر من سطوره : « ••• وامتهانكم لارادة الشعب حتى أصبح كل فرد من أفراده لا يطمئن على حياته • أو ماله ، أو عرضه ، أو كرامته » • فاستبعدت منه ، فى

صيغته الثانية ، كلمة : (عرضه) .

وكانت الصيغة الاولى تقول في سطر من سطورها :

« ... على حساب الشعب الجائع ، الجاهل ، الفقير » .
فاستبعدت في الصيغة الثانية كلمة : (الجاهل) . وكان هذا - للتاريخ - هو كل ما أدخل على (الانذار) من تعديل .

***

عاد (على ماهر) الى مقر رئاسة الوزارة فى (بولكلى)، حيث كان ممثلو مجلس القيادة ينتظرون عودته . فأبلغهم موافقة (الملك) على التنازل عن العرش . وكذلك أبلغهم طلباته فوافقوا عليها كلها ، فيما عدا اصطحاب (بوللى) معه .

واستدعى رئيس الوزراء (الاستاذ سليمان حافظ) وكيل مجلس الدولة ، والمستشار القانونى لرئاسة مجلس الوزراء لوضع تنازل الملك عن العرش فى صيغته القانونية . ورأى (سليمان حافظ) ألا ينفرد بصياغة أخطر وثيقة فى تاريخ مصر الحديث . فأشرك معه (الدكتور عبد الرزاق السنهورى) رئيس مجلس الدولة فى صياغة هذه الوثيقة التاريخية التى جاء نصها على هذا النحو :

« نحن فاروق الاول ملك مصر والسودان

« لما كنا نتطلب الخير دائما لامتنا . ونبغى سعادتها ورقيها

« ولما كنا نرغب رغبة اكيدة فى تجنيب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة . ونزولا على ارادة الشعب

« قررنا التنازل عن العرش لولى عهدنا الامير احمد فؤاد . واصدرنا امرنا بهذا الى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه .

« صدر بقصر راس التين فى ٤ ذى القعدة سنة ١٣٧١ - (٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢) .

وحين استقر الرأى على هذه الصيغة القانونية التى

اضيفت اليها عبارة .. (ونزولا على ارادة الشعب) ، بناء على اصرار (قائد الجناح جمال سالم) . حملها (الاستاذ سليمان حافظ) متوجها الى قصر رأس التين، ليضع عليها (الملك) توقيعه .

استقبل (سليمان حافظ) عند وصوله الى القصر ، الاميرالاى احمد كامل) قائد بوليس القصور الملكية . وقاده الى قاعة فسيحة فى وسطها منضدة كبيرة من الرخام الاسود المموه بالابيض .. وفى هذه القاعة الموحشة ، جلس (سليمان حافظ) ، وحده تماما .. وليس معه ما يؤنس وحشته ، غير ورقة صغيرة جدا . لكنها - على صغرها - كانت أشد ما تكون شبها بخنجر مسموم وشيك النفاذ الى قلب الملك .. !! -

وبعد قليل .. وصل الملك .. كان يرتدى الزى الصيفى لاميرال الاسطول البحرى ، واتجه مباشرة الى تلك المنضدة التى كانت تتوسط القاعة فاتجه (سليمان حافظ) بدوره اليها ، والتقيا حولها . فتصافحا ،وأخرج (سليمان حافظ) وثيقة التنازل عن العرش ، وقدمها للملك الذى ألقى عليها نظرة عاجلة ، ثم التفت الى (سليمان حافظ) يسأله :

- هل هى محكمة الوضع من ناحية القانون ؟ ..

وأجاب (سليمان حافظ) :

- نعم ..

وعاد (الملك) يسأل :

- واسباب التنازل .. من أين جئتم بها ؟ ..

فقال (سليمان حافظ)

- استلهمناها من مقدمة الدستور ..

يا لسخرية القدر .. لقد استطاع الدستور ، اخيرا ، ان يثأر لنفسه . فالهم رجال القانون صيغة طرد الملك

الذى كان يجد فى العبث به ، والعدوان عليه ، متعة لا تدانيها متعة !! .

كان (الملك) يحاول ان يبدو هادئا . ولكن سعلات قصيرة كانت تنتابه ، فتكشف عن أنه يعانى حالة انفعال عصبى شديد ، كان يبذل جهدا واضحا للسيطرة عليه

وعاد (الملك) يقرأ وثيقة تنازله عن عرشه كلمة كلمة ، وقد أخرج من جيبه قلما استعدادا لتوقيعها . فلما وصل فى قراءته للوثيقة الى عبارة : (ونزولا على ارادة الشعب ·) ، نظر الى (سليمان حافظ) وقال :

ـ ألا يمكن اضافة كلمة : (وارادتنا) بعد عبارة : (ونزولا على ارادة الشعب) · ؟

فقال (سليمان حافظ) :

ـ لقد صغنا نزولكم عن العرش فى صورة أمر ملكى ·

قال (الملك) :

ـ تريد ان تقول ان الامر الملكى ينطوى على هذا المعنى · ؟

قال (سلميان حافظ) :

ـ نعم · ؟

فقال (الملك) :

ـ اذن، ليس هناك مايمنع من اضافة هذه الكلمة··؟

فقال (سليمان حافظ) ـ وقد أطلق عليه (فاروق) بعد ذلك لقب : « التمساح العجوز » ـ قال :

ـ اننا لم تصل الى الصيغة التى بين ايديكم الا بصعوبة ·

وهنا ، لاحت على وجه (الملك) علامات اهتمام كبير بما قاله له « التمساح العجوز » · وسأله :

ـ معنى هذا انهم كانوا يريدون منى ان أوقع على ورقة أخرى · قل لى : ماذا كان فيها · ؟

قال (سليمان حافظ) :

ـ انني لم أطلع عليها .

قال (الملك) :

ـ أنت تمتنع عن ذكر ماجاء فيها حتى لاتجرح شعورى لكنني أعدك الا أتأثر مما ستقوله لى .

فأقسم (سليمان حافظ) للملك بشرفه بانه لم يطلع عليها . وعندئذ ، امسك (الملك) بقلمه ووقع بامضائه في ذيل الوثيقة .. ولكن التوقيع جاء مضطربا . فنظر الى (سليمان حافظ) ، وقال :

ـ لعلك تقدر الظروف ، فتلتمس لى العذر فى أن التوقيع لم يكن كما أود . ولذا ساوقع مرة أخرى .

ووقع الملك على الوثيقة مرة أخرى . وكان التوقيع فى أملاها .

وصافح (سليمان حافظ) الملك مودعا ،وغادر القصر الملكى عائدا الى قصر رئاسة الوزراء .. يحمل معه آخر سطر فى خاتمة الرواية المأساة ، الملهاة التى كان مضي عليها سنوات طويلة وهى تمثل على مسرح الاحداث فى مصر . وكان « مخرجها المجنون » هو هذا الملك نفسه .!!

مرت الساعات الباقية بطيئة ، ومتثاقلة . حتى اذا جاءت الساعة الخامسة والنصف ، كان على رصيف (رأس التين) قوة من الحرس الملكى على هيئة (قره قول شرف) . وكان هناك رجلان جاءا لوداع الملك : رئيس وزراء مصر .. (على ماهر) . وسفير امريكا فى مصر .. (جيفرسون كافرى) .

نزلت ، أولا الملكة (ناريمان) ، وبنات (فاروق) . وتوجهن مباشرة الى (المحروسة) . وبعد قليل ظهر الملك يرتدى الزى الصيفى لاميرال الاسطول .. نفس الزى الذى كان يرتديه عندما استقبل (سليمان حافظ)

كان ينظر فيمن حوله بعينين زائغتين يدلان على أن الجهد الذى بذله ، منذ الصباح ، ليبدو مسيطرا على نفسه ، وعلى اعصابه ، قد أخذ يتبدد • وتقدم منه (على ماهر) مصافحا • لم يستطع الرجل ، لحظتها ، ان يمنع نفسه من البكاء • ربما حزنا على المصير الذى انتهى اليه « الملك» الذى باع للشيطان نفسه •• وربما رثاء له لانه كان بوسعه الا يبيع للشيطان نفسه • لكنه - بكل الغباء ، والغرور ، والجنون - رفض أن يفعل • ا ثم اقترب (كافرى) من الملك وصافحه مودعا: «حظ سعيد ياصاحب الجلالة • » وكررها مرتين ، ثم أخذ يتراجع ، وهو يجهش بالبكاء • !!

ومشى (فاروق) الى (اللنش) الـــذى أقـــله الى (المحروسة) بخطوات بطيئة جـدا •• كمن يمشى فى جنازة . وكانت هناك بالفعل جنازة ، .. جنازة عرشـــه الذى اضاعه بطغيانه •• وبأخطائه ، وخطاياه •

وعندما بلغت الساعة تمام السادسة من مساء يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ •• كان قرص الشمس قد أخذ ينحدر نحو البحر فى سرعة سريعة ، ليغوص فى أعماقه حتى شروق جديد •• وفى هذه اللحظة ذاتها ، كان تاريخ طوله مائة وسبع وأربعون سنة ، هو تاريخ أسرة محمد على فى مصر ، ينحدر هو الاخر نحو البحر بنفس تلك السرعة السريعة ليشارك قرص الشمس نفس المصير • ولكن ، الى غروب أبدى ليس له ، بعده ، من شروق • !!

ولحظة أن تحركت (المحروسة) مغادرة مياه مصر ، متوجهة الى (نابلى) •• حاملة على ظهرها حطام ذلك الملك الذى أبى الا أن يبيع للشيطان نفسه •• طوى كتاب بأكمله ، وفتح كتاب جديد ••

الفصل الثانى عشر

كلمات هزّت مصر

على الصفحات السابقة من هـــذا الكتاب ، وخلال سياق الاحداث التى تألف منها .. قدمت لك – صديقى القارىء – بعضا من تلك الكلمات التى نجحت ، فى فترة السنتين العاصفتين السابقتين على الثورة ؛ فى أن تهز مصر هزا عنيفا .. واصبحت بذلك جزءا لا يتجزأ من تاريخها فى تلك الحقبة التى بلغ فيها الطغيان ذروته ، وراح يدوس بقدميه الفليظتين على كل قيمة .. ويهدر كل حق .. ويتجاوز كل قانون ٠ !

على أنه – أعنى الطغيان – بكل ذلك الذى راح يفعله، انما كان يستعجل نهايته .. ويحفر بيديه قبره ٠ لقد كان مساره ، فى تلك الايام ، تأكيدا راسخا لهذه الكلمة الخالدة : « ما وجدت كالطغيان شيئا يســـوق الناس سوقا الى الحرية » ٠ فلقد استصرخ الطغيان اقلامنـــا ، وعبأ قواها ، وأخرجها من أغمادها : سيوفا تمزق أوصاله وتسيل دماءه ، ولا تدع له فرصة يلعق فيها جراحه التى لفظ ، من خلالها ، اخر أنفاسه ٠ !

والان .. استأذنك – صديقى القارىء – فى أن أقدم الك على الصفحات التالية ، مختارات مما لم يتســـع سياق أحداث الكتاب لاستيعابه من تلك الكلمات التى هزت مصر من أعماقها .. وأضحت بذلك جزءا لا يتجزأ من تاريخها فى فترة تعتبر ، بحق ، من أخطر فترات هذا التاريخ ٠

من كتابات : مصطفى مرعى



- ولاء العبيد .. وولاء الأحرار
- فخر البحار !
- مأساة الرتب والنياشين

ولاء العبيد .. وولاء الأحرار

« اللواء الجديد ـ ١٧ أبريل سنة ١٩٥١ »

ولاء العبيد رخيص ، هين ، سهل المنال • لكنه قحل مجدب لا ينصح ولا يشير • وهو طيع طاعة عمياء لا تزن الامور ، ولا تقدر العواقب • عرفته الدنيا في عصور الظلام ، حين كان الاقطاع والحكم المطلق ، وحين كان الظن ان الملوك والامراء آلهة وأشباه آلهة • وحين كانت العروش تقوم على قوة الاجسام ، قبل قوة العقول •

وكانت لهذا الولاء امارات : كالانحناء ، والركوع ، والسجود ، وتقبيل اليد ، وأطراف الثوب ، أو مواطىء الاقدام • وهي ان اختلفت في البلاد ـ باختلاف الامزجة ، والاهواء ، والطقوس ـ فانها مع ذلك ، متفقة في الدلالة على معنى الذل والخضوع •

وقد امحى هذا الموضوع من الولاء ، يوم أمحى الحكم المطلق وحل محله الحكم المقيد • يوم تقررت الدساتير ، واعلنت حقوق الانسان ، ونزل الملوك عن القداسة التي خلعها عليهم نفاق بعض المؤرخين والقصاصين ، وأصبح الملك فردا لا يميزه عن سائر افراد شعبه الا انه فوق الجميع لغاية واحدة ، هي مصلحة الجميع • ولم يعد الملك متاعا ، او لهوا ، بل صار وظيفة عليها من الواجبات مثل ما لها من حقوق • وانها لوظيفة تقتضي رجاحة عقل ، ونفاذ بصيرة ، وسعة مدارك ، وشمول اطلاع • لا في الجالس على العرش وحده ، بل فيه وفي بطانته ، وحاشيته ، وكل من يصح ان يدخل في دائرة تضمه أو تحتويه • لأن هؤلاء ـ أرادوا أو لم يريدوا ـ قد يكونون له مصدر وحي ، وباعث الهام •

ولم تعد اقدار الملوك تقاس بمقدار تسلطهم على شعوبهم وتحكمهم فيها • وانما تقاس بمقدار ما ظفر به كل منهم من

محبة شعبه ، وتعلقه تعلقا تفيض به القلوب ، قبل ان تعبر عنه الألسن والاقلام • وتبارى الملوك فى هذا الميدان • وصار اهم ما يهم الملك وحاشيته وبطانته ، ان يلتمسوا رضى الشعب ويتفادوا غضبه وسخطه • وعلى هذا توارت من مراسم القصـــــور ، وطقوسها ، امارات الذلة والخضوع • وعلى هذا ايضا صــار الرفق بالشعوب ، والتودد اليها ، زينة التيجان • بعد العدل والاستقامة والامانة • وضرب ملوك الانجليز ، وبعض ملوك شمال اوربا ، فى هذا الباب امثلة خليقة أن تحتذى • وكان ، ولا يزال ، اقوى هذه الامثلة تنازل الملك ادوارد الثامن عن عرشه حين قدر أن بقاءه فيه ، مع تصـــميمه على الزواج ممن اختارها لنفسه ، قد يؤدى الى جفوة بينه وبين شـعبه • فاثر ان يتخلى عن العرش ، ويجنب نفسه وبلاده شر هذه الجفوة •

وقد ادركت مصر شعاعا من هذه المعانى الكريمة ، حين تخلى المغفور له الملك فؤاد ، راضـــيا ، عن سلطانه المطلق وأثر أن يكون سلطانا مقيدا بما قيد به نفسه فى الدستور الذى اصدره فى سنة ١٩٢٣ • وفى ظل هذا الدستور ، وعلى اساسه ، تقرر ان تكون مصر بلدا ديمقراطيا على رأسه ملك يسود ولا يحكم • وكان ـ علينا ـ أن نساير هذا الوضع الجديد ، وأن نمكن له ، فنكيف ولاءنا للعرش على موجبه ليبقى من هذا الولاء جوهره ولبه ، وليزول عنه ما لا يتفق مع مقتضيات الحرية الفردية والكرامة الانسانية • وكان على حاشية الملك ، وبطانته ، أن يقرنوه الى الحرص على رضى الملك اذ لا غنى عن هذا كله بالتخفف من المشاركة الوجدانية التى بغيرها لا يستطيع هؤلاء أن يحسوا باحساس الشعب • ولا أن يروا رأيه ، فيرى فيهم صاحب العرش صورة صادقة من شعبه •

وقد فاتنــــا الواجب الاول ، وهو الواجب الشكلى ، فترانا ممسكين باطراف من الطقوس المذلة التى كان يلزمنا أن نترفع عنها ليثبت فى الاذهان اننا قد سايرنا فعلا ركب الحضارة ، واننا قد حطمنا فعلا قيود الماضى واغلاله ، واننا قد استبدلنا فعـــلا من حيث الولاء الجوهر بالعرض •

من ذلك ان رجالا منا اذا ما تشرفوا بمصافحة الملك انكبوا على يده وقبلوها • ولو انصف هؤلاء أنفسهم ، وغيرهم ، لعرفوا انهم بما يفعلون يخجلون تواضع الملك ويفوتون عليـــه

قصدم الكبير فى ان يبدو امام الملأ ملكا حرا كريما ، على راس بلد حر كريم ٠

من ذلك ايضا ان وزارة الحربية تعلن فى نشرة رسمية حركات التعيين والترقية فى الجيش فتقول ان حضرة صاحب الجلالة الملك قد (تفضل فاحسن) بتعيين فلان او ترقيته ٠ وكان خليقا بوزارة الحربية ان تعبـــــر عن ارادة الملك بلفظ غير لفظ (الاحسان) ٠ لان الاحسان صنو الصدقة ٠ والتعيين والترقيـة فى الجيش كالتعيين والترقية فى سائر وظائف الدولة لا يجوز ان يرد ذكرهما فى الاذهان مختلطا بمعنى الصدقة والاحسان ٠

وكما فاتنا الواجب الشكلى ، كذلك فاتنا الواجب الموضوعى ٠ بيد ان الحديث عن هذا الواجب قد يطول ٠ فلنرجئه الى كلمة اخرى ٠

فخر البحار .. !!

« اللواء الجديد » ـ ٢٦ يونيو سنة ١٩٥١

كان هذا اليخت ملكا خاصا لجلالة الملك • ثم رأى أن يبيعه فاشترته حكومته ، لا ليكون في خدمة جلالته ولكن ليكون وحدة من وحدات الاسطول البحرى المصرى • فالمعروف أن الرحلة الملكية التى يقوم بها صاحب الجلالة الملك الان في ايطـــاليا هى رحلة خاصة ، لا تتصل بشئون الدولة ، ولا تتعلق بهـــا • فهل يجوز مع ذلك استعمال هذا اليخت فى هذه الرحلة ، وعلى من تقع اكلافه ونفقاته ، أعلى الدولة ، أم على خاصة جلالة الملك ؟

هذا سؤال خليق أن يسأل من الناحية الدستورية ، وهو سؤال لا تطفل فيه ولا تهجم :

أما انه لا تطفل فيه ، فذلك لأن مال الدولة ليس مال الملك ، كما أن مال الملك ليس مال الدولة ، وقد رسم الدستور حـدودا فاصلة بين المالين • ومن حق كل مصرى أن يتحرى علامات هذه الحدود • ومن حق الامة أن تكون هـذه العلامات واضحة غيـر مطموسة •

واما انه لا تهجم فيه ، فذلك لأن الملك غنى بماله عن مال امته ، ولأن تاخذ منه الامة فوق حقها ، اكثر وافضل من أن ياخذ منها فوق حقه • والامر ، على كل حال ، أمر مبدأ يجب أن يتقرر لتسير البلاد على هداه ، فلا تتفتح المنـــافذ ويتقول المتقولون ، ويتظنن الظانون •

والسهر على مال الامة ورعايته ، امر منوط بالحكومة تحت اشراف البرلمان • فهل تصلح حكومة صاحب المقام الرفيع لاداء هذه الامانة ؟ وهل يرجى أن يراقبها البرلمان فى ذلك ، ويسالها عنه ؟

اما الحكومة فقد سافر رئيسها فى صيف العام الماضى ، وكان معروفا انه سافر للراحة لا للعمل • وكان مقتضى هذا ولازمه ان يسافر مقامه الرفيع كما يسافر اى مصرى آخر • فلا موكب ولا حاشية ، ولا بطانة ، ولا حرس • لأنه اذا كان على الدولة ان توفر له من ذلك ما يرضى تواضعـــــه فى مصر حيث يعمل ، وحيث يقال انه يعمل ، فالامر على النقيض اذا كان فى اجازة وفى الخارج ، حيث لا تكون الحاشية ، ولا البطانة ، ولا الحراس ، الا مظهرا من مظاهر الاسراف ، وسوء التدبير ، فضلا عن استغلال النفوذ •

لكن النحاس باشا ابى ان يكون فى أوربا أقل تواضعا منه فى مصر • وعلى هذا سافر ، وسافرت معه حاشيته لا لينفق عليهـا من ثرائه الواسع ، ولا لتنفق هى على نفسها • ولكن لتنفـق عليها الدولة نفقة السفيه المجنون الذى يعطى الكونستابل فوق راتبه بدل سفر على اساس خمسة جنيات فى اليوم الواحـــد . هذا الى سيارات استؤجرت فى فرنســـــا لتكون تحت تصرف الموكب السعيد ، وكما دفعت مصر التعسة بدل السفر كذلك دفعت اجور هذه السيارات •

واغلب الظن ان هذه الوقائع قـــد وصلت سـمع كثير مـــن الشيوخ والنواب ، ومع ذلك ما فكر واحد منهم فى ان يجعـل منها مادة لسؤال او استجواب ••• والوفديون من هؤلاء معذورون لانهم تعلموا فى مدارس الوفد ان الزعيم الامين لا يناقش ولا يحاسب ، وغير الوفديين كـــذلك معـــذورون لانهم تعلموا فى مدرسة البرلمان ان اخطر الاستجوابات قد تنتهى بشكر الحكومة والثناء عليها •••

واذا كان هذا هو شأن ممثلى الامة مع الحكومة ، فمـــاذا عساه يكون شأنها مع القصر ؟

هذه هى العلة التى تميت دستورنا نصا بعد نص ، وسطرا بعد سطر • ولو انها اماتته كله دفعة واحدة لكانت بنـــا أرحم واشفق • ولكن اين منا الرحمة هذه الايام ؟ !

مأساة الرتب .. والنياشين !

« اللواء الجديد » — ١٥ مايو سنة ١٩٥٦

الرتب والنياشين ، في ذاتها ، لا تستحق منا نظرة ولا وقفة • لأننا نؤمن بالديمقراطية الصحيحة والديمقراطية الصحيحة تستوجب المساواة ، ولا مساواة مع رتبتفرق بين الناس • وتجعل بعضهم فوق بعض درجات •

لكن اذا كانت الرتب والنياشين لا تهمنا من جهة ذاتها ، فانها مع ذلك تهمنا من جهة الضرر الذى ينجم عن توجيهها غير وجهتها ، وصرفها الى غير مستحقيها • وهو ضرر استفحل ، واستشرى في ايامنا البيض هذه • وها هو قد جاء أخيرا والقى ظلالا من ريبة ، وسحبا من ظن على هيئة كان ينبغى الا تدركها الريب ، ولا تلحقها الظنون •

انها النيابة العمومية ، أو هى القضاء الواقف • فالتقليد الراسخ أن القاضى لا يثاب على قضائه • اذ المفروض أن عمل القاضى اسمى من أن يلقى مثوبة غير مثوبة السماء • وعلى هذا ، لا اعتداد باشخاص القضاة ، ولا كفايتهم ، ولا مواهبهم •• ولا أعمالهم حين ينعم عليهم برتب أو نياشين ، وانما الاعتداد بوظائفهم ودرجاتهم • وهم حيث يتعددون ويتماثلون فى الوظيفة والدرجة يشملهم الانعام جميعاً بلا استثناء •• لتتحقق بينهم المساواة ولينتفى بينهم الاجحاف •

وقد افتاتت الانعامات الاخيرة على هذه المعانى كلها ، وخرقت حرمتها ، وتركت الناس يضربون كفا على كف ، ويتساءلون : ماذا يراد بالقضاء بعد الذى أريد بالجيش ؟ •

نعم افتاتت الانعامات الاخيرة على هذه المعانى كلها • لأنها انعمت على اثنين من المحامين العموميين برتبة البكوية من الدرجة

الاولى فميزتهما بهذا الانعام على سائر زملائهم · وانه لمعروف ان المنعم عليهما كانا ذا شأن فى تحقيق قضية الجيش ·
كذلك انعمت بنياشين النيل من الدرجة الرابعة على اربعة من وكلاء النيابة ، فميزتهم على سائر زملائهم · ومعروف أن هؤلاء ايضا كانوا ذوى شأن فى ذات التحقيق ·

فكيف تم هذا الانعام ؟ وبم يفسر ؟ انى أسأل وزير العدل جوابا عن هذين السؤالين · وأسأله أيضا : أهو الذى طلب هذا الانعام على اعتبار ان المنعم عليهم تابعون له ؟ أم ان الذى طلبه سواه ؟ ام ان الانعام قد تم بغير طلب ؟

انى أسأل وزير العدل جوابا عن هذه الاسئلة كلها · ولا يغنيه عن هذا الجواب غضبه أو رضاه ، مرضه أو تمارضه ، متى كان هو المسئول الاول عن هذه المأساة ·

انى أسأل وزير العدل جوابا عن هذه الاسئلة ، باسم العدالة ، واسم أسرة القضاء ، واسم الامة المصرية كلها ·

اسأله باسم العدالة لأنها لا ترضى عن الريبة تمس حرماتها ، ولا عن الظن يغشى مقدساتها ··
اسأله باسم أسرة القضاء لان هذه الإنعامات ، ان كانت قد اسعدت القليل من أفراد هذه الاسرة ، فقد اشقت واخجلت الكثيرين منهم ··

اسأله باسم الامة المصرية كلها لأنها حريصة أشد ما يكون الحرص على أن تجنب قضاءها مواضع الظن · ليبقى كما كان العهد به ·· موفور الكرامة ، مرفوع الرأس · وتبقى هى كما هو العهد بها تفاخر به وتباهى ·
فليجب وزير العدل عن هذه الاسئلة · بعد أن اعفيناه من كثير غيرها ، حين كنا نظن أنه جاد يوم قال أنه استقال ·

من كتابات : أحمد حسين



- طلائع المد الثوري..
- عصابة الرأسماليين ترفع رأسها
- رَبِّ السجن أحبُّ إليَّ

طلائع المد الثورى ...

« الاشتراكية » ــ ٢٩ يونيه سنة ١٩٥١

منذ عشرة اشهر او بالاحرى فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٠ على وجه التحقيق نشرت جريدة الاشتراكية مقـــالا بعنوان : « قادم من الريف أيها الكبراء ·· أيها الوزراء ·· أيها الأغنياء ·· اننى لكم نذير مبين ·· فالثورة اتية لا ريب فيها ·· اذا استمر الحال على هذا المنوال »

وقلت فى هذا المقال ما ياتى بالحرف الواحد : « ثورة ··· ! انك تهذى يا صاح ·· هؤلاء العبيد يثورون ؟ هؤلاء الجياع يثورون ؟ ان (شخطة) واحدة من السيد كفيلة بان تخلع قلوبهم ·· فاذا لم تكف هذه (الشخطة) ، فان بنادق الخفر كفيلة بسحق هذه الحشرات »

وجاء فى هذا المقال ايضا « اننى عائد من الريف ، كما قلت ، فاى ثورة تلك التى رايتها تجيش فى النفوس ، اى سخط ، واى غضب ، واى هيجان ·· ليت الوزراء والحكام والكبراء كانوا معى ليسمعوا بآذانهم كيف تذكر اسماؤهم ·· وجاء فى المقال : ليت الوزراء ، والحكام ، والكبراء كانوا معى ونحن نجتـــاز اقطاعيات وزير الداخلية ، واقربائه ، وانسبائه ، ويسمـــعون تعليقات الناس ·· ثم ختم المقال بالعبارة الاتية ··

« ان الثورة اتية لا ريب فيها ، ففى كل نفس سخط ، وفى كل نفس غضب ، وفى كل نفس نار تشتعل · والمسالة لا تحتاج الا للظرف المناسب ، والساعة المناسبة ، لكى يشتعل ذلك كله فى ومضة عين ·

وبعد فانى نذير للحكام ، ولولاة الامور ، ولرئيس الحكومة ولوزير الداخلية وللسراة والاعيان والاغنياء ·· أن الامور لا

يمكن أن تستمر على هذه الحال وفرصتكم الوحيدة لايقاف الثورة هو تطبيق المبادىء الاشتراكية ، والخطط الاشتراكية . فاذا لم تفعلوا فهى الثورة الاجتماعية آتية لا ريب فيها وقد اعذر من أنذر »

ذلك كلام قلته منذ عشرة شهور ، اى فى ختام اشهر الصيف الماضية . وعلم الله انه لم يكن لى مقصد سوى التحـــــذير والانذار . ولفت نظر الحكام الى تطور الحالة .

فان فى الريف تطورا عميقا يستدعى الاصلاح السريع النـــاجح بتعديل القواعد التى يجرى عليها العمل فى الريف .. وتغيير هذه المعاملة التى يعامل بها كبار الملاك المزارعين ، وان ينظروا اليهم كبشر يساوونهم فى الحقوق ويجب ان ياخذوا نصيبهم الحق من الكرامة والاعتبار .. ويأخذوا فى الدرجة الاولى نصـــيبهم الاوفر مما تنبته الارض من ثمرات نتيجة كدهم وجهادهم هم وأولادهم ومواشيهم طول العام .

وجهت هذا النذير مخلصا صادقا ، لا أبغى من ورائه سوى الخير لكل الناس وعلى رأسهم الاغنياء والكبراء والاقطاعيين .. فقد خلقنى الله لا أحب ايذاء أحد ولا أحمل الحقد والضغينة لاحد . وأومن ايمانا حازما اننا من خلال الحب وغريزة حب الخير نستطيع ان نحل كل المشاكل التى تعترض المجتمع . فماذا كانت نتيجة اخلاصى فى النصح والتحذير . كانت النتيجة أن قدمت لمحكمة الجنايات بدعوى أننى أحرض على الثـــــورة .. ثم أقدم وزير الداخلية على الغاء مجلة مصر الفتاة من اساسها لأنها تحرض على الثورة .. ولم يكن لمحامى الحكـــــومة أمام مجلس الدولة من كلام يقوله الا أن يتلو هذا المقال ويكرره ويعيده لاظهار خطورته . وسكتت مصر الفتاة لأنها الغيت .. وعنـــدما صدرت « الشعب الجديد » لم تتحدث عن هذا الموضوع ولم تكرره .. ولم تشر الى حديث الثورة عن قرب أو عن بعد .

والان فنلق نظرة عما يجرى فى انحاء البلاد .

أما قصة الطوائف من أطبـــاء ومعلمين ومأمورى الضرائب وغيرهم .. وغيرهم فمعروفة ومشهورة لا تحتاج الى ان نشير اليها ..

على أن الذى يعنينا من دراسة هذه الظاهرة .. ان الوزراء

الذين حاولوا أن ينهضوا لعلاج هذه المشكلة بالذهاب لمناقشة هذه الطوائف ·· قد عوملوا معاملة خشنة وقاسية وقد سمعوا بآذانهم ما يكرهونه ·· وقد اضطروا للانسحاب خوفا من أن ينفاقم الاعتداء عليهم ويتحول من التعدى بالقول والاشارة ·· الى التعدى بالايدى والاقدام ·· وعندما يجابه موظفون فى الدولة وزيرا ورئيسا بمثل ما جوبه به وزير المعارف بالنيابة ·· فنحن ندع تسمية هذه الظاهرة للوزير نفسه ·

***

ومن كفور نجم تأتينا قصة طريفة وشائقة ·· فهذا مزارع قد رفع على تفتيش الامير محمد على قضيتين وتوليت رفعهما بنفسى كوكيل عنه · اى أن مزارعا شاء أن يحتكم الى القانون وانا الذى أومن بالقانون وباننا نستطيع فى هذه الايام المضطربة أن أن ننقذ المركب المترنحة اذا التزمنا جميعا جادة القانون فما راعنى وراع الناس ان هذا المزارع قد ألقيت عليه صنوف الاضطهاد وتعاون رجال البوليس مع رجال التفتيش على أن يكيدوا لهذا المزارع واهله وذويه وان يفعلوا بهم الافاعيل ··· ولكن ذلك كله لم يزد المزارع الا استمساكا بحقه وذودا عن كرامته فاذا بالتفتيش ورجال البوليس لا يجدون سبيلا للتخلص منه الا باستخدام الجريمة السافرة ··· والقوة الغاشمة متحدين القانون والنظام والدين والعرف والتقاليد ·· فيسقط (عنانى احمد عواد) شهيدا على عتبة دار البوليس وقد انهالت عليه مجموعة من خفر التفتيش يضربونه بالبلط والخناجر والرصاص تحت سمع وابصار رجال البوليس · ولم يلق الجميع بالا الى أن هناك محاضر تحقيق مفتوحة وان النيابة ممسكة بأزمة الامور ·· ولم يلق الجميع بالا الى أن أعين الصحافة مفتوحة على كفور نجم وانها تترصد كل ما يجرى فيها من حركات ·· ولم يلق الجميع بالا الى أن وزارة الداخلية قد أوفدت مفتشيها الى هذه المنطقة لتراقب وتحدد المسئوليات · كل ذلك قد ضرب به عرض الحائط وجاءوا بالقوة البهيمية ·· وفى وضح النهار وأمام مركز البوليس ···

·· جاء خفراء التفتيش يحولون رجلا الى كومة من اللحم والدم ·· لأنه تجرأ ورفع قضية على التفتيش ·· وبعدا للنيابة وبعدا للصحافة ·· وبعدا للقانون ·· وبعدا للقضاء ·· لقد أعدم التفتيش أحد عبيده فمن الذى يجرؤ على محاسبة التفتيش

•• وعندما تصل الامور الى هذا الحد ••• فنحن نتـــرك مرة اخرى وصف هذه الحالة لجناب الوزير المختص •

***

وأخيرا نصل الى هذا الحادث الذى يمكن أن يكون بداية عهد جديد من موجة ارهابية تدمر الشعب ، ومحنة جديدة تصيب الامة فى حريتها وكرامتها •• بل قد يرى البعض أن هذه الحكومة بكل حولها وطولها لم تعد صالحة لارهاب الشعب المصرى كما ينبغى فيسعون لرفع حكومة أخرى اشد نكرا ونقمة •• وليس لمثل هـــذا التفكير سوى نتيجة واحدة وهو التعجيل باشعال نيران الثـــورة الجائحة •• قد يكون هذا الحادث هو بدء هذا الانقلاب •• وقد يكون بدء انقلاب من نوع آخر ، انقلاب خير اصلاحى • ويتوقف الامر الان على سراج الدين باعتباره وزير الداخلية ووزير المالية والرجل المسئول عن هذه الحكومة •• يتوقف عليه الامر فى أى الطريقين سيسير بالبلاد ••

ولنرجع مرة أخرى الى هذا الحادث لنحلله تحليلا علميـــا •• هذا البدراوى عاش هو واباؤه واجداده وامتلكوا هـــذه الضياع وتعاملوا مع هؤلاء المزارعين •• فهل يذكر أن شيئا مما حدث أو شبيها به قد حدث له أو لأحد أفراد عائلته فى هذه المائة سنة الاخيرة •• هذا هو السؤال •• فاذا كان الجـواب بالنفى فهلا يدل ذلك على أن الحال قد تغير وتبدل وان الامر اصبح فى حاجة الى اجراءات من نوع جديد واساليب جـديدة ليس فيها اصطناع القوة لأن هذا الحادث ما كان ليتطور بهذا الاسلوب العنيف لولا أن واحدا من أسرة البدراوى يعتبر نفسه دولة فى داخل الدولة وقد بدأ يطلق النار على العبيد فاردى منهم شهيدا وجرح اخرين •• لم تكن القوة اذن بعيدة عن الموضوع بل القوة هى التى اشعلت النيران فى القصر التليد الخالد • لقد كان للقصر حرمته فلما انبعثت الرصاصات من القصر لتهرق دم العبيد ثار العبيد واحرقوا القصر • وسمع البدراوى الكبير النبأ فظن أن مجرد ظهوره فى الميدان كاف لوضع الامور فى نصابها ، ماذا به يحتاج لكل حماية البوليس كى ينجو بنفسه ، والان فلنرجع قليلا لهذا الذى قلته منذ عشرة شهور « ثورة •• انك تهذى يا صاح •• هؤلاء العبيد •• يثورون ؟ هؤلاء الجياع يثورون ؟ أن (شخطة) واحدة من السيد كفيلة بان تخلـــع

قلوبهم ، فاذا لم تكف هذه (الشخطة) فان بنادق الخفر كفيلة بسحق هذه الحشرات » ٠

***

ألم تكن هذه نبؤة صادقة وصفت هذا الذى حدث فى (بهوت) قبل أن يقع بعشرة أشهر ٠ واأسفاه ٠٠ لقد شخط السيد فلم تجد شخطته ٠٠ بل لقد بحث عن الخفراء ليحموه فوجد الخفراء يقفون فى صفوف العبيد فاضطر هو الى أن يقتل ٠٠ وان يقتل ثم يهرب بعد ذلك لينجو بجلده ٠ فهل يدرك السادة والكبراء الان ٠٠ ان العبيد يثورون ٠٠ وانهم عندما يثورون يحرقون ويدمرون ٠٠ ولا تفلح فيهم القوة ٠ لم نكن اذن الا ناصحين ومرشدين فعسى ان يسمع الينا وان يستفاد بنصحنا ٠

ان هذه الحوادث التى يمثلها تذمر الطوائف ٠٠ ومصرع (عثمانى احمد عواد) ٠٠ وانفجار الفلاحين فى أراضى سادة الاقطاع فى مصر ، هو طلائع المد الثورى على ما يقول علماء الاجتماع ٠٠ فالثورة لها مد كمد البحر وعلماء الاشتراكية يدركون هذا المد وطلائعه ويدركون هذا المد عندما يصل الى ذروته ٠ فهذا الذى يجرى الان ويقع فى البلاد هو من علامات طلائع المد الثورى ٠

وهاانذا فى يونيو سنة ١٩٥٩ أعود لانذار الحكام وتحذيرهم ان هذا المد الثورى لا يزال من الممكن أن يتحول الى جزر فيتراجع ٠٠ ومن المحقق انه اذا لم تزل الاسباب التى تدعو لرفعه فانه سيتحول الى طوفان جبار ٠

***

أما الاسباب التى تزيد فى قوة المد فلا تخطئوا وتظنوا انها كتابات احمد حسين أو كتابات أمثاله من أصحاب الاقلام الحرة ٠٠ حذار أن تضللوا أنفسكم فتظنوا ان هناك من يوقد لهب الثورة غيركم انتم معاشر الحكام والاغنياء ٠ أن مستنقع الفساد الذى يعيش فيه الكبراء والحكام والاغنياء هو الذى يرفع هذا المد الثورى ٠ لقد هرب الكبراء والوزراء ويهربون الى الخارج ٠٠ الى المصايف ٠٠ الى الشواطىء الى الكازينوهات ٠٠ وتركوا الفلاحين فى هذا الجحيم يعملون جياعا عرايا ، بعد أن سلطوا عليهم موظفيهم ليرهقوهم بالمطالب وابتزاز الاموال ٠ وينزل الفلاح عن قمحه وهو يسمع أن أحد ابناء الذوات يبتاع الجواهر من اوربا ويتعرى على الشواطىء ويفطر فى رمضان

فى الوقت الذى لا يستطيع ان يحصل على بعض القمح الذى استغل فيه طول العام قوتاً لاولاده .

وما يقال عن الفـــــلاح يقال عن الموظفين وبقية طوائف الكادحين ..

هذا هو مكمن الخطر .. وهذا هو العامل الاساسى لخلق هذا المد الثورى الذى لن يلبث أن يتحول الى طوفان . اذا لم تكفوا عن هذا الاستهتار .. اذا لم تدركوا ان الحكم ليس لهوا ولعبا ومغنما .. وانما هو جهاد وتضحية وبذل . اذا لم يدرك (النحاس) ان قدمه قد اصبحت الآن فى القبر وعليه أن يعمل شيئا لامته ، ولهذا الشعب الذى اولاه من الثقة ما لم يحظ به انسان فى أى بلد من البلاد . ما لم تخضعوا جميعا لهذا الشعب .. ما لم تعرفوا أن اموالكم هى من حق هذا الشعب .. ما لم تخفـــوا مظاهر ثرائكم وتبذلكم واسرافكم وفجوركم عن هذا الشعب .. فان هذا الذى ترونه هو طلائع المد الثورى الذى يقرر العلم البحت انه سيتحول الى طوفان.

عصابة الرأسماليين ترفع رأسها !..

« الاشتراكية » ـ أول يونية سنة ١٩٥١

قيل ان توجيها ملكيا وجه للوزارة بمناسبة تعديل الضرائب لتعرض هذه الضرائب على المجلس الاقتصادى الاستشارى الأعلى· ونحن الذين الينا على أنفسنا أن نكون سدنة للدستور وحفاظا عليه ، قد كتبنا فيما مضى نؤكد حق رئيس الدولة الأعلى فى نصح حكومته وارشادها وتوجيهها · بل وزدنا على ذلك أن الحكومة الرشيدة ينبغى أن تلتمس توجيهات جلالة الملك من حين لآخر فى الشئون العامة · ولكن المرجع النهائى سيبقى دائما للحكومة الدستورية المتمتعة بثقة البرلمان · فالحكومة ليست ملزمة بأى حال من الأحوال ، بأن تعمل بتوجيهات رئيس الدولة الأعلى لان الحكومة ـ وليس الرئيس ـ هى المسئولة أمام البرلمان ، وحيث تكون المسئولية تكون السلطة · وحيث تنعدم المسئولية تنعدم السلطة · ومن المعروف والمجمع عليه أن الملك فوق المسئوليات ، فهو بالتالى لا يملك الأمر ولا النهى ولا التنفيذ ، وانما الذى يملك ذلك هو مجلس الوزراء (المهيمن على مصالح الدولة) والذى يستمد سلطانه من الأمة مصدر السلطات ··

ونحن لا نقبل بحال أن تمسخ الأوضاع فى بلادنا فيتصور انسان أن التوجيه الملكى اذا صدر للوزارة فانه يكون ملزما لها··

هذه هى الأوضاع الدستورية نضعها تحت أنظار من لم يكن يعرفها ··

بقى ما يقال ويشاع بصدد هذا التوجيه الأخير الذى قيل أنه صدر من رئيس الدولة الأعلى الى الحكومة خاصا بالضرائب ·· وقد كذبت الحكومة صدور هذا التوجيه فأصبح لا وجود له ·

فكان يتعين على الصحف أن تمسك عن القول بأن توجيها ملكيا قد صدر ، فمادام لم يصدر بيان رسمى بهذا التوجيه من ناحية

الوزارة او ناحية القصر .. فكل مايقال عن هذا التوجيه ليس الا لونا من الوان التكهنات .. ليس الا طرفا من هـــذه المؤامرة المستمرة من الراسمالية الجشعة ضد الشعب ..

ولذلك فقد أحسنت الحــكومة كل الاحسان . بل احسن وزير المالية بالذات عنــدما اعلن في حزم وفي صراحة أن مشروعات الضرائب هي الآن في ذمة البرلمان صاحب الاختصاص ، وهو وحده الذي يملك النظر في هذه القوانين وتعديلها وليس المجلس الاقتصادي الاستشاري ..

ننتقل بعد ذلك الى كشف الستار عن هـذه المؤامرة الدنسة ، التي حمل كبرها بعض الصحف الراسمالية ، وروج لهــا بعض الزملاء بحسن نية بعد أن اختلطت المعاني في رءوسهم .

يجب ان تعلم الامة اولا وقبـــل كل شيء ممن يتالف المجلس الاقتصادي الاستشاري الأعلى ؟ انه يتالف من وزيرين واربعـة نواب وشيوخ ثم حضرات السادة الاماثل مع حفظ الالقاب والرتب والنياشين ايضا :

حسين سري ــ حافظ عفيفي ــ الياس اندراوس ــ محمد احمــد عبود ــ على امين يحيى ــ عبد المقصود احمد ــ مسيو مارسيل فنسينو ــ مسيو الزورت لاميورت ــ محمــــد محمد الوكيل ــ اسماعيل رمزي .

ولكن عامة الشعب قد لا تعرف ان حســـين سري هو رئيس الحكومة الســابق الذي تؤجره الشركات الأجنبية ليكون سبيلها لاستغلال المصريين واستثمارهم ، وحافظ عفيفي هو الرجــل الذي كان يراس ادارة اربعين شركة لمجـرد انه رئيس بنك مصر ، اما احمد عبود فهو رب المال في مصر ، وعلى امين يحيى هو رب اخر في دنيا الوثنية الراسمالية ... وان مسيو مارسيل فنسينو هو ممثل الراسمالية الفرنسية في مصر باعتباره رئيس البنك العقاري .. وزميله الخواجة الآخر قد يكون ممثل الراسمالية الانجليزية او اليهودية ..

فالمجلس الاستشاري الأعلى لا يتالف كمــا قد يقع في روع البعض من الخبراء الاقتصاديين ، او من المواطنين الكبــار الفنيين .. وانما هو يتالف من كبار الراسماليين الذين تضج البلاد منهم ، والذين قد اتخذوا من هذا الشعب عدوا لهم فلا هم لهم الا أن يستغلوه على اية صورة من الصور لغاية واحدة وهدف واحد

وهو أن تزيد ملايينهم وتتضاعف ·· ولو كان فى موت هذا الشعب وفنائه عن بكرة إبيه ، ما يضـاعف فى ثرواتهم ، فلا تظن انهم يترددون لحظة فى ان يتمنوا هذه النهاية ·· ولا لوم عليهم ولا تثريب · فطبيعة النظام الرأسمالى الجشع تجعل الهدف النهائى هو الحصول على الارباح بأى ثمن من الاثمان ولو باغراق العالم فى طوفان من الدم ··

وبقى أن نعرف أن تعديلات الضرائب الجديدة قد رفعت ضريبة الايراد على الدخل العام الى سبعين فى المائة عن كل ما زاد عن خمسين ألفا من الجنيهات · ولقد دعت الاشتراكية ولاتزال تدعو الى رفع هذه النسبة الى تسعين فى المائة بل الى ٩٥٪ اذا لزم الأمر ، حتى لايزيد دخل أى مصرى عن ستة آلاف جنيه فى العام بأى حال من الأحوال ، وذلك لكى يتسنى رفع الشعب الى المستوى الذى لا يقل فيه الدخل لأى مصرى عن خمسمائة جنيه فى العـام بأى حال من الأحوال كذلك ·· فنحن لا يسـعنا - وليس يسع الشعب - الا أن يرحب بهذه الخطوة التى خطتهـا وزارة المالية وهى أن تجعل النسبة ٧٠٪ فى كل ما زاد عن خمسين ألفا من الجنيهات ، وبنسبة أقل من عشرة آلاف الى خمسين ألفا ·

ولكن الراسمالية الجشعة ما كان يمكن أن تسكت فان هـذه الضرائب ستحد قليلا من جشعها ·· وستقلل فى أيديها الاموال اللازمة للانفاق على موائد القمار وعلى الغوانى فى نيس وكان ومونت كارلو وباريس ··· هذه هى الضرائب الجديدة ، ستجعلهم يفكرون قليلا فى طريقة انفاق المال وهم قد اعتادوا أن لا يفكروا فى طريقة انفاقه ·· اعتـادوا أن يهبوا احدى الغوانى عقـدا بعشرة آلاف من الجنيهات أو باضعاف ذلك ·· اعتادوا أن تكون لهم اسطبلات الخيول لا فى الاسكندرية وفى القاهرة فحسب بل وفى باريس نفسها وفى انجلترا ·· اعتادوا أن تكون لهم قصور للصيف واخرى للشتاء وثالثة للربيع ورابعة للخريف ·· ثم قصور أخرى للالتجاء اليها عند الملل ، أو عندما يراد الابتعاد قليلا عن الأنظار ·· هذه الضرائب الجـديدة اذن قد يكون من شأنها أن تحمل سادتنا الكبار ، وأربابنا المعبودين على الشعور بشىء من التنظيم فى انفاق أموالهم وهم لم يعتادوا على غيـر الفوضى ··· ولم يعتادوا على غير الفحش فى الانفـاق وفى التصرف ، وفى المعاملات ··· ومن هنا بدأت المؤامرة فاستغل

الراسماليون ـ على ما قال بعض الوزراء ـ سؤالا وجهه جلالة الملك الى احد الوزراء عن المجلس الاقتصادى وعن المرات التى عقد فيها لكى يخلقوا ـ كما يقولون ـ من الحبة قبة وليقولوا ان جلالة الملك قد طلب عرض مشروعات الضرائب على المجلس الاقتصـــادى الاستشارى ... كبرت كلمة تخرج من افواههم أن يقولون الا كذبا ... كيف نعرض هذه الضرائب على الأشخاص الذين ستجبى منهم هذه الضرائب والتى شرعت هذه الضرائب بالذات للحد من جشعهم وشرههم ... ان بنك مصر واعضاء مجلس ادارته وعبود وتوابعه وعلى أمين يحيى وفرغلى واندراوس واحزابهم ، هؤلاء النفر الذين ستؤخذ منهم هذه الضرائب المرتفعة، وهؤلاء هم اصحاب الملايين فى مصر ، وهؤلاء هم الذين يمثلون اخوانهم وزملاءهم من باقى افراد العصابة الراسمالية الجشعة ، فهل من المعقول ان يوافق هؤلاء على أن تجبى منهم الضرائب . لو ان هذا المجلس كان يجلس فيه أساتذة الاقتصاد ... لو انه كان يجلس فيه ممثلون عن العمال وعن الفلاحين وعن صغار الموظفين ... اذن لقلنا أجل فلتعرض هذه القوانين على المجلس ليمحصها من الناحية الفنيـة البحتة .. اما واعضاؤه هم الذين ذكرناهم لك فما جدوى العرض على هذا المجلس الا أن يكون المقصود هو وأد مشروع الضرائب الجديدة .

دعونا اذن من التباكى على الشعب ، فانتم فى كل اعمــالكم وتفكيركم أبعد ما تكونون عن الشعب أو التالم لأجل الشعب انمـا تبكون لان فرصة اســتغلال الشعب واســتنزاف دمه توشك أن تفر من أيديكم .. لأن هذه الضرائب العالية ستجعل استغلال الشعب واستنزاف دمه قليل الجدوى فى تكوين ملايينكم .. لاينبغى أن يقال اذن أن الحكومة بالغت فى الضرائب المباشرة بل الحق أنها يجب أن تزيدها على الاغنياء اكثر وأكثر ... وانما الحق أن يقال لها انك تبعثرين هــذه الضرائب على ملذاتك وشهواتك وشهوات الأنصار والاتباع والكبراء ... انما الذى ينبغى أن يقــال أن الشعب لاينتفع بهذه الأموال المجموعة وانما هى رد على الاغنياء بعد أن يضاف اليها ما يؤخذ من الفقراء والكادحين على صورة الضرائب الجمركية والتى تبلغ اكثر من نصف الميزانية .. أموال الدولة كلها لا تنفق على الشعب ولا تقضى على الفوارق ولكنهـا تعمل على زيادة هذه الفوارق وتضخيمها . قارن بين ما ينفق على احياء الزمالك وجاردن سيتى وما يسمونه الاحياء الافرنجية فى كل

مدينة وبين ما ينفق على الأحياء الوطنية تدرك أين تنفق الضرائب. اقرأ ما كتبناه في العدد الماضي عما يجرى الآن في ضاحية المرج التي يراد تحويلها الى جزء من صميم القاهرة لتباع عزبة الرئيس الجليل بالمتر والذراع بدلا من الفـدان والقيراط ... انظر الى ميزانية وزارة الأشغال في هذه الناحية تعرف أين تصرف الضرائب ... اقرأ ما كتبناه في أعدادنا السابقة عن قصر محمد على بشبرا والملايين التي انفقت عليه ولاتزال تنفق .. اقرأ عن التماثيل التي تقام في كل ميدان والتي تقام بالجملة لا بالقطاعي وتنزع لها احياء باكملها تدرك على الفور اين تبدد هذه الملايين ..

اسأل كم من الجنيهات انفقت على اصلاح يخت المحروسة وامثاله واى ملايين تنفق في هذا السبيل .. تابع قضية الجيش والارقام الخيـالية التي يتحـدثون عن أن زيدا لطشها .. وان بكرا سرقها وان عمرا (شفطهـا) تدرك على الفور اين تذهب أموال الشعب . وما خفى كان أعظم .

اقرأ الصحف وأخبار الحفلات والزينـات والمؤتمرات وكبـار الموظفين والوزراء الذين لهم في كل يوم مؤتمر علمي تدرك على الفور اين تضيع اموال الشعب ..

اسأل عن هذه التصرفات وطالع انباءها ثم اصرخ في وجه الحكومة وفي وجه وزير المالية وقل له أيها الرجل اذا كنت تريد الاصلاح حقا .. فهذا هو سبيل الاصلاح . ليس يكفى أن تجمع المـال لتزعم انك توفر العدالة الاجتماعية .. انما العـدالة الاجتماعية في كيفية انفاق هذا المال فلتكف الحكومة عن هـذه النفقات الجنونية في التافه من الامور ... فلتضرب الحـكومة على يدها ويد انصارها واتباعها ومريديها .. فلتحكم الحكومة شهواتها وشهوات كل صنوف الحـكام في مصر لتفرض على نفسها الوانا من الوان التقشف والتعقل . وعندها سيكون من حقها أن تزعم انها تجبى الضرائب للانفاق على الشعب .. أما الان فان هذه الضرائب التي تجبيها وكل الضرائب التي تجمعها من افقر طبقات الشعب انما تنفق على الاغنياء .. تنفق على الكبراء .. تنفق على الحكام وهذا مايجعلنا نؤيدها وهى تجمع الضرائب من الاغنياء لاننا لا نستطيع الا أن نؤيد المبدأ وكنا نلعنها وهي تنفق هذه الاموال على الحكام والاغنياء مرة ثانية بعد أن تضخم بما زيد عليه من ضرائب الشعب البائس .

رب السجن أحب الى

« الاشتراكية ـ ١٨ مايو ١٩٥١ »

اكتب هذه السطور صباح الاثنين ، وعندما يطالعها القراء اكون قد وقفت بالامس امام محكمة الجنايات لأحاكم بتهمة العيب في الذات الملكية ، ولعشرات اخرى من التهم ما بين تحريض على الثورة ، وبغض الطوائف الرأسمالية ، واهانة وسب « كريم ثابت » و «حسين سرى » و « انطونيو بوللى » واضرابهم ·
والوقوف أمام محكمة الجنايات ليس جديدا علينا فيوم أن تؤرخ حركة كفاحنا ستؤلف المحاكمات والوقوف أمام محكمة الجنايات ثلاثة أرباع هذا الكفاح ·· وتنخلع قلوب الناس لمجرد تصورهم أن يقفوا أمام محكمة الجنايات ·· وحق لهم أن يهلعوا فان المواطن الحر جدير به أن لا يقدم على الاخلال بالقانون من ناحية، ولأنه خلف محكمة الجنايات سجون وليمانات وحرمان من الانسانية المهذبة وزج بالانسان في مهاوى الذل والشقاء ·

اما نحن فعندما نقف أمام محكمة الجنايات فلا يساورنا شيء من ذلك على الاطلاق · فلا نحن نشعر اننا خرجنا على القانون واخللنا به ·· وانما نحن نحارب الاخلال بالقانون والعبث به ·· كل ما في الامر أن الحكام وولاة الامور يتصورون انهم فوق القانون وفوق الدستور ، وان كل ما يفعلونه يصبح قانونا ·· ونحن لا نعرف كبيرا ولا صغيرا امام القانون في هذا البلد ·· ولا نعرف لأحد مقاما يحفظ عليه الا أن يكون خادم القانون والدستور ·· فاذا خرج على هذا الدستور والقانون ، أو ظن أن ارادته ومشيئته هى القانون ، فهو في هذه الحالة خارج على القانون وثائر عليه ·· ونحن عندما نرده الى جادة الصواب ، بأي أسلوب من الاساليب ، نكون نحن الحفظة على القانون ،

ونكون نحن من نمثل دور النيابة العمومية التى تمثل الشعب أصدق تمثيل ٠

وإذا كان الوقوف أمام محكمة الجنايات هو الطريق الى السجن في كثير من الاحوال ٠٠ فان السجن هو والقبر سواء ٠٠ وقد قيل في الحديث ان القبر اما حفرة من النار ، أو روضة من رياض الجنة ٠٠ هو حفرة من النار لهؤلاء العاصين والمذنبين والمعتدين على حق الاخرين ٠٠ هو حفرة من حفر النار لأرباب الشهوات والطغاة والجبارين والإنانيين والجشعين ٠٠ هو حفرة من حفر النار لاعداء الشعوب ، والمستهترين بالاداب والاخلاق والتقاليد ٠ هو حفرة من حفر النار لأصحاب الملايين والرأسماليين الذين يستغلون دماء العباد لينفقوها على المراقص والمغانى وموائد القمار ٠ هو حفرة من حفر النار من غير تلك للقوادين الذين يتخذون من القيادة سبيلا من سبل الارتقاء والحصول على ما لا يحصل عليه الشرفاء الامناء ٠٠٠ هو حفرة من حفر النار لكل منافق ومراء وكذاب لئيم ٠٠ ولكنه روضة من رياض الجنة ، وهو روح وريحان للصادقين الامناء - المخلصين والاطهار ، الذين لم يظلموا أحدا ولم يستغلوا أحدا والذين لا يخافون في هذه الدنيا أحدا الا الله ولا يرجون جزاء ولا مثوبة الا من الله ٠٠ القبر روضة من رياض الجنة للعاملين والكادحين الذين يكسبون عيشهم من عرق الجبين ٠ الذين لا يعيشون في كنف النساء ويحقرون الرذيلة ويحطمون الاصنام ٠ القبر روضة من رياض الجنة للمجاهدين الذين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون في الحق لومة لائم ، ولا يخشون صولة جبار أو بطش طاغية ٠٠ هؤلاء ينفسح لهم القبر ليكون جنة وارفة الظلال ٠ وما السجن الا لون من الوان القبر فالحكم فيهما واحد والمصير فيهما واحد ٠ فالسجن سلاسل واغلال ، وعذاب وارهاق ، وعار وشنار للسراق (في غير ضرورة) وللمختلسين والمرتشين ، ولسافكي الدم ، وقاتلي النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ، وللزناة ٠ أما بالنسبة للمجاهدين الذين نزلوه لانهم نطقوا بالحق، ٠٠ وجاهدوا لإسعاد الشعب ٠٠ فان ناره تتحول الى برد وسلام، وسلاسله تتحول الى أوسمة ونياشين ، وذله وعاره يتحول الى مجد وفخار ٠ هكذا كان شأن السجن مذ عرفت الدنيا السجون ٠٠ وهكذا كانت تجاربنا الشخصية في السجن ، فما تململنا في

يوم من الايام ، ولا تبرمنا الا من الترف والكسل وكثرة ما نشعر به من نعيم وسعادة ٠٠ فقد كان بالنسبة لنا دائما لونا من الوان الخلوة ٠٠ نخلو فيها الى انفسنا ونخلو فيها الى الله ٠٠ نعبد ونتعبد ، ونفكر ونتعمق ، فاذا بنا نشعر بالسعادة التى قد لا يشعر بها القابضون على السلطان ٠٠ بل نشعر بسعادة لا يحس بها اصحاب الملايين ، او اصحاب التيجان ، او اصحاب الجاه العريض ٠

يجب أن يعلم الحكام فى هذا البلد أن الشعب قد قرر أن يجعل منهم خدما له لا سادة ، وان يكونوا محاسبين امامه قبل أن يحاسبوه ، وانه يقف لهم بالمرصاد ، ويتتبع حركاتهم وسكناتهم، ويعد عليهم الانفاس ٠ عندما يشترى الحاكم عزبة ، فان الشعب الذى أضناه الجوع والعرى لا يمكن أن يغتفر ذلك ، ولا بد انه سيأتى يوم يحاسب الذين هزأوا من جوعه وفقره واثروا على حساب الامه ٠٠ لابد انه سيأتى اليوم الذى يحاسبهم فيه ، وقد يكون هذا اليوم بعد مماتهم بالذات فيمتد الحساب الى اعقابهم وذراريهم ، بل قد يمتد الى أجسادهم وعظامهم البالية فى قبورهم عندما يسمع الشعب عن أصحاب الملايين فى مصر وهم يتهادون فيما بينهم بالهدايا التى تقدر بالالوف وعشرات الالوف ، ثم يتلفت الشعب حوله فيجد نفسه في حاجة الى (صفيحة) ماء للشرب فلا يجدها لأن موارد الميزانية لا تسمح ٠ وعندما يجد مستشفى اغلقت ابوابها لان احد اجهزتها لايزال ناقصا والميزانية لا تسمح بشراء الجهاز ٠ وعندما يجد بين صفوفه مئات الالوف من العاطلين الذين يتسكعون للحصول على لقمة ٠٠ عندما يقارن الشعب بين حالته وبين حالة هؤلاء الكبار فان الغضب يجيش فى نفسه ويقرر أن لا يسمح باستمرار هذه الحال ٠ عندما يسمع الشعب عن كبرائه وانهم يسهرون لياليهم يلعبون القمار ، ويسمع عن المبالغ الضخمة التى تقذف على الموائد وقد جمعت كلها من عرق الفلاح ٠٠ فان الغضب يملأ جوانح الشعب ولا يمكن أن يسمح باستمرار هذا العبث ٠

عندما يرى الشعب حكومته مشغولة عنه وعما يعانيه من ازمات طاحنة ٠٠ ويراها وكانها تعيش فى عالم اخر او كانها حكومة امة اخرى ٠٠ أو حكومة دولة اجنبية تحكم شعبا مغلوبا على أمره ٠ عندما يحس الشعب ذلك فان الغضب يفسد عليه حياته ويابى الا

ان ينفجر ليرى على رأسه حكومة من صميمه تحس بألامه وتجوع لجوعه وتشقى لشقائه ٠

عندما يرى الشعب ان المراكز الحساسة فى ادارة بلاده قد ملئت بالجواسيس وبأعداء البلاد وبمن لا تجرى فى دمائهم قطرة دم مصرية ٠٠ فان الشعب لا يمكن أن يسمح باستمرار ذلك ، لأن مصر لم تعقم ، فلا يكون من ابنائها من يملأ هذه الوظائف فى أمانة وطهارة واخلاص ٠

***

ولا بد أن يكون للشعب صوت يرتفع ليعلن ارادته ٠٠ وقد اخترنا ان نكون أحد هذه الاصوات ٠٠ ونحن نعلم أن هـــذا يعرضنا لكل صنوف المحن والآلام ولكنها تهون الى جوار خدمة الشعب التى هى عندنا عبادة لله ٠ وسنظل نعلى سلطان الشعب فى كل موقف وفى كل مجال ٠ نعليه ونحن نخطب ، ونعليه ونحن نكتب ، ونعليه ونحن ندافع فى المحكمة ، ونعليه ونحن نسجن ، ونعليه ونحن نزف الى قبرنا ٠ فليسمع ذلك جيدا كل من له اذنان للسمع ، وليعلم أن الزمن قد استدار ، وان الاســــاليب العتيقة والمعانى البالية لم تعد تصلح لهذا الزمان ٠

وآخر ما اختتم به هذه الكلمة التى لا أعرف ماذا يكون مصيرى بعدها ٠ أن اهيب بكل مواطن يحس بمثل احساسى أن يبادر لحمل اللواء ٠ وان يخف الى نجدة العاملين ٠ فالشعب يجب ان يتكتل ، والشعب يجب ان يزأر ، والشعب يجب ان يخيف ٠

والله اكبر ويحيا الشعب ٠

من كتابات : فتحي رضوان



- عهد الكلاب !
- الشيطان يتكلم !
- رحلات الملوك !

عهد الكلاب ... !!

« اللواء الجديد ـ ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٥١ »

حدثني صاحبي قال : ركبت قطار الديزل من الاسكندرية عائدا الى القاهرة ، ومعي زوجتي وابني · وكان قبالتنا على المقاعد المواجهة ، أحد اخواننا النوبيين ومعه ·· حذر ماذا ؟ قلت ومعه زوجته : قال لا · بل كلب ارستقراطي ينظر الى الادميين نظرة ترفع واستكبار · وقد سبب لنا هذا الكلب فزعا ، لان ابني ، كان يتوجس من كل حركة تصدر منه ، شرا · ولقد اقتضانا ادخال الطمانينه الى قلبه بعض الوقت · ثم رأيت من الواجب ان اتشرف بمعرفة رفيق السفر الذى آنسنا بصحبته · فسألت النوبي عن أمره · فقال لي انه مريض يشكو علة ، وانه لا يعود الى القاهرة لمجرد الرغبة في السفر · بل ليعرض نفسه على طبيب ·· وقال الاخ النوبي أن طبيب القاهرة « بولوني » مشهود له بالكفاية في معالجة الكلاب · وأن الحرص على انقاذ حياة هذا الكلب ، هي التي دفعت بالسيدة المجرية صاحبته الى التشبث بعرضه على الطبيب البولوني بالقاهرة ، فلقد فجعت السيدة من قبل ، في كلب كان زميلا للكلب المريض · فاشفقت عصمتها من ان تفجع فيه أيضا ، فيجل المصاب عن العزاء ·

والسيدة التي يتسع حبها لهذه الكلاب ، هي زوجة مصري تتسع ثروته لهذا اللون الجديد من البذخ ، ولهذا الطراز الوافد من المتع والهوايات ··

ولقد أطرقت ، وصاحبي يسمعني هذا النبأ · فسألني : فيم تفكر ؟ قلت : الفكر في خاطر يلح على الحاحا ، واني احاول أن اطرده وابعده عن رأسي · ان حديثك اوحى الى ، بعنوان لهذا العهد الذى نعيش فيه ، يمثل ما فيه من فوضى ، ومن اضطراب ،

ومن انقلاب للمعايير ، ومن اطلاق للشهوات والغـــرائز ، ومن تجد لحقائق الحياة التى نحياها ، أو يحياها المجموع المتعب المكدود • الذى يسمونه الشعب • ان هذا العهد قد أختار لنفسه اسمه ، وأنا أرفض هذا الإختيار اكراما لادميتنا ، واجـــلالا لانسانيتنا • لقد أختار لنفسه ان يكون « عهد الكلاب » • وانا أرفض ان يمر فى تاريخ امتى عهد ننحط فيه الى درك هـــذه التسمية • ولكن كل شىء يدعونى الى أن اقر التســمية ، وان اذيعها بين الناس •• فالعهد الذى ينال فيه الكلاب والخيـــول هذا القدر من العناية والاحتفاء من أهل بلادنا ، هو العهد الذى يتضور فيه الادميون فى القرى وفى المدن جوعا • هو العهـــد الذى تفتح فيه الوحدات الصحية ، فلا تجد الدولة لها اطبـــاء ليعالجوا الوف المرضى ، والذى تفتح فيه المدارس ، فلا تجـــد الدولة لها مدرسين ليعلموا ، والذى تفتح فيه المنشات الإجتماعية فلا تجد الدولة لها مراقبين ومرشدين وحاضنات وممرضات •

ان العهد الذى تتقدم فيه الكلاب والخيول الصفوف ، فتسبق الفلاح والعامل ، بل تسبق التلميذ وطالب الجامعة ، هو العهد الذى تأكل فيه دودة القطن المحصول الرئيسى للبلاد ، والذى يرتفع فيه سعر الذرة ، المأكول الرئيسى للناس ، والذى يهدد فيه الإفلاس الخزانة العامة •

ان العهد الذى يجد فيه الكلب مكانه فى الديزل ، لا تجد فيه أسرة بأسرها من البشر أجرة الركوب فى الدرجة الثالثة ، لأن الكلب يجد من يأويه ، ويحميه ، ويدافع عنه ، أما الفلاح فلا يجد الا أعيانا نزل بهم الفقر ، فعالجوه بالتمسح في الســياسة •• والتعلق بالمبادىء ، حتى اذا قفزوا الى الوزارة ومقـــاعد السلطان ، اسرعوا فوزعوا أنفسهم على مناصب الدولة ، هنا شقيق وهناك شقيق ، وفى الشركات اشقاء ، ثم اندفعوا ينهبون ويسرقون ، ويقترفون ، سرقات مفضوحة ، سرقات يعاقب الله عليها بقطع اليد ، وتعاقب عليها الامم الحية بالاعدام المدنى أو المادى •

كيف لا يتقـــدم الكلاب ، وجـــواز المرور فى هذه الايام ، ان تكون تافها لا علم عندك ، خفيفا لا وزن لشخصك ، مسايرا لا اعتبار لرايك ، وان تتستر على اللصوص وتعينهم ، بل وتعدهم

ابطالا وتعتبر جرائمهم تضحيات ، وسرقاتهم غزوات ، وفضائحهم امجادا خالدات باقيات ..

كيف لا تتقدم الكلاب .. وانت ترى الرجل منتفخ الاوداج كبرا ، منتفخ الجيوب تبرا ، وتسأل من هو ، فاذا عبارة تعريف به لا تخلو من اسم سيدة ، او اسم سمسار ، أو اسم خادم من خدام الاستعمار .

كيف لا تتقدم الكلاب ، والرذيلة باتت اليوم المصعد الذى يعلو بالحقراء والمفرطين في الاعراض ، والمتمسحين فى الاقدام ، والفضيلة قد باتت الاعباء الثقيلة التى لا يرفعها انسان فوق ظهره الا وقصمته ، ولا يرتبط بها الا حطمته ..

فالعهد اذن عهد الكلاب ، وعهد الخيول ، وعهد الامزجة المريضة ، وعهد اللذائذ المسمومة . فلا عجب ان تجلس والى جوارك كلب ، فغدا سيجلس الكلب ، بلا أجرة وفى غير مقابل ، الا أن يكون الاجر ، هو ان تنال شرف الاتصال بالكلاب المشمولة بعطف الاقوياء .

فليعرف اذن الكتاب والباحثون ، وليعرف الوطنيون والمربون انهم يعيشون فى عهد الكلاب ، فليقلبوا افكارهم وليغيروا فيها وليروضوا السنتهم ويصلحوا من شانها ، وليدربوا اقلامهم ، ويقللوا من اندفاعها ، حتى تتشابه العقول والالسنة والاقلام بما يريده الكلاب ، ويامرون به ، ويرضون عنه .

الشيطان يتكلم .. !!

« اللواء الجديد ـ ٢٨ أغسطس سنة ١٩٥١ »

حدثنى حافظ رمضان (باشا) يوما فقال أن جلالة الملك كان يستشير فى احدى الازمات رجال السياسة ، فجــــاء دوره فى مقابلة جلالته ، قبل حافظ عفيفى (باشا) مباشرة • فلما انتهى الحديث بينه وبين الملك ، وهم بالانصراف ، قال جلالته :

ـ وهل لديك شىء جديد تضيفه ؟

قال : ليس عندى الا أن أتشرف بلفت النظر بأن الذى سيأتى بعدى هو وكيل بريطانى ، أو صنيعة بريطانية • فأومأ جلالته برأسه •

فحافظ عفيفى ، خادممن خدام الانجليز ، أفنى رجولتـــــه وشيخوخته فى خدمتهم ، وهو خادم كما ترى مفضوح ، وان لم تكن به ، خفة أمين عثمان ، الا انه من طرازه • ولم تتح لى الاقدار فرصة التحدث اليه الا مرة واحدة ، ولكن هذه المرة كانت كافية ، لتنطبع له فى نفسى صورة تبعث على غاية الاشمئزاز والتقزز • فهو رجل ناعم • ناعم فى كل شىء : ناعم الصوت ، ناعم الحركة ، لا تعرف وهو يحدثك من اين يخرج صوته • فلا تدرى اذا كان هذا الصوت منبعثا من امعائه ، ام من حذائه ، ام من طرف أنفه • فهو ككل الذين يخدمون الانجليز ، قد قتلوا عواطفهم، فأصبح يعيش بغير احساسات البشر وانفعالاتهم•ودفن قلبه ، فبات يرى نكبات أمته ، وكوارثها الفادحة ، فيفكر فيها ، لا ليردها عن الشعب المسكين الذى هو احد أفراده (رسميا) ولا ليتعظ منها بوصفه كبيرا من رجال السياسة والمال ، بل لينتفع هـــو ويكسب • ولقد كسب فعلا • كسب مكاسب فادحة بشىء واحد ، هو التسلل من ركن الى ركن ، والتسلق من مكان الى مكان ، على اكتاف الرجال وعلى تيار الحوادث • ولا أدل على ذلك انه

الان يعد من أكبر رجال المال فى مصر .. مع أن عهده بالمال ، لا يرجع الا الى عشر سنوات خلت..لاتكفى لتمرين محام عظيم ، ولا لاخراج طبيب كبير . فلقد قضى هو نفسه ضعفى هذه المدة فى الطب ، ثم هجره آخر الامر ، باحثا عن وظيفة تدر مالا أعظم ، وجاها أكبر ، ونفوذا أعمق ، فكانت هذه الحرفة هي السياسة .
ولكن حتى حرفة السياسة التى كانت ملاذ كل كسلان مغمور ، فاشل من أبناء أغنياء هذه الامة ، لم تعجبه لانها تكلفه بعض العناء . وهو يريد ان يأكل حتى التخمة ، ويتمتع حتى الثمالة ، ويتبطل الى آخر الغاية ، بلا جهد ولا عناء ولا تفكير . فكانت هذه الوظيفة التى اختارها فكان مديرا لشركة ، ثم رئيســـا لشركة أخرى ، ثم عضوا فى شركات لا اول لها ولا آخر . ولا عد لها ولا حصر .. شركات كلها تنتفع بعظيم خبرة ســـعادته فى شئون الاقتصاد والمال .

ولقد اراد سعادة الباشا الاقتصادى العظيم أن يجدد الصورة التى انطبعت له فى ذهنى ويزيل عنها الغبار ، فخرج بحديثه الذى يدعو فيه الى التعاهد مع انجلترا وأمريكا معا . فرأيتنى أسأل نفسى : ما هو أقرب شبيه لسعادته ؟.. ولم أطل التفكير ، فان آخر عبارة فى حديث ســـــعادته هى التى أسعفت ذاكرتى .. فقد حذرنا سعادته من التحالف مع الشيطان .. أى مع روسيا .. ان أقرب شبيه الى سعادته ، هو .. شبه الشيطان !

انا لم أر الشيطان وجها لوجه الا فيما صوره الفنـانون فى صورهم ، والقصاصون فى قصصهم ، وأهل التمثيل على مسارحهم .. ولكنهم جميعا لم يروا حافظ عفيفى ، ولو رأوه ، لهتفوا من أعماق قلوبهم : هذا هو الشيطان ..

فالشيطان لا يمكن الا أن يكون فى هدوء حافظ عفيفى ، وفى انخفاض صوته ، وفى اتئاد حركته ، وفى نعومة تنقلاته . ولا يمكن الا أن يكون صموتا أكثر الوقت كحافظ عفيفى ، فان تحـدث ففى التافه المسلى من الامور . حتى يخدعك عن حقيقته ، وحتى يوهمك بعلمه ، وحتى يسرق منك ثقتك به واطمئنانك اليه ..

وما أظن ان الشيطان دخل بيت انسان ليخربه ، ويهدمه على رأسه الا بنفس الحجة التى يريد ان يتذرع بها حافظ عفيفى ليهدم بيت المصريين ، ويخربه عليهم . ان الشيطان لا يدخل بيوت الناس الا فى ثوب صديق ، او ناصح ، او معين . والزمن وحده

هو الذى يكشف ان هذا الصديق جاء ليسرق من صاحب البيت زوجته ، وان هذا الناصح يبذل النصح ، ليصرف الناس عن الطريق السوى ، وان هذا المعين ، مراب أو جاسوس أو قاتل ٠

فحافظ عفيفى مشفق اشد الاشفاق على المصريين لانه يجدهم وحدهم فى هذه الدنيا المكشوفة لا تظلهم صداقة ولا يسندهم حليف ‥ وهو يريد أن يضمن لهم الامن ، ويوفر لهم الدعة ٠ فاختار لهم انجلترا وأمريكا ‥ فياله من شيطان جرده الله من كل رحمة اختار لهم دولتين معا لا واحدة ٠ وهو يعلم ان احدى الدولتين مفلسة ، فيها سعار الغنى الذى افتقر ٠ والثانية محدثة ‥ تواقة الى ان تضع يدها على كل ما تطوله من أمم وبترول وامتيازات واحتكارات ‥

اختار لنا دولتين احداهما انقضى لها فى مصر ثمانية وستون عاما من الاحتلال المدمر المخرب ، فلم تبذل لنا من مودتها الا العهود المنقوضة ٠ والوعود المهجورة ٠ أما الثانية ، فقد أعطت الامم كلاما ‥ ثم رأت الاحتلال البريطاني يعصف بنا ، فلم تقل له : رويدك ‥ ورأت الاحتلال الفرنسى يعصف بالمغرب ، والهند الصينية . فلم تقل له حنانيك ‥

لقد أختار لنا الشيطان ، محالفة الذئب والثعلب اللذين ينهشان منا اللحم ويقضمان منا العظم ‥ وكأننا لا نعرفهما ٠ ولكن انيابهما تخرق نسيج أبداننا ٠ ومع أن بخر انفاسهما يزهق ارواحنا ٠

فالشيطان ـ على خبثه ، ونعومته ـ شاخ ، فأصبح مفضوحا‥ وليس فى الدنيا أقبح من شيطان فقد دهاءه ، وخسر ذكاءه ‥

رحلات الملوك .. !!

« اللواء الجديد ـ ٣ يوليو سنة ١٩٥١ »

نشرت جريدة (الملايين) نبأ الرحلة الملكية، قبل اذاعة هذا النبأ باربع وعشرين ساعة ، فرأت وزارة الداخلية في نشره مخالفة صريحة وصارخة لقانون انباء القصر · فطلبت الى النيابة ان توافق على مصادرة الجريدة ووافقت النيابة على المصادرة ، وعرض الامر على القضاء ··

وقد وقف الاستاذ المدقق رئيس نيابة الصحافة ليترافع في مبررات المصادرة ، فقال كلاما خلاصته ان رحلة جلالة الملك ، هي شأن خاص من شئون جلالته ، فقانون أنباء القصر يحرم اذاعة الانباء الشخصية لافراد الاسرة المالكة الا باذن من وزير الداخلية ·· وقد أقر القضاء وجهة نظر النيابة ووجهة نظر وزارة الداخلية · وأيد المصادرة ، وأصبح مقررا أن السلطتين التنفيذية والقضائية تعتبران رحلة الملك الاخيرة الى سواحل البحر الابيض الشمالية ، هي رحلة خاصة يشملها نص قانون أنباء القصر باعتبارها شأنا خاصا لجلالته ··

ولكن في العدد الماضي من (اللواء الجديد) نشرنا مقالا افتتاحيا قلنا فيه ان رحلة جلالة الملك هي رحلة خاصة · فدعتنا النيابة في اليوم نفسه الى التحقيق الذى جرى في يومين · سمعت في اولهما ردود الاستاذ مصطفى مرعي على ما وجه اليه من أسئلة حضرة الاستاذ الكبير رئيس النيابة في شأن العبارات التى اعتقد المحقق انها تتضمن عيبا في الملك ·

وانتهى اليوم الاول ، وحسبنا انه خاتمة المطاف في التحقيق ·· ولكن حضرة رئيس النيابة دعانا على عجل في اليوم التالى ، فلبينا الدعوة · وجرى تحقيق جديد ، اساسه أن « اللـــواء

الجديد » اخطات اذ اعتبرت ان رحلة جلالة الملك هي رحلة خاصة اذ انها رحلة رسمية حكومية يباشر فيها جلالته عملا من اعمــال وظيفته الكبرى ، بدليل ان المراسيم ترسل الى جلالته اثناء قيامه بهذه الرحلة الميمونة فيوقع عليها ، وبدليل ان وزيرا جديدا قضت ظروف الدولة المستعجلة لاسناد منصب الوزارة اليه فطار الى حيث تشرف بالمثول بين يدى جلالة الملك المعظم على ظهر اليخت الذي يقله ٠

ولا شك عندى فى أن تحقيق اليوم الثانى جاء بعد دراســة دستورية وفقهية لرحلات الملوك عموما ولرحلة جلالة الملك الاخيرة خصوصا ٠ وهو بحث جدير بأن يلتفت اليه رجال القانون ورجال السياسة ، وان يراجعوا فيه معلوماتهم ، وما وصلت اليه نتائج ابحاثهم ٠ وقد كان مثل هذا البحث محلا لدراسة فى تاريخ مصر الحديث ٠

وقد جاء فى صفحة ٧٢٦ من كتاب « فى أعقاب الثورة المصرية » الذى وضعه المؤرخ الوطنى الكبير الاستاذ عبد الرحمن الرافعى تحت عنوان : « رحلة الملك فؤاد الى أوربا » ٠ ما نصه :

« اعتزم الملك فؤاد القيام برحلة الى أوربا ٠ وأرادها رحلة ملك مطلق ، لا ملك دستورى ٠ فلم يدع أى وزير لاصطحابه ، على حين ان المألوف فى النظم الدستورية أن يصطحب الملك وزير الخارجية فى مثل هذه الرحلات ، ولكن الملك أبدى رغبة فى ان لا يصحبه أحد من الوزراء ٠ وهنا نشأت أزمة داخلية وقف (سعد) فيها الى جانب (ثروت) ، واشترط أن يصحب الملك فى رحلته ، وقد عرض على البرلمان فتح اعتماد بنفقات الرحلة الملكية فاحجم عن اقراره لأن الملك فؤاد كان لا يزال معتزما الســفر دون أن يصطحب أحدا من الوزراء ٠ وانتهت الأزمة بقبول الملك اصطحاب (ثروت) فى رحلته ٠ وعلى ذلك اقر البرلمان اعتمادات الرحلة » ٠

ويفهم من هذه السطور ، ان المصريين منذ ربع قرن من الزمان ، انتهوا فى امر رحلات الملك الى رأى دستورى ، حدد الامور ، ووضع المعالم ٠ فالرحلة الرسمية هى الرحلة التى تمثل فيهــا الوزارة٠ وعند ذلك تقوم ميزانية الدولةبتحمل مصاريفها فالوزارة لا تمثل فى الرحلة من قبيل المراقبة بل قياما بواجبها الذى تسأل عنه وحدها والذى لا تملك أن تتخلى عنه لغيرها ، فالاتصال بالدول الاخرى ، والتعامل السياسى معها ، وتبادل الرأى مع

ممثليها انما هو شأن وزير الخارجية تحت اشراف مجلس الوزراء فوزير الخارجية الذى يجلس فى مكتبه ويتنازل عن شرف مصاحبة ملكه ·· مفرط فى واجبه نحو الملك ، وفى واجبه نحو الدستور · وهو بهذا جدير بأن يحاكم بعد أن يعزل · ولكن اذا كانت الرحلة خاصة لم يكن هناك من لوم على مجلس الوزراء اذا هو لم يمثل بأحد أعضائه فى الرحلة الملكية · اذ من حق جلالة الملك فى مناسبة سعيدة كمناسبة زفافه ان يستمتع بما يستمتع به أصغر رعاياه فى مثل هذا الظرف من التخفف من أعباء القيود الرسمية بعض الوقت · وان يستجم ويجدد قواه ، فى رحلة خاصة ·

ولكن لا يطعن فى طابع هذه الرحلة الخاصة ، ان يستقبل جلالته وزيرا أو يوقع مرسوما ، اذ ان ذلك يقع من جلالته ، رغبة فى عدم تعطيل الاعمال ، وهو يملك فى الرحلة الرسمية أيضا ان يوقع المراسيم ويقبل الوزراء فى سفن مملوكة للدولة ، باعتبارها امتدادا لارض الوطن ·

وبعد ، ماذا دهانا ؟

كان وزراؤنا فى سنة ١٩٢٨ أكثر معرفة بحدود الدستور ، واكثر استعدادا لتحمل تبعاته ·

اتكون الوزارة قد اعتزمت أن ترجع بنا القهقرى ، وان نعدو بظهورنا ؟! أتكون قد سئمنا الواجبات الثقيلة والقيود الغليظة فأردنا أن ننطلق على وجوهنا ؟!

اننا ان فعلنا ترديننا فى هوة ما لها من قرار ··

ولكن الله لا يرضى لنا بشىء من هذا ، وفينا من يستطيع ان يقول كلمة الحق ، ولو فتحت له أبواب السجون ·

من كتابات : إحسان عبد القدوس



● دولة الفشل..!

● الفساد الذي تحميه القوانين

● هذه الحكومة يجب أن تستقيل

دولة الفشل .. !

« روزاليوسف ـ ٨ يوليو سنة ١٩٥١ »

اننا فى مصر نؤمن بالفشل ونعبد الفاشلين ..

الفشل فى كل مكان . وامام كل خطوة ، ووراء كل زعيم ، وفى حنايا كل « ملف » وفى ظلام كل « درج » وفى طيات كل صوت .. والفاشلون هم الذين يحكمون مصر ، وهم الذين يسوقونها من فشل الى فشل ثم الى فشل جديد .

رئيس الوزراء فاشل كبير ... فشل فى ان يحقق أهداف مصر القومية ، وفشل فى ان يصون نزاهة الحكم ، وفشل فى ان يحتفظ بقوة الشعب ، وفشل فى ان ينتصر للدستور ، وفشل فى ان يوفر قوت الشعب ، وفشل فى ان يجمع من حوله وزراء ناجحين ، وفشل فى أن يصلب عوده أمام الازمات ، بل انحنى لها حتى اصبح يتقدم الى الوراء زاحفا على بطنه .

والوزير الذى يتولى القضية الوطنية ، وزير فاشل .. فشل فى أن يحقق أهداف مصر ، وفشل فى ان يصون كرامة وطنه ، وفشل فى ان يغطى فشله .. وترك وجه مصر تكويه صفعات الانجليز ، وسمع باذنه ان لا أمل فى الجلاء ، وان لا أمل فى الوحدة ، فلم يقاوم . ولم تهده عبقريته ـ او وطنيته ـ الى طريق جديد يسير فيه ، انما استمر فى طريق الفشل لا يحيد عنه ، ولا يخجل منه ، ولا يداريه .. ورغم ذلك فلا يزال وزيرا مهما من وزراء مصر .

والوزير الذى يتولى شئوننا المالية وزير فاشل .. فشل فى أن يجعل من ميزانية مصر ميزانية محترمة ، وفشل فى ان يوقف التضخم المالى ، وفشل فى ان يرضى الطوائف ، وفشل فى ان يمول المشروعات الكبرى ، وفشل فى أن يفرض ارادته على الاغنياء

٠٠ وفشل في ان يوقف شهوات اصحاب النفوذ ، وفشل في ان يصون مال الدولة من ايدى المختلسين والمتطفلين و « المراقيع » الطامعين ٠٠

وهو نفسه وزير الداخلية ٠٠ وقد فشل في ان ينأى بالادارة الحكومية عن الحزبية ، وفشل في ان ينشر الاطمئنان والاستقرار في كل قرية ، وفي كل مديرية ، وفي صدر كل عمدة ، وكل مامور ، وكل كونستابل ، وشيخ خفر ٠ وفشل في ان يضع للجريمة حداً ، وللوساطات حداً ، وللخلاعة حداً ٠

ووزير الحربية فاشل ٠٠٠ فشل حتى في الاحتفاظ باختصاصه ، وترك الجيش يخرج من بين يدى الحكومة والشعب ، ليكون هيئة كهنوتية لها اسرارها ، ولها سلطانها ، ولها استقلالها ، ولها قائد فاشل ٠

ووزراء التموين والاشغال والتجـــــارة ٠٠٠ الخ ، كلهم فاشلون ٠ وكلهم لا يدارون فشلهم ، بل يفخرون به ٠

والرجل الذى يتولى شئوننا العربية فاشل ، بطبيعته ٠٠ فاشل من يوم ولد ٠٠ ولا يكاد يرى الا والفشل من ورائه ٠٠ اشترك في حرب طرابلس ففشلت الحرب ، واشترك في وزارة على ماهر ففشلت الوزارة وفشل على ماهر ، وساهم في انشاء الجامعة العربية ففشلت ، ونظم حرب فلسطين ففشلت ، وساهم في حركة تحرير ليبيا ومراكش ٠٠ الخ ٠ ففشلت كل حركات التحرير التى اشترك فيها ٠٠ ورغم ذلك فهو يعتمد على هذا الفشل في الاحتفاظ بمنصبه ، وفي تجديد مدة خدمته كلما ارتفع صوت بابعاده ٠

والمعارضة يتولاها زعماء فاشلون ٠٠ فشلوا في اكتساب ثقة الشعب ، وفشلوا في مواجهة الحقائق السافرة ، وفشلوا في وقف طغيان الحكومة واخطائها ٠

كلهم فاشلون ٠٠

ورغم ذلك فليس بينهم واحد يخاف من فشله او يندم عليه ، بل ان هذا الفشل هو الذى يؤهله لحكم مصر ، وهو الذى يحتفظ له بسطوته ونفوذه ، وهو الذى يؤهله للمنصب وللجاه ، وهو الذى يقدمه على خلق الله ويضعه فوق رؤوس الناس ٠

ان قائمة الفشل في يد اى رجل من رجالات مصر ، هى التى تفتح امامه الابواب ، وهى التى تمهد امامه الطريق ، وهى التى تقربه وتحقق احلامه ، وكم من زعيم او رجل فشل ، وقلنا :

لن يعود · فاذا به يعود موفور السلطان والجاه ، ليفشل مرة ثانية ثم ليعود مرة ثالثة ·

وويل للناجحين · !!!

ويل للحر الابى الذى يخشى ضـــــميره ، ويخشى الله فى وطنه ·· !!

وويل للكفء الـــذى ينظر الى الامور نظرة جدية ·· ويعمـل متعمدا النجاح ، لا متعمدا الفشل · !!

ويل لمن يحاول ان يجعل من مصر دولة منتصرة ناجحة ·

ويل له ، فالابواب تغلقمن ورائه ، ومن امامه ، والجبروت الظالم يطارده اينما حل ، والتهم المفتراة تلاحقه فى كل يوم ·· فان كل عاقل وطنى ناجح معناه فى مصر انه شيوعى ، او انه متطرف يسعى لقلب نظام الحكم ·

اطردوا الفاشلين ، ودعوا الناجحين يأخذون مكانهم فى قيادة مصر ·

جربوا صنفا آخر من الرجال غير هذا الصنف الذى اثبت فشله ·· وارحموا مصر من الفشل ··

الفساد الذى تحميه القوانين .. !!

« روز اليوسف ـ ١٧ يوليو سنة ١٩٥١ »

أصدر مجلس الوزراء يوم الخميس الماضى ، قرارا بحظر نشر أنباء الجيش ، الا بعد اذن كتابى من وزير الحربية ٠

وهو قرار من سلسلة قرارات وقوانين ، جرت عليها هـذه الحكومة منذ تولت أمر البلاد ٠ عقابا للصحافة كلما ادت ، او حاولت اداء واجبها ٠ وعقابا للشعب ، او الرأى العام ، كلما أبدى اهتمامه بما يجرى باسمه من مهازل ، وما يرتكب باسمه من جرائم ٠

والحكمة ـ او المراد ـ من هذا القرار الجديد ، لا تخفى على احد ، فان جيش مصر لم يسبق له ان تعرض لافشـاء اسرار تنقلاته الحربية ، او تحركات قواده ، او مناوراته او تجاربه ، او نظام دفاعه عن المطارات والموانىء ، او خططه العسكرية لحماية المرافق العامة او حماية المدنيين ، أو برامجه أو بعثاته ٠ وكلها اشياء نص القرار على حظر نشرها ٠

ولو وقف القرار عند هذا الحد ، لقلنا انه قرار اتخذ لحماية الخطط العسكرية ، وما يتعلق بها من الافشـاء والتسرب الى أعداء البلاد ٠٠٠

ولكنه مضى فى احصـائه للممنوعات والمحظورات ، فذكر المباحثات ، والمفاوضات ، والطلبات ، والعروض والعقود !!

وهنا لا يستطيع أحد أن يغفل الصلة بين هـذا القرار ، وبين قضية الاسلحة والذخائر الفاسدة التى أثارتها هذه المجلة ٠ ولم تستطع الحكومة وقف اهتمام الرأى العام بهـا ، فاضطرت ـ عاجزة ـ الى المضى فى التحقيق فيهـا ٠٠ حتى اذا وجدت الحلقات يجذب بعضها بعضا ، لتلتف حول أعنـاق من تخشى

الحكومة نفوذهم وسطوتهم ، عجلت بالاجهـــاز على القضية ، واصدرت حكمها على النائب العام ، قبل أن يصدر القضاء حكمه على المتهمين !٠٠

وفتحت الحكومة عينيها ، فوجدت طريقها مزروعا بالاشواك السامة القاتلة ٠٠ فلا هى تحتمل التعرض لهـــذه التجربة مرة آخرى ، ولا هى تستطيع وقف الفساد ، ووضع حد للجريمـــة ، ولشهوات النفوس الضالة المتحكمة التى أثرت وتثرى من دمـاء الشعب ٠٠ من الطلبات والعروض والعقود ، التى يدفع الجيش ثمنها مضاعفا ٠٠ من ميزانيته ، ومن حياة جنوده وضباطه ٠٠

ولم يكن بد من اصدار هذا القرار !٠٠

اتريد الحكومة عندما تقع فى أيدينا وثيقة مماثلة لهذه الوثائق التى قدمنا بها المتهمين الى القضاء أن نسرع بهـــا الى وزير الحربية ، ليتفضل معاليه ، فيمهرها بتوقيعه ويأذن لنـــا فى نشرها ، أو تقديم متهمين جدد الى القضاء ؟!

وهل تريد الحكومة أن تقنع الشعب بهذا المنطق الـذى لا يقنع صبيان المدارس ، بانها حريصة على اجراء العدل ، وحمـــاية الجيش وتطهيره ممن يعبثون بحيـــاة افراده ، وبالدفاع عن الوطن ، والذود عن حياضه ٠٠

وماذا يكون الامر ، لو القى الوزير نظرة على ما نقدمه اليه من وثائق ، ثم ابتسم ، ومد بها يده الى غياهب درج من أدراج الاغفال والنسيان ٠٠

وأى سلطة يملكها وزير الحربية حتى نتقدم اليه بما يكون لدينا من معلومات أو وثائق ؟!٠٠

اننا نتقدم بما لدينا الى الرأى العام ، لتأخذنا النيابة بمـــا نكتب ، أو تأخذ المجرمين بمـــا اقترفوا ٠٠ بمـــا لها من سلطات التحقيق ، وحق اقامة الدعوى العمومية ٠

فأى سلطة مماثلة يملكها الوزير ٠٠ الا أن تكون اجـــراء التحقيق الادارى الذى تعبث به الايدى كما تشاء ٠

وماذا يكون الامر ٠٠ لو كان وزير الحربية نفسه هو المسئول عن عبث نتمكن من اكتشافه فى الطلبات أو العروض أو العقود ؟!

انذهب اليه لنستأذنه فى النشر ضده ، أم لكى يتولى بعـــدله وعنايته احقاق الحق ، وازهاق الباطل ، كمـــا جاء فى بلاغه المشهور الى النيابة العمومية ؟٠٠

انها لمهزلة ·· مهزلة نعز انفسنا وأقلامنا وواجبنا الصحفي عن التردى فى الخضوع لما يهدف اليه القائمون بها ·

مهزلة ·· لا نملك حيالها ، الا أن نعد وزير الحربية ومجلس الوزراء منذ الآن ، باننا لن نتراجع عن نشر أى نبأ نشم فى حناياه رائحة العفن والفساد ، الذى يعمل على تطهير الجيش منه

سننشر ·· وننشر ·· وننشر ·· ولن نخاف ، ولن نسكت عن عابث أو مرتش أو سمسار ·· من هؤلاء الـــذين لم يستطيعوا حماية انفسهم من شر أنفسهم ، فسعوا الى حمايتهـــا بالقرارات والقوانين ··

هذه الحكومة .. يجب أن تستقيل .. !

« روز اليوسف ـ ٦ أغسطس سنة ١٩٥١ »

كانت الحجة التى استندت اليها الحكومة ـ واقول الحكومة ـ ولا اقول « اسطفان باسيلى » ـ فى محاولة اصدار التشريعات الصحفية ، هى ، حماية النظام الاجتماعى ·

ولا اعتقد أن هناك خلافا بين الصحافة والحكومة فى وجـوب حماية النظام الاجتماعى ، بل ان الصحافة دائمـــا أحرص من الحكومة فى حماية هذا النظام ·

ولكن ، ما هو النظام الاجتماعى فى مصر ؟ أو ··· هل فى مصر نظام اجتماعى ؟!

ان النظم الاجتماعية المطبقة فى العـــالم هى : الشيوعية ، والديمقراطية ، وللدكتاتورية ، أو الفاشية ·· أو هى من الناحية الاقتصادية : الشيوعية ، والراسمالية ، والاشتراكية ·

فأى نظام من هذه النظم مطبق فى مصر ؟

لنفرض انه النظام الديمقراطى الاشتراكى ، كما تقول الحكومة، وكما قال فؤاد سراج الدين مرة فى مجلس النواب ··

فأى مبدأ من مبادىء الديمقراطية الاشتراكية يحمى ثروة عائلة البدراوى وسراج الدين وتفاتيش أصحاب التفاتيش ؟!

وباسم أى مبدأ من مبادىء الديمقراطية الاشتراكية تستطيع الصحافة أن تسكت أو تدافع عن الصـــفقات المريبة ، وعن الاستثناءات ، وعن استغلال موارد الدولة فى اتخام الكبـــراء والوزراء ؟!

وبأى صورة من صور الديمقراطية الاشتراكية يفرط فى ميزانية الدولة حتى تختل ونبتز أموال مصر لتبعثر فى مصـــايف أوربا ومشاتيها ، وتفرض القوانين الاستثنائية لحماية مصلحة فرد ضد

مصلحة المجموع ، وترفع الضرائب غير المباشرة التي يتحملهـــا الفقراء ، وتحاول الحكومة رفع ثمن رغيف العيش بينما لا تحاول رفع ثمن زجاجات الويسكى والشمبانيا ؟٠٠

واى تفسير للديمقراطية الاشتراكية يبيح ان يبقى الفلاح على حاله ، مريضا جائعا محروما من النعمة الا نعمة الجهل ، ويبيح لاصحاب المصانع ان يستغلوا العمـــــال ويعصروا دماءهم حتى يمرضوا بالسل ثم يطردوهم من العمل ـ الى الشـــــارع لا الى المستشفيات ـ بحجة حماية زملائهم من عدوى المرض ؟!

اننا نريد ان نتفق أولا على نوع النظام الاجتماعي المطبق فى مصر ، وتفسيراته وحدوده ٠ وما يدخل تحتـه من تصرفات وما لا يدخل ، ثم نتفق بعد ذلك على القوانين التى توضع لحمـاية هذا النظام ٠

وقد تطوع « معالى الدكتور حامد زكى باشا » وفسر النظـام الاجتماعى فى مصر بانه يعتمد على قواعد ثلاث ، هى : النظام الملكى الدستورى ، ونظام الملكية الفردية ، ونظام الاسرة ٠

وهذا صحيح وحق ٠٠

ولكن ، اى صحيفة من الصحف المصرية نادت بتحطيم هـذه المبادىء ، أو عارضتها ، حتى تسن هـــذه التشريعات التى أريد فرضها على الصحافة ؟٠٠

انى لم أقرأ فى أكثر الجرائد المصرية تطرفا دعوة الى الجمهورية على اختلاف انواع الجمهوريات ٠٠ ولم أقرأ فى اكثر الصحف تطرفا ، دعوة الى الغاء الملكية الفردية ، أو اعتبار الاراضى كلها ملكا للدولة ٠٠ ولم يظهر قلم ، بعد ، ينادى بالغاء نظام الاسرة المصرية ٠٠

ان ما كتب حتى اليوم وما اثار ثائرة الـــذين أرادوا فرض القوانين المقيدة للصحافة ، انما كتب حمـــاية للنظام الملكى الدستورى وتدعيما له فى حدود الفهم الصحيح والمنطق السليم ، وحماية للملكية الفردية وتنظيما لها فى حدود العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص ، وحماية لنظام الاسرة من أن يحطمه الفقر والظلم والشعور بالسخط ٠٠

وفى دولة ديمقراطية كانجلترا يناقش مجلس النواب مخصصات الملك ويعترض عليها ٠ وتحاسب الصحافة ولية العهـــــد على ما تنفقه من مال خارج الدولة ٠ وتلوم زوج ولية العهـــــد لانه

اشترى سيارة رولز رويس ، وتسأله : من اين لك هذا ؟ ثم تثور عندما تحس بان الملك تعدى سلطاته الدستورية ، كما حدث في ايام ملكها السابق ادوارد الثامن - دوق وندسور - ورغم ذلك لم يقل احد ان النظام الملكي الدستوري في بريطانيا قد تزعزع ، بل انه ازداد ثباتا وجلالا على مر الايام • ولم تحاكم جريدة من الجرائد الانجليزية بتهمة العيب في الـــذات الملكية ، بل قدرت الحكومة اخلاص الجرائد لنظام الـــدولة ، وشجعتها على المضى فيه ، وصانت حقها في أن تؤدى واجبها نحو الشعب والعــرش معا ••

وفي دولة كانجلترا ايضا •• قامت الصحف بالدعوة الى تنظيم الملكية الفردية ، وحققت الحكومة دعوتها عن طريق فرض الضرائب التصــــاعدية وتأميم الصناعات الكبرى ، ورغم ذلك لم تحبس صحفيا واحدا ولو حبسا احتياطيا بتهمة محاولة قلب نظـــام الحكم •• وقامت نفس الدعوة في الهند عندما قضى على نظـــام المهراجات ، وفي ايران ، وفي فرنسا • بل وفي المانيا ، وايطاليا في عهد هتلر وموسوليني • وكل هــذه البلاد يقوم نظامها عــلى الديمقراطية الاشتراكية ، وتقوم صحافتها على حماية هـــذا النظام •

واكثر من هذا •• فقد لا يعلم معالي حامد زكى باشا ، ان هؤلاء الذين يخاف منهم على نظام الحكم في مصر ، والذين ارادت الحكومة أن تحطم اقلامهم عندما حاولت فرض قوانين الصحافة ، سبق لهم أن بحثوا فيما بينهم - وكلت واحدا منهم - فكرة انشاء حزب جديد يضمهم جميعا ، وكان الاسم المقترح لهذا الحزب ، هو : « الحزب الملكي الدستورى » ومعنى هذا الاسم انه حزب يقوم على الاعتراف بالنظام الملكي الدستورى ويعمل على صــيانة الملكية والدستور معا •• وقد اجل بحث الفكرة ريثما تهيأ الاذهان لها •• وعندما تتحقق الفكرة ويقوم هذا الحزب الجديد ، فسيجد من بين المسئولين من يتهمه بانه حزب احمر !!

وهذا ما يجب أن يفهمه معالي حامد زكى باشا ، اذا اتسع صدره لمحاولة الفهم ، أما اذا ظل معاليه مصرا على أن هـــذه الصحف التي أرادت الحكومة أن تطبق عليها التشريعات الصحفية المقترحة ، انما هى « صحف حمراء » وان كتابها « شيوعيون » ، فلماذا لا يطالب بتطبيق قوانين مكافحة الشيوعية عليهم • وهى

القوانين التى تبيح مصادرة النشرات الصحفية اداريا ، وتبيح للقضاء ان يحكم على مروجيها وكتابهـــــا بالسجن الى عشر سنوات ، بدلا من فرض هذه التشريعات الجـــديدة التى حاولت الحكومة فرضها ؟

لمـــاذا ؟!

لانه لا يؤمن بما يقول ، ولانه يعلم فى دخيلة نفسه ان هؤلاء الكتاب ليسوا « شيوعيين » ، وان هذه الصحف ليست «حمراء »، انما هى بيضاء ناصعة · وان كانت تحرر بدم احمر نقى ، انقى من أن يسكت على ضيم ، أو يرضى بظلم ، أو يسكب قطراته تحت الاقدام تزلفا ورياء وخسة ، ابقاء على منصب يضحى فى سبيله بالماضى القريب ، والمستقبل البعيد ، وبالمنطق الوطنى السليم ·

ورغم ذلك فانى أحب حامد زكى ·· أحبه لانه اكثر الوزراء صراحة ، ولان لسانه يفضح ما يدور براسه ، وان كان البعض يسمى صاحب مثل هذه الصراحة ، « مديا » !

وقد « اندب » معاليه وقال فى حديثه الذى لم يكذبه : « اذا كانت الروح العامة شيوعية فيجب أن تكون الحكومة من طرازهــــا ايضا ، اذ لا يمكن أن يتفق وجود حكومة ديمقراطية فى بلد تتفشى فيه الشيوعية · ومن الواجب أن تتخلى الحكومة الديمقراطية عن الحكم » ··

والروح العامة ليست شيوعية ، واذا أراد معالى الوزير برهانا فليراجع مقالاته التى كان يكتبها حينما كان معارضا ويوقعهــــا بامضاء « أبو يوسف » ·

ورغم ذلك ، فهـــذه الحكومة يجب أن تستقيل لا لان الشعب شيوعى ، بل لانها ليست حكومة ديمقراطية ، ولا تفهم للديمقراطية معنى الا معنى الاستمرار فى الحكم !

من كتابات: خالد محمد خالد



- اليوم خمر .. وغدًا خمر
- وراء كل ثورة رغيف
- صاحب الجلالة .. الشعب
- لا تخف إنك أنت الأعلى

اليوم خمر وغدا خمر .. !

« روز اليوسف » ٣ يوليو سنة ١٩٥١ ـ وكان مجلس الوزراء قد بحث فى اجتماعه مسألة الاحتفال بمرور مائة وخمسين عاما على وفاة محمد على مؤسس الاسرة العلوية ·

عندما كان جيشنا يقتل في فلسطين كان لاشراف القاهرة كل ليلة حفلة حمراء يجاهدون فيها جهادا ميرورا !··

وعندما كانت حكومة ايران تغامر من أجل شرفها وحياتها ، وتسترد فى حزم بترولها المنهوب ، كانت حكومة مصر تساهم فى دعم شركات البترول الاجنبية بها وتهديها اربعة ملايين من الجنيهات المبللة بعرق الكادحين !···

وعندما كان مجلس الوزراء فى بريطانيا مجتمعا ليضع الرد الاخير على استجدائنا ، كان مجلس وزرائنا مجتمعا ليقرر الاستعداد من اليوم للمهرجانات الضخمة التى ستقام ، بعد خمس سنوات ، بمناسبة مرور مائة وخمسين عاما علىذكرى وفاة محمد على باشا الكبير !!·

وعندما كان « تشرشل » يخطب فى مجلس العموم مطالبا حكومته بأن تفرض علينا مزيداً من القيود والسلاسل ، كان رئيس حكومتنا يخطب فى الهواء متحدثا عن الزغاريد التى سمعها ·· والهتافات التى استقبل بها اثناء رحلته من القاهرة الى الاسكندرية !!·

وبينما ذهب امبراطور ايران يوزع الارض ، ويشيع الاقطاع الى مقره الاخير · انطلق الاقطاع المصرى السائب يذبح الفلاحين ·· ويدق رءوسهم بالبالطة تحت سمع الحكومة وبصرها !

وهكذا يقنعنا سادتنا وكبراؤنا بفساد ذلك الشعار الذى كان

يقول : « اليوم خمر ·· وغدا أمر »··· ويرفضون أن يقسموا حياتهم بين الجد والهزل ·· ويصممون على أن تكون كلها خمرا ·· ولهوا ·· واستخفافا !

وكل يوم لا يصعد فيه الحكم الى أسفل ، فهو فى نظرهم يوم منحوس ·· يعلنون الى الله منه براءة ومتابا !··واصبح شعارهم الذى يدينون له بالطاعة والولاء هو : « اليوم خمر ·· وغدا خمر ·· وبعد غد خمر » ؟!·

ومن كان من ذلك فى ريب ، فلينظر فيما حوله من مظاهر الحكم جميعا يجد هذا الشعار مسطورا عليها بخطوط من ظلمات !·· هل تجدون فارقا ـ اى فارق ـ بين صيف ١٩٥٠ ، وصيف ١٩٥١ ؟ كلا ·· الا أن يكون الفارق ايغالا فى الرجس وامعانا فى التحدى ·

فى ذلك الصيف ازدهر أملنا فى القصاص من الـذين خانوا جيشنا ·· وفى هذا الصيف ازدهر أمل مجرميها فى أن يعيدوها من جديد جذعة !··

فى الصيف الماضى كنا نخشى أن يفقد النائب العام بعض سلطته ·· وفى هذا الصيف فقدنا النائب العام نفسه !··

فى الصيف الماضى كانت لندن تستقبل وزير خارجيتنا ليفاوض وزيرها ·· وفى هذا الصيف حرمتنا من هذا الشرف ·· وأعلنت أنها غير مستعدة لاستقبال أحد !

أفمن أجل هذا الحكم السفيه يشقى آباؤنا فى الحقول ، واخوتنا فى المصانع ليدفعوا من نور أعينهم الخابية ، وخفقـــات قلوبهم المجهدة ، ضرائب ·· وأتاوات ؟!··

ياويل مصر من حكامها الصالحين ·· لقـــد جعلوها بصقة وعارا ·· وقطعوا ما بينها وبين العالم المتمدين من سبب ·· ذلك أن شعار الحكم فى الامم الحرة : اليوم أمر ·· وغدا امور ·· وشعاره فى مصر المرزوءة : اليوم خمر ·· وغدا خمور ·

وراء كل ثورة رغيف !! ..

« روز اليوسف » ـ ٢٤ يوليو سنة ١٩٥١ » وكــان مجلس الشيوخ سينعقد فى مساء ذلك اليوم نفسه ليناقش اقتراحا للحكومة بزيادة سعر الرغيف مليما ..

فى الساعة السادسة من مساء اليوم ـ الاثنين ـ يجتمع مجلس الشيوخ ليقرر مصير البطون الصائمة .. هل تقدم تضحيةجديدة من أجل سفهاء مصر ومترفيها ، وتشد عليها حجرا آخر يسكت صياح الامعاء المهتاجة . أم حسبها ما نالها من سغب ، ومــا أصابها من ضمور ؟

وجلسة اليوم امتداد لجلستين سلفتا ، أبلى فيهمــا الشيوخ المحترمون بلاء مبينا وارتفعت أصوات كريمة مولولة تقول : اذا كان فى الميزانية عجز ، فلا تجمعوه من أفواه الجياع .. بل خذوه من الرصيد المجنون الذى تنشئون به قصر محمد على فى شبرا .. ومن أدوات الزينة التى تبلغ قيمة المستورد منها ١٨ مليونا مـن الجنيهات فى العام أو تزيد ..

ولقــد تبدت فى الجلسة الســابقة حقيقة فاجعة كشفت عن الحضيض الذى انحدرت اليه قيمة الشعب فى نظر حاكميه .. ذلك أنه فى الوقت الذى تريد الحكومة فيه ان ترفع سعر الدقيق الشعبى ، والرغيف الشعبى ، تذهب فتخفض سعر الدقيق الفاخر الذى يصنع منه السادة فطائرهم المحشوة !...

مع أنها لو أعادته الى سعره الاول لربحت مالا وفيرا ، لكنها بالمترفين رءوفة رحيمة .

ومشكلة الرغيف لا تتمثل فى زيادة سعره مليما ، بل فى المبدأ الخطير الذى تشير اليه هذه التصرفات المريبة .. فكلما جاءت

الميزانية لم يجدوا سوى لحوم الفقراء وجسومهم ، يدسونها في فمها المسعور ، وجوفها النهم ..

وما مسئوليتنا نحن عن ميزانية لا توفر لنا غذاء ، ولا شرابا ، ولا علاجا ؟.. ميزانية اتخذها الاشقياء كلأ مباحا لاطماعهم وما يشتهون . على أن زيادة المليم مرهقة للمستهلك العادى وان لم تشعروا ، فالمواطن الذى يعول خمس انفس مثلا فى حاجة لعشرين رغيفا فى اليوم على الاقل .. وفرق السعر الذى يتحمله آنئذ هو ستون قرشا فى الشهر .. مبلغ تافه ؟.. أليس كذلك ؟!.. لـكنى اقسم لكم انه في حياة الملايين من هذا الشعب جسيم جد جسيم !. وللمسألة وجه آخر خليق بنا أن نتدبره مليا ، فلطالما كان الرغيف هو عود الثقاب الذى أضرم الحطب وأحال الظالمين الى رماد ؟!..

ومن يدرى .. فربما كان من الممكن أن يكتفي ثوار باريس بتحطيم « الباستيل » .. لا سيما وقد استسلم الملك لمطالبهم .. وتنازل الاشراف عن امتيازاتهم ، لولا الرغيف .. فلقد حدث أن شح الخبز فى باريس فجأة .. وتجمع النساء أمام المخـــابز والافران يصحن : « الخبز .. نريد الخبز .. » وجاءت الجماهير تتراكض فى زحام طويل وصاحوا جميعا : « الخبز .. الخبز » .. فلما لم يجدوه صـــاحوا : « الى فرساى .. الى فرساى » .. واندفعوا كسيل العرم حيث أكرهوا الملك ، والملكة ، وولى عهدهما على العودة الى باريس وسجنوهم فى قصر التويلرى .. ثم مضت الثورة لمداها البعيد .. وفى انجلترا نفسها ، لم تطق الجماهير ارتفاع سعر الرغيف أمام « المسغبة الاربعينية » ، فانطلقت تدمدم وتصيح : استلوا خناجركم ، وأعدوا مدافعكم..فاما الرغيف واما الدماء ... واما الحياة واما الفناء ... »

فياليت حضرات الشيوخ المحترمين يعلمون أن زيادة مليمين اثنين فى قانون الدمغة الذى فرضه الانجليز على الامريكان قبل استقلالهم ، هى التى شدت زناد تذمرهم وحقدهم .. ومن ذلـك اليوم ، وبسبب مليمين ، بدأت حرب الاستقلال وثورة الحرية .. نعم .. ياليتهم يعلمون .. وياليتنا نعلم .

صاحب الجلالة الشعب !! ..

« روز اليوسف » ـ ٢١ أغسطس سنة ١٩٥١ ـ « وكانت الحكومة قد اعتمدت مبلغ اثنين وستين ألفا من الجنيهات ، لشراء سيارات للقصور الملكية ·

تلقب « الصحافة » بصاحبة الجلالة ، ثم لا يرى القانون فى ذلك تجديفا ولا عيبا ، نريد أيضا أن نلقب « الشعب » بصاحب الجلالة ، فهو أحق بها وأولى ··

ولماذا لا نكون كذلك ؟·· نحن الذين ندفع الضرائب ، ونشىء الميزانية ·· نحن الذين نشق الترع ، ونسقيكم ماءها ·· ونحرث الارض ، ونطعمكم ثمارها ·· وندير المصانع ، ونهبكم نتاجها ·· نحن الذين نصنع لكم من بؤسنا ثراء ·· وننسج لكم من عرينا كساء ·· واذا كان فى مصر أحد جدير بأن تخشاه الحكومة وتجامله ، فهو نحن ·· لاننا أصحاب البلد الذين نولى ونعزل ··

ونضع ونرفع ·· ونعز ونذل ·· واذا جردتنا ظروف طارئة من سلطتنا يوما أو بعض يوم ، فمردها المحتوم الينا ·· والينا وحدنا ، فى يوم ترونه بعيدا ونراه قريبا ·

نحن الذين جئنا بالاسرة العلوية ·· وفى أحلك ساعات ضعفنا ذهبنا لنعزل خورشيد باشا ونضع مكانه محمد على · ولما قال لنا : اننى وليت بأمر السلطان فلا أعزل بأمر الفلاحين ·· صرخنا فى وجهه : بل نحن الذين وليناك ونحن الذين سنعزلك ·· وبعد أيام كان يتدحرج فى طريقه الى تركيا ، وكان محمد على يجلس مكانه ·· بأمرنا ، نحن صاحب الجلالة الشعب ·· وهذا الوفد ·· نحن الذين جئنا به الى الحكم فى ضجة حافلة ·· ومع ذلك ·· فماذا حدث ؟··

حدث أن وقف الشاذلى (باشا) بمجلس الشيوخ ، منذ

أيام ، يقترح حذف اثنين وستين الف جنيه من ميزانية ديوان الملك، لان السيارات المزمع شراؤها بهذا المبلغ للديوان لا تقتضيها ضرورة ملحة في هذا العام على الاقل ·· فوقفت الحكومة ممثلة في وزير كان الناس ، يتهمونه ظلما ، بالذكاء الخارق والوطنية الشابة ·· فدافعت عن « ثمن السيارات » واقنعت المجلس بوجهة نظرها ··

وقد لا يكون ثمت باس فى أن يعتمد لديوان الملك بدل الستين الفا ستمائة الف لو ان ريح الميزانية تجرى رخاء ·· لكن المؤلم ، والمحزن ، أن الحكومة التى جاد ولاؤها للديوان بهذه الكماليات ·· حرمت الشعب من ضروراته الكبرى ·· ولطمت خـــدودها ولاتزال تلطمها للعجز الفادح الذى يهدد الميزانيـــة ·· وحذفت كثيرا من الاعتمادات الهامة التى لا غنى لاصحابها عنها ·· فستون الف جنيه حذفتها من ميزانية الازهر رغم وعودها الكاذبة التى بذلتها ·· ورغم « ٣ مارس » الذى ضربت فيه العلماء ضربا مذلا مهينا !·· ومائتا الف جنيه ، لاصلاح تلال زينهم حذفتها كذلك ، لتظل الصراصير الآدمية التى تعيش هناك محرومة من أن تجد لها فى وطنها وطنا ·· وفى بلادها سكنا !!·· ومئات الالاف ، تبخل بها على وزارة المعارف كي لا يتاح لاولاد الكلاب ان يتعلموا كأولاد الذوات ، وابناء الصالونات !·· واخيرا تجىء الطامة الكبرى ، فتؤكد صحيفة حكومية بأن كادر الموظفين لن ينفذ هذا العام لان الميزانية فى حالة اعياء!··

ولكن اسمعوا أيها العابثون · لقد صنع اخ لكم من قبل هـو « نوبار باشا » مثل صنيعكم هذا ·· وافرغ مال الشعب فى ديوان الخديو ·· فقصدذ الشعب فى نظارة المالية وضربه ومرغه فى التراب ·· وجاء « اسماعيل » لينقذ بنفسه خليله فرفض الشعب وساطته ولم يدع جثـــة نوبار حتى تعهـــد « اسماعيل » برد الاعتمادات المحذوفة (!)

وصحيح اننا لن نضربكم لاننا نحترم القانون ·· بيـــد أننـا سنسقطكم اذا لم تتوبوا ·· سنسقطكم دون أن تغنى آلهتكم عنكم شيئا ·· ويومئذ تعلمون علم اليقين أن هذا الشعب صاحب جلالة·

لا تخف .. انك أنت الأعلى !

« اللواء الجديد ـ سنة ١٩٥١ »

في حياة كل شعب ينابيع باطنة تمده باسباب الاخفاق ، واسباب الظفر ..

وفي العقل الباطن لكل أمة تستقر رواسب تجاربها العديدة .. وتتراكم ذكريات فشلها ، وذكريات نجاحها .

ومستقبلها منوط دائما ، أو غالبا بالقدر الذى تستطيع به ان تمحو ذكريات الاخفاق من ذاكرتها .. وتبعث ذكريات الفوز والامل .. فبهذا القدر وحده يمكنها ان تمخر الحوادث .. وتشق لنفسها طريقا وسط عبابها .

ومن هنا كانت حاجة الجماهير المتحفزة للثقة بنفسها ، والايمان بماضيها قبل البدء في طريق الكفاح .. حتى اذا انقدحت أمام وعيها اللحظة الحاسمة ، والفرصة الملائمة تبعتها بكل عقلها وقلبها وطاقتها .

وفى تاريخ البشرية لوحات كثيرة تصور هذا المعنى فى براعة وحذق .. وهذه احداها :

عندما دعي لويس السادس عشر « مجلس طبقات الامة » للاجتماع ليعاون الحكومة في تقرير ضرائب جديدة ـ وكان هذا المجلس معطلا منذ عهد « ريشيليو » .. اغتنم الوطنيون هذه الفرصة ، وقرروا وضع دستور جديد للبلاد يطامن من كبرياء « الملك لويس » وطيشه .. واقسموا يمين « ملعب التنس » ـ هنالك اقنعت الحاشية مليكها أن يواجه المجلس فى حزم رادع .. فذهب الى « المجلس الوطنى » كما اسماه الاعضاء اخيرا .. واستجمع « لويس » كل شجاعته التى افاءتها عليه مركبات نقصه .. ثم أعلن بطلان جميع قرارات المجلس التى اتخذها بشأن

الدستور ، وختم كلمته السامية بهذه العبارة المغرورة :
« اذا لم تنفذوا أمرى فساعمل وحدى ٠٠ وساعتبر نفسى مندوب الامة الفرد المطلق » ٠

واحتوى المجتمعين صمت عميق ٠٠ كان من الممكن ان يطول حيث ينتهى الى اذعان يضيف به الشعب الى رصيده من الاخفاق جديدا ٠٠ بيد أن رجلا تركز فيه وعى أمته وحماسها ، وايمانها، ادرك انه حيال اللحظة الحاسمة فى تاريخ بلاده فاطلق صيحة كالاعصار المدمر قائلا : « ما هذه الدكتاتورية الشائنة ؟٠ أليس هذا الذى يصدر أوامره اليكم ــ هو الذى يجب أن يتلقى الاوامر منكم ٠٠ ؟ »
واذ هو يجلجل ويهدر دخل كبير أمناء الملك ليعلن انفضاض الجمع : فلفحه « ميرابو » بصرخة اخرى : « ابلغ سيدك اننا اجتمعنا هنا بارادة الشعب ٠٠ ولن نخرج الا على أسنة الحراب ٠ »

بهذه الكلمات ، وفى لحظات كأنها ومض البرق ، أو لمح البصر ــ محا « ميرابو » من ذاكرة أمته كل ذكريات الفشل ، والذل ، والخوف ٠٠ وهيأ فرنسا كلها لمعرفة الظفر ٠
ولو ان كلمات « لويس » هذا وجدت آذانا مفتوحة ، وعزمات مجفلة ، لتأخر خلاص فرنسا أمدا بعيدا ٠٠ ولظلت سلالة « لويس » تتوالد كالذباب ٠٠٠ من « لويس السادس عشر » ٠٠٠ الى « السادس والعشرين » ٠٠٠ او « الثلاثين » ٠٠٠ !

الم يكن فى تاريخ فرنسا من المحاولات التحريرية التى باءت بالفشل الموصول ما يوحى فى تلك الساعة بالخوف والتردد ؟ ٠٠

نعم كان ٠٠ بيد انه قد كان أيضا فى تاريخها من المحاولات الناجحة ما يوحى بالوثوب والاقتحام ٠٠ !
وكذلك كل أمة ٠٠ وكل شعب ٠٠ فيه هذا الخيط من المشاهد والذكريات وحسبه لكى ينتفع بخيرها ، ويتقى شرها ــ أن يقدم على مغامرة ــ أى مغامرة ــ فتعود اليه ثقته بنفسه ويرى ان الاشباح الضخمة التى ترهبه وترعبه ، ليست الا ظلالا وهنانة ٠٠ وان فى الطغاة دائما من الآفات النفسية ، والتناقضات الداخلية ، ما يعمل دائبا على نخر عظامهم ، ويهيئهم للفناء القريب ٠٠
نعم ــ مغامرة واحدة تبين للشعب ــ أى شعب ــ انه كان يمثل

مع مستعمريه وقاهريه دور الجن مع « سليمان » ـ مع الاحتفاظ بما لسليمان عليه السلام من كرامة وفضل ـ فقد ظلوا يعملون فى نحت الجبال وصنع التماثيل ٠٠ وكلما اختلسوا النظر الى « سليمان » ووجدوه قائما يرمقهم بنظرات حداد ٠٠ انكبوا على الضنى والشقاء ٠٠ من أن « سليمان » آنئذ كان ميتا ٠٠ ولم يكن له من مظاهر الحياة الا وقفته المتكئة على عصاه ٠٠ فلما نخبت العصا « دابة الارض » وقضمتها خر « سليمان » وهوى ٠٠ وهنا ادرك الجن كم كـــانوا واهمين ٠٠ وعلموا لو لامسوا من قبل الشبح الذى كان يبدو رابضا حيا ـ ما لبثوا هذا الامد فى العذاب المهين ٠٠

ولكن لماذا نعرض هذه الخاطرات ٠٠ ؟

نعرضها ـ لتعلم الطليعة اليقظة منا ـ انها تعانى من سوء الظن بنفسها وبقدرتها عناء وبيلا ٠٠ وان تفزعهـــا من ملاقاة المستعمر الغاصب ، والمستبد الناهب ، ليس له ما يبرره ٠ مهما تكن قوة هذا المستبد وجبروته ، وليس علينا الا ان نفكر لهؤلاء المستبدين فى مغامرة ٠٠ وان ننتفع باللحظة الحاسمة الى أبعد مدى ٠٠ وان نؤمن باننا الاعلون فى بلادنا وفوق ارضنا ٠

ايها الشعب ـ لا تخف ـ واذا غلبك الخوف ، فامض فى طريقك وانت خائف ٠

من كتابات : حلمي سلام



- هذا الفساد الأعظم : متى نتخلص مصر منه ؟
- أريد أن أقول لقائد القوات المسلحة
- النظام الاجتماعي : من الذي يعرضه للدمار ؟
- اللهم اتهاما يا رب

هذا الفساد الأعظم : متى نخلص مصر منه ؟!

« المصور ـ ٢١ سبتمبر سنة ١٩٥١ »

اجمع الناس كلهم ، على ان الفساد قد عم وانتشر ، واصبح طوفانها مسعورا يبتلع كل شىء ·· ولم يعد هناك ما يمارى فى وجود هذا الفساد حتى ولا الحاكمون أنفسهم ··

ولست انيع جديدا ، اذا قلت ان الناس قد داخلهم الشك فى وجود (المنقذ) الذى يستطيع أن يخلصهم ، ويخلص بلادهم ، من تلك المحن التى اخذت تنقض عليها متتالية سريعة ، كما تنقض الصواعق ·· فلا تكاد تفيق من صاعقة حتى تلحقها أخرى ، تحطم كيانها ، وتضع رأسها فى التراب !!

الناس كلهم فى شك من وجود (المنقذ) الذى يستطيع ان يحمى مصر من هذه الصواعق ·· وهم ـ الى حد ما ـ معذورون فى شكهم ·· فقد خلع الزمن الاقنعة عن وجوه القادة الذين كانوا يحسبونهم عمالقة ، وانبياء مخلصين ·· وان كلا منهم هو « المسيح المنتظر » الذى سيخلص الشعب من جميع متاعبه ، والامه ، ومآسيه ·· خلع الزمن الاقنعة عن وجوه هؤلاء القادة ·· فبدوا للشعب على حقيقتهم ·· فاذا كل منهم « مسيح » كما كان الشعب يتصور ·· ولكنه « مسيح » مشدود الى مطامع وشهوات رخيصة ·· مطامع جعلته عبدا لاكثر من سيد ·· جعلته عبد للمال ، وللمناصب ، وللشركات ·· وللذين بيدهم أمر هذا كله !

لقد يئس الناس من هؤلاء الرجال الذين وقفوا على المسرح ـ كابطال ـ اكثر من خمس وعشرين سنة ·· وكانت كل سنة تمر تثبت انهم جميعا « كومبارس » لم يكونوا ليستحقوا ـ لولا الظروف التعسة ـ ان يخرجوا من وراء الستار ··

ومع اني أحس فى بعض الاحيان بكثير من اليأس الذى يحسه سائر المصريين من مجتمع القلق ، ومع انى أرى الدنيا فى بعض الظروف ، وقد اظلمت ، ولم يعد فيها بصيص من نور ، الا اننى أحب ـ على الرغم من كل شيء ـ أن أهزم اليأس •• أحب ان أؤمن بانه لا يزال فى مصر مصريون كثيرون يستطيعون ان يحملوا العلم •• ويستطيعون أن يكونوا جنودا فى جيش يخلص مصر من هذا الفساد ، ويخلصنا من المفسدين •• ولكن هؤلاء المصريين الصالحين ، قاعدون ـ مع الاسف ـ ••• قاعدون عن حمل التبعة ، وقاعدون عن القيام بالواجب الاكبر •• والعجيب فى امرهم انهم لم يقعدوا عن جبن ، ولم يلقوا سلاحهم عن خوف من قوة ، ولا عن رهبة لسيد من الاسياد •• وانما قعدوا يأسا من باقي الجنود •• قعدوا لأن الفساد طارد ايمانهم برجولة الرجال ، وجعلهم يشعرون بأنه لم يبق فى مصر رجولة لم يفسدها المفسدون بوسيلة من وسائل الافساد ••

وهنا يبرز الواجب الوطني لهؤلاء المنقذين الذين أعنيهم ، فليس من الوطنية أن يسكتوا حتى تصير مصر خرابا •• ليس من الوطنية ان يسكتوا حتى تبلغ الروح التراقي ثم يحاولون انقاذ المريض •• انما عليهم أن يتقدموا وفي المريض ـ أى فى مصر ـ بقية من حياة • عليهم أن يستغلوا هذه الصحوة التى اصابتها . ويجعلوها صحوة حياة تمتد الى الابد •• وليست صحوة موت تنطفيء بعد حين !•

صحيح ان هؤلاء الصالحين « القاعدين » قليلون ، ولكن قلتهم لن تعجزهم ـ اذا أرادوا ـ عن أن يجمعوا وراءهم جيشـــا من الصالحين •• فلقد كان معظم قادة التــاريخ وحدهم يوم وقفوا يصرخون صرختهم الاولى ، ثم جاءهم الانصار تباعا استجابة لهذا الصراخ !!•

وصحيح أن بعض هؤلاء الصالحين يؤدون الان شيئا من هذا الواجب •• ولكن ما يؤدونه لا يزال أصغر منهم ، ومن قدرتهم ، ومما يتصور الشعب أنهم قادرون عليه •• وهم يوم يتقدمون لحمل العلم ، سيشعرون ـ ربما لأول مرة فى حياتهم ـ انهم اوتوا قوة عملاق من الجن •• وقدرة جيل من الخلق •• فان الرجل الذى يستمد قوته من امة ، ليس كالرجل الذى يستمد قوته من نفسه ، ومن بضعة اصدقاء يحيطون به •• والرجل الذىيفكر

برؤوس عشرين مليونا ، ويفكر لعشرين مليونا ، ليس كالرجل الذى يفكر براس واحدة ، لحساب شخص واحد ، أو لحساب عدة اشخاص ، يعيشون معه او يعيشون عليه ·

وصحيح ان هؤلاء الصالحين سيتقدمون لقيادة شعب اكثره جائع ، ومريض ، وفقير··وقد يعوق الشعب جوعه ، ويقعد بهفقره وهزاله ، عن الاستجابة للنداء الجديد ·· ولكنا لن نكون افقر من الهنود ، أو اشد منهم هزالا ·· يوم مشوا وراء « غاندى » يرددون نشيد الخلاص ··· والمسالة كلها تتركز فى أن يؤمن الشعب بالذين يتصدون لتخليصه من هذا الفساد الذى أوشك أن يدمره، ويأتى عليه ·

***

اننى أؤكد انه لا يزال فى مصر صالحون كثيرون يستطيعون ان يمشوا بالشعب فى طريق الخلاص · وما اظن أن الشعب سيقعد عن السير وراءهم لو انهم تقدموا اليه · فليس فيهم من يرتاب الشعب فى مقصده · وليس فيهم من اخذ عليه الشعب ثراء طارئا ·· ولا ثراء طائلا · وليس فيهم من لم يعرف باستقامة القصد ، واستقامة الخلق ، واستقامة الضمير ·· !

كل عيب هؤلاءالصالحين ـ فى نظرى ـ انهم قنعوا بواجبأصغر بكثير من الواجب الاكبر الذى تؤهلهم له وطنيتهم ، ومن تجاربهم ومن الالم العميق المدفون فى صدورهم ·· فان ما يعمله هــؤلاء الصالحون الان ، يقدر عليه كثيرون غيرهم ،ولكن الذى يجب ان يعملوه لايقدر عليه سواهم !!

ان كثيرين يستطيعون أن يستقيلوا من مناصبهم هربا مــــن وجه الفساد ، كما استقال « بهى الدين بركات » و « محمـــــود محمد محمود » ·· وكثيرين يستطيعون ان ـ يكتبوا كما كتب « مصطفى مرعى » ·· وكثيرين يستطيعون أن يخطبوا كما يخطب «فتحى رضوان»··وكثيرين يستطيعون أنيحرجوا الوزراء فىمجلس النواب كما يحرجهم « نور الدين طراف » ، و « ابراهيم شكرى » و « أحمد أبو الفتح » ، و « عزيز فهمى » · ولكن ليس هناك كثيرون يتفهمون الحرية كما يتفهمها هؤلاء ·· وليس هنـــاك كثيرون يحسون آلام مصر واوجاعها كما يحسها هؤلاء ·

وصحيح ان هناك كثيرين ، غيــــر هؤلاء ، يدركون أن مصر يمزقها الفساد ، ويقضى على كل مقدس من مقدساتها ·· ولكنهم

يخشون أن يتقدموا لانقاذها فيلمزقوا كما تمزق غيرهم ...
ولكني احسب أن هؤلاء الرجال الذين اتحدث عنهم مستعدون لان يموتوا لكي ينقذوا مصر ، وهم مستعدون لان يموتوا معها ان لم يستطيعوا ان ينقذوها ! .

بقي ان يستجيب هؤلاء الاحرار لنداء هذا الوطن المنكــــود فيلتقوا في موكب واحد ، هو موكب الخلاص مما نحن فيه ..

واني لأعرف ان طريق هذا الخلاص مملوء بالوحـــــوش ، وبالذئاب ، وبصخور قاسية تمزق أقدام الســـــالكين .. وان خلاصنا لن يكون باسقاط وزارة ، ولا باسقاط زعيم .. انمـــا يكون بالقضاء على الفساد الاعظم الذى صنعه الاحتلال خلال ٧٠ سنة واقام صرحه باتقان وبصبر . حجرا فوق حجر .. وثبت الارض من تحته . وهو فساد حرص الاحتلال على ان يمد جذوره في كل أرض ليقضي على كل أرض .. مد جذوره فى الجيش ، وفي التعليم ، وفي الاداة الحكومية ، وفى النظام الاجتماعي والادارى للدولة .. بل وفي داخل الاحزاب التى تخرج زعماء « يحاربون الاستعمار » ، نثر المحتلون جراثيمهم ، فباضـــت وافرخت .. ولم يعد فى مصر جهة تستطيع أن تقول عنها انها برئت من جراثيم الاحتلال .

***

ان الوطنيين الصالحين يجب أن يلتقوا .. وليس من الضرورى أن يلتقوا فى حزب واحد .. أو هيئة واحدة ، بل يكفي أن يلتقوا على فكرة واحدة .. وأن يمشوا معا فى طريق واحدة .. وهم لابد ملتقون في يوم من الايام .

يجب أن يلتقي الاحرار في موكب واحد .. يجب أن يتحـــــرر الحزبيون منهم من حزبيتهم .. يجب أن ينسوها ، أو يتجاهلوها او يدوسوها بالاقدام .. فليسوا هم « الامعات » الذين لايستطيعون أن يدخلوا البرلمان مثلا الا محمولين على اكتاف عبد الهادى ، وهيكل ، ومصطفى النحاس .. ان كفاءاتهم تفتح لهم الابواب ، ووطنيتهم تشق لهم الطريق .. وليس هناك ما يمكن ان يخافوه الا انفسهم ، والا اطماعهم الخاصة .. وعليهم أن يهزموها !!.

ان مصر لم يعد ينفعها أن تحارب بعشرة جنود ، كل منهم في جبهة يطلق منها رصاصة..بل يجب أن يتوحد الجنودكلهم فيجبهة واحدة .. يطلق منها الرصاص دفعة واحدة .. على هدفواحد ، فى وقت واحد .. وبغير هذا ، لن يسقط حصن الفساد الاعظم ...

أريد أن أقول لقائد القوات المسلحة ..

« المصور » ـ ٢٨ أبريل سنة ١٩٥٠

اريد أن اقول للقائد العام للقوات المسلحة : ان مصر لا بد ان ترتطم يوما ـ قريبا أو بعيدا ـ باسرائيل ·· وقد كانت معركتنا التي لم تنته ، بعد مع هؤلاء الناس ، سلسلة من الاخطاء ··· كانت المعركة عسكرية ، ولكن قادتها كانوا سياسيين ··· فضاعت المعركة منهم ، واضاعوها من العسكريين · غير اننا لم نعدم عظات كثيرة نخرج بها من هذه المعركة ·· عظات سياسية ، وعسكرية ، وقومية ، ومن كل لون ·· واني لأعلم أن قائد القوات المصرية في فلسطين كتب بكل هذه العظات تقريرا رفعه بعد انتهاء المعركة الى الجهات المختصة ·· ولكن هذا التقرير لم يناقش ·· ولم يناقش كاتبه فيما قد قرر وكتب ··· واخشى ما أخشاه ان يكون ذلك التقرير قد نام دون ان يقرأه أحد ·· وان تكون تجارب قائد المعركة قد ضاعت كما ضاعت فلسطين !!· ان تجارب الماضي هي أسس المستقبل ·· والمستقبل ـ كما أرى ـ مشحون بالمتفجرات ·

***

أريد أن اقول لقائد القوات المسلحة : ان ضباط الجيش يهمهمون باشياء واشياء · وحذار ان تظن انهم بكم لا يتكلمون ! ·· انهم يقولون أن الجيش جزء من الامة ·· بل هو الجزء الذي تتوقف عليه حياة هذه الامة ·· ولهذا لا ينبغي له ان يبقى بعيدا عن متناول النقد الاصلاحي النزيه ·· والا فانه سيظل سادرا في جهالة الماضي ·· ويحكم في عهد الاستقلال بعقلية محطمي الاستقلال ! ··

ان الضباط يقولون ان البطولة لم تلق في الجيش ما كانت

تستحق .. وما كانت تنتظر .. ويضربون الامثال بما كوفيء به الضباط الابطال الذين تكشفت عنهم المعركة الوحيدة التى خاضها جيش مصر منذ مائة سنة .. وسل عن هـؤلاء الابطال الذين صهرتهم النيران وانضجتهم التجربة ... سل عنهم ، وعن مكانهم فى الجيش .. انهم بعيدون عن الاماكن الممتازة التى لا ينبغى أن يشغلها الا الممتازون من طرازهم .. ولكنها عزت عليهم ، وشغلت بمن ليسوا لهم قدرتهم ولا كفـاءتهم ولا شـجاعتهم ولا ... لا أحب أن أقول كل ما عندى !

***

أريد أن أقول لقائد القوات المسلحة : ان فى بعض مراكـز الجيش الهامة كادارة المخابرات ، وسلاح خدمة الجيش ، ضباطا متزوجين من يهوديات .. واذا استطاع المرء أن يكتم أسرار عمله عن الناس جميعا ، فلن يستطيع أن يكتمها عن زوجه .. وقـد فطنت وزارة الخارجية الى هذا الضعف الطبيعى فى البشر ، فسنت قانونا يسقط حق الدبلوماسيين فى تمثيل بلادهم اذا ما تزوجوا من أجنبية .. ولست أطالب باقصاء هؤلاء الضباط عن الجيش ، فقدتزوجوا من زوجاتهم قبل أن تقوم دولة اسرائيل .. ولكن الذى أطلبه هو ابعادهم عن الاماكن ذات الاهمية الخطيرة كالتى يعملون بها الان .. فان الخطر الذى يصيبنا من وراء بقـائهم فيها أفدح من أن أصوره .. ويكفى أن تعرف « معاليك » ان كل ضابط فى الجيش يحتفظ فى بيته بعدد كبير من الكتب العسكرية الرسمية ، والخرائط العسكرية التى تشرح كل حركة تعليمية ، وعملية ، من حركات جيشنا ، لتدرك مدى الخطر الذى يحيق بنا من جراء وجود مثل هذه الكتب تحت ايدى هؤلاء الزوجات .. ان هذه الكتب ، تتناول ادق أسرار الجيش بالايضاح والتفسير .. وقد فطنت وزارة الحربية الى هذا فوضعت على رأس الغلاف العبارة التالية : « غير مصرح بنشر ، أو نقل محتويات هـذه الكراسة ، بطريق مباشر ، أو غير مباشر للصحف ، او لأى شخص ليس فى الخدمة العسكرية » .. ولكن .. ما ابعد التحذير عن الحقيقة .

اريد أن أقول لقائد القوات المسلحة : ان أسرار تسليح الجيش واخبار بعثاته الموفدة الى الخارج ، تذاع على الصحف ، وعلى الناس ، أولا بأول .. ولو أن الصحف هى التى تذيع هذه الاخبار

من عندياتها لهانت المصيبة قليلا ·· وقد يكون هذا العمل مقبولا لو لم نكن فى حالة حرب مع اسرائيل ·· أما الان ·· فان اولئك الذين يمدون الصحف بهذه الانباء محتاجون لمن يقول لهم ان سلامة الوطن اغلى من وزارة الحربية ·· وأغلى من كل شخص فيها يريد الدعاية لنفسه ·· سلامة الوطن تحتم على الجميع أن يصمتوا حتى ولو اتهموا بأنهم لا يعملون ·· ان وراءنا عدوا يستفيد من كل همسة نهمسها ، ومصيبتنا اننا لا نكتفى بالهمس ·· بل نذيع اسرارنا بمكبرات الصوت ، وعلى اوسع نطاق · !!

أريد أن أقول لقائد القوات المسلحة : ان أمر تعويض مشوهى حرب فلسطين ، قد طال اكثر مما ينبغى · ولقـــد عرفتك تكره « الروتين » وتمقت خطوات السلحفاة التى تســير بها الاداة الحكومية عندنا ·· واذا كان لهؤلاء الابطـال أمل ·· فاملهم معقود عليك ·· لقد تنازلت لهم عن مرتبك طالما كانت المعـركة قائمة ·· أما الان ـ وقد انتهت المعركة بعدما سلبتهم سواعدهم، وأرجلهم ، وانظارهم ـ فانهم لا يريدون مرتبك بقدر ما يريدون همتك ··

« ان عدد هؤلاء المشوهين لا يزيد على المائة ·· والمبلغ الذى سينفق على عمل الاطراف الصناعية للذين فقدوا أطرافهم مـــن هؤلاء الابطال ، ليس مبلغا ضخما تعجز الدولة عن توفيره ·· انه ثلاثة آلاف وستمائة جنيه فقط !! وما أكثر الالاف التى تنفقها الدولة فيما لا يفيد ··

لقد كان هؤلاء الرجال عدتك فيما أردت ·· فلا تدع السلم يسحقهم ·· كما سحقتهم الحرب !!

أريد أن أقول لقائد القوات المسلحة هذا كله ·· وكثيرا غيره ·· ولكنى لا أبيح لنفسى أن أنشر كل ما أريد أن أقول ·

النظام الاجتماعى : من الذى يعرضه للدمار ؟

« اللواء الجديد » ــ ٧ أغسطس سنة ١٩٥١

تحدث الوزير الدكتور حامد زكى (باشا) الى بعض الزملاء الصحفيين ، حديثا طويلا فى وجوب مراقبة الصحف • أو على الاصح وجوب وأد حريتها ، ليتحقق للحكومة حماية النظـــام الاجتماعى السائد فى البلاد •

وأنا أسلم مع الوزير بأن نظامنا الاجتماعى مهدد ، وأن الحكومة لابد من أن تفعل شيئا ما لتحميه !! ولكن الحـــكام يخطئون اذ يتوهمون ان الشىء المطلوب عمله لحماية النظام الاجتماعى هو قتل الصحف ، وقتل الصحفيين ، وكسر أقلام الاحرار •• فان هــذه وسيلة تعين على التعجيل بهدم النظام أكثر مما تعين على وقايته •• وتعجل بانفجار البركان ، وكان أحرى به أن يتأخر ، لو أنهم لم يحطموا صمام الامان •• وهو الرأى الحر ، والقلم الحـــر ، والصحيفة الحرة يتنفس عن طريقها الاحرار !

انتم تستطيعون أن تحموا النظام الاجتماعى أكثر ممــــا تشتهون •• ولكنكم لا تملكون لتحقيق هذا ، الا وسيلة واحدة •• هى أن تنحنوا للنتائج ، وتبحثوا عن الاسباب ، فليست صرخات أقلامنا جميعا الا صدى لآلام أكثر شدة ، وأعمق غورا آلام يحسها الشعب ، ويصرخ من هولها •• ويصرخ أيضا من الصمم العجيب الذى أصبتم به ، حتى صرتم لا تسمعون شيئا من هذا الصراخ ••

احموا النظام الاجتماعى ، لا من الشعب ، وانما من الطغاة الذين يثيرونه بطغيانهم ، ويستفزونه بمباذلهم ، وينكأون كـــل يوم جراحه التى طال عليها الامد ولا تريد أن تطيب ! •

احموا النظام الاجتماعى •• ولكن بالطريق السليم لحماية كل نظام •• تبينوا الداء ، وابحثوا عن الدواء ، وحاولوا أن

تكونوا أطباء يشفون المرضى ، ويقضون على المرض • أما ان تتخلوا عن دوركم الحقيقى ، وتلجأوا الى الدور الاسهل •• دور الجلاد الذى يقتل المريض لانه لا يريد أن يشقى في علاجه ، فانكم بهذا تبرهنون على انكم حلقة جديدة ، أو صورة مشوهة ، من أولئك الجلادين الذين عرفتهم الشعوب خلال عصور كانت فيها غارقة لاذنيها فى أغوار الظلام •

***

يجب ان تعرفوا انكم انتم الذين صدعتم بناء النظام الاجتماعى •• ولا زلتم تواصلون العمل علي جعله هشيما تذروه الرياح •• أنتم الذين بنيتم القصور الشاهقة على مرأى ومسمع من شعب ينام أكثره فى أكواخ كالمقابر ، أو مقابر كالاكواخ •• أنتم الذين تركتم الشعب يتضور جوعا ورصدتم مئات الالوف من الجنيهات على اقامة تماثيل لأناس ، لو كانوا أحياء لسخروا هم أنفسهم من نفاقكم ، ولاظهروكم للناس على حقيقتكم : اذلاء ، جبناء ، تنشدون الخلود فى الحـــكم عن طريق الزيف الفاضح ، والملق المكشوف •

***

انتم الذين صدعتم بناء النظام الاجتماعى بان جعلتم الشعب يجوع لتأكلوا وحدكم ، ويعرى لتلبسوا وحدكم ، ويمرض لتستشفوا وحدكم ، واين ••• ؟ ! فى « كابرى » و « اكس ليبان » •

انتم الذين صدعتم بناء النظام الاجتماعي بان مكنتم غول الغلاء من الشعب تمكينا مروعا •• كان ، قبل ان تجيئوا الينا ، يعمل مخالبه فقط في اجسامنا •• وبفضلكم ، وعلى ايديكم ، اكـل الوحش لحومنا ، وامتص دماءنا •• والله أعلم ـ اذا طال بكم المدى ـ ان كان الوحش سيبقى لنا على شيء من عظامنا !

***

انتم الذين صدعتم البناء الاجتماعى بضرائب مجنـــونة • فرضتموها ارتجالا وفرضتموها على الشعب دون ســـواه • فاذا هو يشقى لتنعم القلة من اولئك المترفين الذين اتخمهـــم الترف ، حتى انساهم صوت الفقر الذى يعوى فى الاذان !

والعجيب فى امركم ، انكم تلومون الشعب لأنه لا يستقبل هذه الضرائب التى تقصم ظهره ، بالرضى والتسليم •• كانكم تجهلون ان الشعب يرى ، ويســمع •يرى مظاهر الابهة التى لاتتفق مع

صراخ الدولة من قلة المال ·· ولا تتفق مع ما يقال من اننا امة تملك قوت يومها ، ولا تكاد تطمئن على قوت غدها !

انتم الذين صدعتم بناء النظام الاجتماعي · لانكم تحمون الفساد ·، وتظاهرونه ، وتقفون من خلفه حتى لقد ضج منكم بعض زملائكم فتركوا لكم دنياكم بما عليها ·· او لعلهم تركوكم تنفردون بالسفينة حتى لايكونوا معكم يوم يبتلعكم الطوفان ·· وما اظن هذا اليوم ببعيد ··

انتم الذين صدعتم بناء النظام الاجتماعي بتلك المحسوبية السافرة التي جعلتموها دستور الدولة في كل مكان ·· فاضحت الكفاءة في عهدكم « لغوا » ، والاستقامة « عبطا » و « التجربة » سلاح العاجزين · · يكفي ان يكون الموظف قريبا ، او حبيبا ، او هتافا يجيد الصراخ ، او عبدا يجيد الانحناء ·· يكفي ان تتوفر في الموظف صفة واحدة من هذه الصفات ـ لا كلها ـ ليمشي به فوق رقاب الاكفاء !·· ويقفز به من فوقهم ·· وويل للاكفاء اذا ما أرادوا أن يفرجوا عن أنفسهم بآهة بسيطة تفرج عن جرح الصدور ·· الويل لهم من « مصطفي النحاس » ، و جبروته وجبروته · الويل لهم من هذا الانسان الذى ينحنى امام القوة حتى يصبح كالقوس المقفول ·· ويتجبر على الشعب حتى يصبح ماردا لا يطاوله طول · · !

انتم الذين صدعتم بناء النظام الاجتماعي لأنكم اعدتم اليه وأنتم الفلاحون أبناء الفلاحين ـ نظام الطبقات ·· فأرضيتم طائفة على حساب أخرى ·· وكسبتم ود جماعة على حساب اخرين ·· ولكنهم جميعا عرفوكم وعرفوا الاعيبكم ·· وعرفوا انكم تريدون ان تعيشوا لتحكموا ·· او لعلكم ـ وهذا هو الحق ـ تريدون أن تحكموا لتعيشوا ·· فخدعتم الجميع ·· وأسأتم للجميع ·· وجعلتم من الجميع قربانا لمطامعكم التى لا تريد أن تتوقف عند حد ·· ولا تريد أن تنتهي عند غاية !!··

نعم ·· أنتم ـ ولا أحد سواكم ـ الذين صدعتم بناء النظام الاجتماعي وعرضتموه للدمار ، ومع هذا كله ·· مع هذا الفساد الذى عم وانتشر ·· مع تلك الضمائر الفاسدة التى نثرتموها نثرا في كل مكان ·· مع تلك الذمم الخربة التى استشرت كالنار ، ولم تعد تخشى بطش حاكم من الحكام ·· مع تلك الحرية المعذبة التى صارت وهما من الاوهام ·· مع هذا وغيره··فماتزال أمامكم فرصة

لان تنقذوا هذا النظام قبل آن يتقوض ·· آمامكم أن تمكنوا الفقير من حقه في أن يأكل ·· وأن تمكنوا المريض من حقه في أن يعالج ·· كما يعالج المرضى ، وكما يأكل الفقـــراء ، في الامم التي تعرف ، وتعترف ، بحق الانسان ·· وبكرامة الانسان !

أمامكم أن تمكنوا الشعب من أن يعود فيعيش لحسابه ، بدلا من أن تقتلوه لحساب الطغاة ·· ولحساب الشركات ·· ولحساب المترفين !··

أمامكم أن تجعلوا الاكفاء لا يندمون على كفـــاءتهم ·· ولا يتحسرون لان أمهاتهم ولدتهم دون أن تصلهم بكم صلة رحم من الارحام ·

أمامكم أن تردوا للريف أمنه الذي فقده فاضحى أشبه بساحات الوغى : اقطاعيون يتنمرون ، ويستأسدون ، وشعب أعلن عزمه على أن يخرج من حظائر الاغنام ·· انها دقة ناقوس لا أظن أنكم وعيتموها !!·

أمامكم بعد هذا كله ـ لا بل قبل هذا كله ـ أن تتقوا الله في هذا الشعب ·· فلا تخنقوا رغبته في الحرية ، ولا تحطموا طاقتــه للجهاد ، ولا تقطعوا لسانه الذي يسب الانجليز ، وعهـــدهم ، وأذنابهم ، واليوم الذي جاءوا فيه !··

اتقوا الله في هذا الشعب فلا تخدروا أعصابه بقولكم : « اننا نعمل » وأنتم في الحقيقة لا تعملون · وحتى اذا كنتم تعملون ·· فانكم تعملون لانفسكم لا له ، ولا لاهـــدافه ، ولا لتحقيق الحلم الكبير الذي يراوده منذ عشرات السنين ·

وبعد ···

فهذه هي الطريقة الوحيدة ـ ياسيدي حامد زكي ـ للقضاء على « الاحمـرار » ، وعلى « الصحف الحمراء » ·· وبغيرها لن تستطيع ·· ولن يستطيع كل الذين ينهجون نهجك ، فيتوهمون انهم قادرون على حماية النظام بخنق الاصوات ، وقطع الالسن ، ووضع الاقلام الحرة وراء القضبان !·

ان القضاء على الرأي الحر بالقوة ، سيجعله يزداد انتشارا ·· فان الناس ، الآن ، يبحثون عنه ، ويشترونه بنقودهم · أما بعد ذلك ، فان الرأي الحر سيذهب اليهم حتى بيوتهم ، وبالمجان · فتتلقفه الاف الايدي ، وتقرؤه الاف الاعين ، وتردده الاف الشفاه ·· والويل لأمة يخشى حكامها النور ·· ولا يؤمنون الا بالظلام ·

اللهم اتهاما يارب ..

« اللواء الجديد » ـ ١٠ يوليو سنة ١٩٥١

لو صدر هذا الدعاء عن غير مصرى ، وفى بلد غير مصر ، لرمى الناس صاحبه بالخبل ، واتهموه بالجنون ·· فالاصل فى الدعاء أن يكون ابعادا لشر أو دفعا لبلاء ، اما أن يدعو الانسان ربه ليصيبه بشر ، أو ليرميه ببلاء ، فهذا هو الجنون بعينه ·· وهو جنون فى أى أمة ، وفى أى بلـــد ·· الا فى مصر ، فان ما يحدث فيها فى كل يوم ، بل فى كل ساعة ، يحرض الناس تحريضا عنيفا على أن يتجهوا الى ربهم داعين : « اللهم اتهاما يا رب » !!

نعم··اللهم اتهاما يارب · فقد اتهم « حيدر باشا » بانه كان فى غفلة عما يجرى وراء ظهره قبل حملة فلسطين ، وخـــلال الحملة ، وبعد الحملة ·· وثبتت هذه « الغفلة » على الرجل بأكثر من دليل : واذا كان هناك من لايزال محتاجا الى دليل واضح ، فليسأل حيدر باشا : كم عدد المواقع التى بقيت للجيش المصرى ، من تلك التى كانت قد وقعت فى قبضته ؟!

وليسأل حيدر باشا : لماذا ضاعت هذه المواقع بعد الذى دفعناه فى سبيلها من أرواح وأموال ؟!

ولن يكون الجواب غير الدليل المرتقب ، على «الغفلة المركبة» التى كان يتمتع بها الرجل الذى كان يدير من مكتبه فى القاهرة ·· دفة الحرب فى فلسطين !!

وعندما نرجع الى التاريخ البعيد أو القريب ، لنرى ماذا صنعت الامم بقوادها الذين اتهموا بمثل ما اتهم به «حيدر» ، نجدها جميعا قد حاكمت هؤلاء القواد وعاقبتهم ·· أو فى القليل ، نجدها قد ابعدتهم عن أن يكون لهم أى دور جدى فى حياة بلادهم ! ·

أما في مصر ، فقد أبعدت الحكومة « حيدر باشا » عن منصبه ..
ولم تلبث غير أيام قليلة ، ثم أعادته الى مكانه القديم ، بعد أن قبلت منه كل الشروط التي اشترطها لعودته .. ولعلهـــــا ـ أي الحكومة ـ قد اعتذرت له عما بدر منها في حقه !!

وهكذا كان « اتهام الرجل » سببا في أن يقوى عن ذي قبل ..
وسببا في أن يشترط ويتدلل ، وسببا في أن يعود قائدا أو سيدا .. وأنف الرأي العام في الرغام !!

***

ولقد رأى المحققون في قضية الاموال المخصصة للترفيـــه عن الجنود ، أن يبعد ضابط برتبة « لواء » عن منصبه حتى يتم التحقيق في كيفية التصرف في هذه الاموال .. وقد تم هذا التحقيق منذ أيام ، ورؤى اعادة اللواء المذكور الى مكانه في الجيش .. ولكن وزارة الحربية لم تكتف باعادته الى منصبه القديم كقائد لاحدى الوحدات ، بل رشحته لمنصب أكبر وأخطر .. رشحته نائبا لرئيس هيئة أركان حرب الجيش ، وهو منصب يعطى له شرف رياسة كل قواد الجيش ممن لم يطالب محقق ابعادهم ، ولم تحم حولهم شبهات . ولم يشك انسان في نزاهتهم وكفاءتهم .

ولم يكن من حق واحد من هؤلاء القواد أن يطمع في مثل هذا المنصب الذي رشح له اللواء الذي كان قد أبعد .. وكيف يطمعون فيه وهم لم يبعدوا عن مناصبهم .. ولم يكونوا في يوم من الايام متهمين بتهمة تخدش الذمة ، أو تشين الشرف ، أو تمس النزاهة !!؟

ولقد اتهمت النيابة نفرا من الموظفين بتهم مشينة ، ثم عادت ـ لاسباب لاتزال خفية ـ فحفظت التحقيقات بالنسبة لهـــؤلاء المتهمين .. وكان المفروض أن تنتهي المسألة عند هذا الحد . ولكن يبدو أن حكومتنا كانت تنظر الى هؤلاء المتهمين نظرتهـــا الى الشهداء والقديسين .. فما لبثت حتى احتفت بهم ، وكرمتهم ، وأرضتهم .. ولولا بقية من حياء ، لامرت الحـكومة بأن تقـــام التماثيل في أوسع الميادين « لانطوان بوللي » ... و « أمون جهلان » !!..

لقد صار من الواضح جدا أن الاتهام الـــــذي وجه الى معظم المتهمين في قضية الجيش ، كان سببا في أن يبلغوا مكانات لم يكونوا بالغيها لولا ذلك الاتهام الذي أحاط بهم .. وواضح بجانب هذا أن براءة الابرياء قد أطاحت بهم الى غير رجعة ، اذ كان المعول في رجعتهم على مزاج « حكومة الشعب » !!

أطاحت البراءة باللواء فؤاد صادق ، وغيره من لواءات الجيش ·· ولعله من سوء حظ هؤلاء القادة انهم خرجوا من الجيش أطهار الذيل ، أنقياء الذمة ·· فلو أن الاتهـــــام كان قد نالهم برشاشه ، لكانوا الان قد عادوا الى مراكزهم القديمة ·· بل لما كان بعيدا أن يرقى اللواء فيهم فريقا ·· ويصير المرءوس رئيسا تعنو له الرقاب !·

***

وبعد ·· فانى أعذر الذين يستطيلون طريق الاستقامة ·· ولا يرون فى نهايته غير سراب من فوقه سراب ·· انى أعذر هؤلاء اذا جهروا برأيهم فى الاستقامة وقالوا عنها أنها حيلة العاجزين·

نعم ·· انى أعذرهم اذا قالوا هذا ، فانهم يرون الاسياديسرقون ويرتشون··ويرون الذمم تباع فى الاسواق··كل ذمة بسعرمعلوم ·· ويرون المتخمين بالمال لايكادون يشبعون ، فهم يسرقون بأيديهم ويسرقون باعوانهم ، ويسرقون بما لهم من نفوذ !

انى أعذر الذين يصيبهم اليأس من نظافة الخلق ، ونظافة اليد ، ونظافة الضمير · نعم أعذرهم ·· فهم يرون المثل العليـا تتساقط أمام انظارهم مثلا بعد مثل ، ويرون القانون قد تقاعس وقعد ، ولم يعد يقدر الا على الذين يسرقون لقمة عيش ليسدوا بهـــــا رمقهم ، أو رمق أطفال يعوون من الجوع حولهم !!

انى أعذر المستقيمين اذا ضاقوا باستقامتهم ·· ورفعوا أيديهم الى السماء داعين :

« اللهم اتهاما يا رب »!!

فهرس

صفحة

صفحة

من كتابات : أحمد حسين

من كتابات : فتحى رضوان

من كتابات : احسان عبد القدوس

من كتابات : خالد محمد خالد

من كتابات : حلمى سلام

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جدة ـ ص . ب رقم ٤٩٢
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

THE ARABIC PUBLICATIONS
7, Biskopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND.

Sr. Miguel Maccul Cury
R. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406
Sao Paulo, BRASIL



هذا الكتاب

لم تكن « ثورة ٢٣ يوليو » التي اطاحت في سنة ١٩٥٢ ، بنظام فاسد كان على رأسه « ملك » لم يتردد في أن يبيع للشيطان نفسه — لم تكن هذه الثورة استثناء من ثورات الشعوب ·· فلقد جاءت الى وجودنا بعد صبر طويل من جانب الشعب على فساد « الملك » ، وعلى فساد نظامه ، وعلى فساد رجال كثيرين كانوا يقفون حوله ، ومن ورائه ·· حتى اذا لم يبق في قوس الصبر منزع ، كان لابد مما ليس منه بد · تفجرت « ثورة ٢٣ يوليو » لكى تطيح بالملك ، وبنظامه ، وبأولئك الرجال الفاسدين ، والمفسدين الذين كانوا يقفون حوله ·· ومن ورائه

وهذا الكتاب يقدم لك — لاول مرة منذ عشرين سنة — صورة كاملة، ومجسدة ، لذلك « المسرح الكبير » الذى كنا نعيش فيه — قبيل ثورة ٢٣ يوليو — مأساة حياتنا ··· يقدمه لك كاملا : بكل الاحداث الاليمة ، والمريرة التى كانت تمثل على خشبته ·· وبكل العمالقة والاقزام الذين كانوا يتحركون عليه ·· وبكل ال... كانت تدوى فى جنباته ·

ولقد صور لك ذلك كله كاتب لسنا فى حاجة لان ... عرفته ، من قبل ، واحدا من صحفيي الصف الاول ... الاحداث ، وعانوها ، واكتووا بنارها ·· وكان له ... من كوكبة الكتاب الاحرار الذين تصدوا بكل شج... حيوية اقلامهم ، لفساد « الملك » ، وفساد عهده ... وكان لهم فى ذلك كله دورهم الملحوظ الاثر ، وال...

ان كتاب (أيامه الاخيرة) الذى نعتز بتقديمه ... للتسلية ·· كما أنه ليس كتابا لازجاء الفراغ · ... بين يدى التاريخ) ، اعتمد الكاتب فى تسجيلها ... ·· وعلى مذكرات سجلها ·· وعلى أسرار خطيرة ... شفاه صانعيها الذين مايزال كثيرون منهم على قيد الحياة ·

١٥ قرشا